كاندس بوشنيل

بنات في المدينة

الكتاب الذي أطلق المسلسل التلفزيوني الشهير
وفيلمين سينمائيين

الساقي

كانديس بوشنيل

بنات في المدينة

ترجمة

عابد إسماعيل

هذا الكتاب مُجازٌ لمتعتك الشخصية فقط. لا يمكن إعادة بيعه أو إعطاؤه لأشخاص آخرين. إذا كنت مهتماً بمشاركة هذا الكتاب مع شخص آخر، فالرجاء شراء نسخة إضافية لكل شخص. وإذا كنت تقرأ هذا الكتاب ولم تشتره، أو إذا لم يُشترَ لاستخدامك الشخصي، فالرجاء شراء نسختك الخاصة. شكراً لك لاحترامك عمل المؤلف الشاق.

Candace Bushnell, *Sex and the City* © Candace Bushnell, 1996

© كانديس بوشنيل، 2010، 2011

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الورقية الأولى، 2010
الطبعة الإلكترونية، 2011

ISBN-978-614-425-154-6

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، بيروت. ص.ب.:
5342/113. الرمز البريدي: 6114 - 2033
هاتف: 866442 1 961، فاكس: 866443 1 961

e-mail: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني

www.daralsaqi.com

«مثير ومسلٍّ إلى حدّ بعيد». (هيلين فيلدينغ، مؤلّفة «مذكّرات بريجيت جونز»)

«ينتزع منك ضحكات مجلجلة... كتاب يُلزمك بقراءته، كوجبات صغيرة وشهية من الوقاحة التي تصعب مقاومتها». (مجلّة «ماري كلير»)

«تخيّل جين أوستن مع كأس مارتيني، أو ربّما جوناثان سويفت على زلاجة مدولبة». (جريدة «صنداي تلغراف»)

«كتاب كالنَّفَس المنعش... استعراض قوي لإمكانات الصحافة في مقاربة العلاقات الجنسية...». («وول ستريت جورنال»)

«تمتلك بوشنيل أذناً استثنائية في التقاط مزاج المحادثة... تحيي، بأسلوبها المتألّق، تفاصيل السلوك البشري من دون أن تغرق في البحث عن أسبابه». («لوس أنجلس تايمز»)

«عنصر إدمان... مجموعة ذكية من اللقطات الاجتماعية ذات الدلالة». (مجلّة «إيل»)

«بوشنيل كاتبة متمرّسة، تجيد الدعابة الماكرة، وتقدّم رؤية حادّة للسلوكيات اليومية». (مجلة «بيبول»)

هذه حكاية من حكايات عيد الحب (فالنتاين). تأهبوا.

صحافيةٌ إنكليزية أتت إلى نيويورك. امرأة جذابة وذكية وقعت على الفور في عشق شاب عازب ووسيم، من شبان نيويورك النموذجيين. إنه تيم، ابن الاثنين والأربعين عاماً، الذي يعمل مستثمراً مصرفياً، ويكسب خمسة ملايين دولار في السنة. انقضى أسبوعان وهما يخرجان معاً، يده مشبوكة في يدها، ويتبادلان القُبل - ثم في أحد أيام الخريف الدافئة، اصطحبها بسيارته إلى منزله، الذي كان يشيده في ضواحي «هامبتون». ألقيا نظرة على المخططات مع المهندس المعماري. «وددتُ لو أخبر المهندس بأن يسدّ فراغات درابزون الدرج، في الطابق الثاني، لئلاّ يسقط منها الأطفال»، قالت الصحافية. «كنتُ أتوقّع أن تيم سوف يطلب يدي للزواج». في إحدى ليالي الأحد، أوصلها تيم إلى شقتها، وذكّرها بموعد العشاء، يوم الثلاثاء المقبل. جاء يوم الثلاثاء، واتّصل بها وقال إنه يريد أن يحصل على بطاقةٍ مسبقة الدفع. حين مضى أسبوعان ولم تسمع عنه خبراً، اتّصلت به وقالت «يا لها من بطاقة دفع طويلة الأمد؟» قال إنه سوف يتّصلُ بها لاحقاً، خلال الأسبوع.

لم يتّصل أبداً، بالطبع. ولكن ما أثار انتباهي حقاً هو أنها لم تستطع أن تفهم ما حدث لها. في إنكلترا، مثلما شرحت، ثمة مغزىً في مقابلة المهندس المعماري. ثم أدركتُ تواً: بالطبع، هي من لندن. لم يخبرها أحدٌ عن «نهاية الحب» في مانهاتن. ثم قلتُ لنفسي: سوف تتعلّم.

أهلاً بكم في عصر اللاّبراءة. ما تزال تومض أضواء مانهاتن المتلألئة، التي لعبت دور ستائر خلفية لمواعيد عاشقات «إيديث وارتون» بصدورهن الناهدة. لكنّ المسرح خاوٍ الآن. لا أحدَ يتناول الفطور في تيفاني، ولا أحد يعيش علاقةً عاطفية يتذكّرها. عوضاً عن ذلك، نتناول فطورنا في السابعة صباحاً، ونحاول نسيان علاقاتنا في أسرع وقت ممكن. كيف وصلنا إلى هذا الدرك الأسفل؟

لقد فهم ترومان كابوت جيداً مأزقنا في التسعينيات - مأزق الحب مقابل الصفقة. في كتاب «فطورٌ في تيفاني»، يواجه بول فارجاك وهوللي غولايتلي قيوداً كثيرة - هو رجلٌ معلّب وهي امرأةٌ معلّبة - لكنهما ينتصران عليها في النهاية، ويفضّلان الحب على المال. هذا لا يحدث كثيراً في مانهاتن هذه الأيام. إننا جميعاً معلّبون، رجالاً ونساءً - بوظائفنا، ومساكننا،

وبعضنا بنظام القيل والقال في مورتايمرز ورويالتون، وشواطئ هامبتون، وبطاقات المقاعد الأمامية في غاردن - ونحب حياتنا على هذا المنوال. حماية الذات وإنهاء الضفقة مسألتان أساسيتان. لقد فز كيوبيد، هارباً من الشراكة.

ما هي آخر مرة سمعت فيها أحدهم يقول «أحبك» من دون أن يردفها بالعبارة الحتمية (حتى عندما لا يُصرَخ بها) «مثل صديق!» ما هي آخر مرة رأيت فيها شخصين يحدق أحدهما في عيني الآخر، من دون التفكير بالقول، أجل، حقاً؟ ما هي آخر مرة سمعت فيها أحدهم يعلن، «أنا حقاً أحب بجنون»، دون التفكير بالقول: ولكن انتظر فقط حتى صباح الاثنين؟ وما هو فيلم عيد الميلاد الذي كان الأكثر رواجاً، بلا تيم آلن؟ إنه «البوح» - الذي ذهب، من أجله، عشرة ملايين أو خمسة عشر مليون مشاهد لرؤية جنس سقيم، رتيب، يمارسه ممسوسون إباحيون - جنس بالكاد يخطر على بالنا حين نفكر بالحب، لكنه، مع ذلك، يمثل جوهر العلاقات في مانهاتن الحديثة.

ثمة جنس كثير في مانهاتن، لكنه من النوع الذي يأتي نتيجة علاقات الصداقة والصفقات التجارية، لا رومانس الحب. في هذه الأيام، يملك الجميع أصدقاء وزملاء، ولكن لا أحد، حقاً، يملك حبيباً، حتى وإن ناما معاً في فراش واحد.

عودة إلى الصحافية الإنكليزية: بعد انقضاء ستة أشهر، جربتْ خلالها المزيد من «العلاقات»، ومن بينها علاقةٌ قصيرةٌ مع رجلٍ اعتاد الاتصال بها من خارج المدينة لكي يخبرها بأنه سوف يتصل بها حين يأتي إلى المدينة (لم يأتِ أبداً)، أضحت الفتاة أكثر ذكاء. «العلاقات في نيويورك تركّز على الانعزال»، قالت. «فكيف ترتبط أو تعيد الاتصال حين تقرر أنك تريد ذلك؟».

عزيزتي، عليك أن تغادري المدينة.

الحب في حانة بويري، الجزء الأول

إنها ليلة الجمعة في حانة بويري. الثلج يهطل في الخارج، والضوضاء تتصاعد من الداخل. تبدو تلك الممثلة من لوس أنجلس نشازاً مثيراً، بسترتها الزمادية، وتنورتها القصيرة، حيث يحيط بها مرافقوها الأنيقون جداً، المرضعون بالحلي. وثمة الممثل والمغني وصبي الحفلة، دونوفان ليتش، الذي يرتدي سترةً خضراء، وقبعةً أرجوانيةً غامقة، مع غطاء

للأذنين. وهناك أيضاً فرانسيس فورد كوبولا، الذي يجلس مع زوجته إلى الطاولة. على طاولة فورد كوبولا، كرسي فارغ. إنه ليس فارغاً فقط: بل هو فارغٌ بشكلٍ شهواني جذاب، ومثير، وفخر. إنه فارغٌ جداً حتى إنه يبدو أكثر امتلاءً من أي كرسي آخر في المكان. وفي اللحظة التي كان فيها خواء الكرسي على وشك أن يثير فضيحةً، جلس دونوفان ليتش، وبدأ حديثاً. شعر الجميع في الغرفة، على الفور، بالغيرة. أسقط في أيديهم جميعاً. بدأت الطاقة داخل الغرفة تترنّح بعنف شديد. هذا هو الرومانس في نيويورك.

الرجل المتزوج السعيد

«الحب يعني الارتباط بشخص آخر، ولكن ماذا لو أن ذاك الشخص أضحى عبئاً؟» قال أحد الأصدقاء، وهو من القلّة الذين ارتبطوا، كما أعرف، بزواج سعيد منذ اثني عشر عاماً. «كلّما نظرت إلى الوراء، اكتشفت أنك كنت على صواب. تبتعدين شيئاً فشيئاً عن التورّط بعلاقة، إلاّ إذا حدث شيء كبير ينتزعك من تلك الحالة- مثل موت الوالدين».

«ينسج أهل نيويورك غلالةً كاملةً يصعب اختراقها»، تابع قوله. «أشعر أنني محظوظ جداً لأن حياتي سارت على ما يرام، منذ البداية، لأن من السهل جداً أن لا ترتبطي بعلاقةٍ هنا، ويصبح من المستحيل تقريباً الرجوع عن ذلك».

المرأة المتزوجة السعيدة (نوعاً ما)

صديقةٌ متزوجة اتصلت بي هاتفياً. «لا أعلم كيف يمكن أحداً أن يجعل العلاقات تنجح في هذه المدينة. هذا صعبٌ حقاً. كل تلك المغريات، والسهرات، وأنواع المشروب، والمخدرات، والآخرين. يريد أحدنا أن يستمتع بوقته. إذا كنتما زوجين فماذا تفعلان؟ هل تجلسان في شقّتكما الصغيرة كالصندوق، وتحملقان أحدكما بالآخر؟ حين تكونين وحيدةً، يكون الأمر أسهل بكثير»، قالت بشيءٍ من الكآبة. «يمكنك أن تفعلي ما تشائين. ليس ضرورياً أن تعودي إلى البيت».

عازب كوكو بازو

قبل سنوات، كان صديقي كابوت دونكان يُعدّ من أكثر الرجال العازبين المرغوبين في نيويورك، وقد استطاع أن يصاحب كلّ امرأة في المدينة تقريباً. في تلك الآونة، كنّا ما نزال مثاليين، وكنّا نصدق أن امرأةً ما يمكن أن توقعه في حبالها. كنّا نعتقد أنه لا بدّ أن يقع في الحب، ذات يوم، وحين يحدث هذا، لا بدّ أنه سيغرم بامرأةٍ جميلة وذكية وناجحة. لكنّ الفتيات الجميلات الذكيات الناجحات كنّ يأتين ويذهبن، ومع ذلك، لم يقع في الحب.

كنّا مخطئين. اليوم، يجلس كابوت في مطعم «كوكو بازو» لتناول العشاء، ويقول إنه غير قابلٍ للمس. هو لا يريد علاقة. لا يريد حتى أن يحاول. إنه غير مهتمّ بأيّ ارتباطٍ عاطفي. لا يريد أن يسمع عن عصاب يدور في رأس أحدٍ آخر. ويخبر النساء بأنه سيكون صديقاً لهنّ، وأنهنّ يمكن أن يمارسن الجنس معه، ولكن إلى هذا الحدّ فحسب، الآن وإلى الأبد.

وهذا لا يعكّر صفوه. بل لم يعد يشعر بالحزن مثلما كان يحدث من قبل.

الحب في حانة بويري، جزء ثان

على طاولتي، في حانة بويري، يجلس باركر، ابن الاثنين والثلاثين عاماً، وهو روائي يكتب عن علاقات تنتهي دائماً بالفشل؛ وإلى جانبه صديقه روجر، والمحامي سكيبر جونسون.

يبلغ سكيبر من العمر خمسة وعشرين عاماً، ويجسّد جين إكس في كفره الشديد بالحب. «أنا، ببساطة، لا أصدق أنني سألتقي الشخص المناسب، وأتزوج»، قال. «العلاقات معقّدة جداً. وإذا كنتَ تؤمن بالحب، فأنت تهيّئ نفسك لخيبة الأمل. لا يمكنك أن تثق بأحد. الناس فاسدون جداً هذه الأيام».

«لكنه شعاع الأمل الوحيد»، احتجّ باركر. «وعليك أن تأمل أن ينقذك من التشاؤم».

لكنّ سكيبر براءٌ منه تماماً. «العالمُ أكثر خراباً الآن مما كان عليه قبل خمسة وعشرين عاماً. أشعر أنني منحوسٌ جداً لأنني ولدتُ في هذا الجيل، وتحدث لي كلّ هذه الأشياء. المال، والإيدز، والعلاقات، كلّها مرتبطة، ومتداخلة. معظمُ الشبان الذين هم في سنّي لا يعتقدون بأنهم سيحصلون

على عملٍ ثابت. حين تكون خائفاً من مستقبلك المادي، فإنك لا تريد أن تلزم نفسك بارتباط ما».

كنتُ أفهم تشاؤمه. في الآونة الأخيرة، وجدتُ نفسي أقول إنني لا أريد الارتباط بأية علاقة، لأنه، في النهاية، إذا لم تشأ الظروف وتتزوج، فإنك تخرج منها صفر اليدين.

أخذ سكيبر رشفةً من شرابه. «ليست لدي بدائل»، صرخ. «لن أقبل التوزط في علاقاتٍ سطحية، ولذلك لا أفعل شيئاً. ليس في حياتي رومانس أو حب. من تراهُ يحتاج إلى ذلك؟ من يحتاج إلى كلّ هذه المشاكل المحتملة من مرضٍ وخفل؟ ليست لدي أية مشاكل. لا خوف من مرضٍ، أو مرضى نفسيين، أو مدمنين. لماذا لا تكون فقط مع أصدقائك، تتبادل معهم أحاديث حقيقية، وتُمضي وقتاً طيباً حقاً؟».

«أنتَ مجنون»، قال باركر. «ليس الأمر مالاً فقط. ربما لا نستطيعُ أن نساعد بعضنا بعضاً مادياً، ولكن يمكن أن نتساعد من خلال شيءٍ آخر. العواطف لا تكلّف شيئاً. أن يوجد شخص تريد العودة من أجله إلى المنزل. أن يكون ثمة أحد في حياتك».

لدي نظرية تقول بأنّ المكان الوحيد الذي تستطيع أن تجد فيه الحب والرومانس في نيويورك هو المجتمع المثلي - وإن الرجال المثليين ما زالوا أصدقاء، بكثير من الافراط والعاطفة، بينما أضحى الحب الغيري محاصراً ومعزولاً. تكوّنت لدي هذه النظرية، وإن جزئياً، بعد كلّ ما سمعتُه وقرأته، أخيراً، عن الملياردير الذي ترك زوجته، وارتبط بشابٍ أصغر سناً - وراح يتجوّل، بكل جرأة، ويعرض عشيقه الشاب في أفخر مطاعم نيويورك وأحدثها، أمام أنظار كتاب أعمدة الفضائح. هناك، قلت لنفسي، يوجد العاشق الحقيقي.

كان باركر يتبث صحة نظريتي أيضاً. على سبيلِ المثال، حين بدأ باركر وروجر يريان بعضهما، مرض باركر. ذهب روجر إلى منزله ليطهو له عشاءً، ويعتني به. يستحيل أن يحدث هذا مع شخصٍ سوي. إذا مرض الشخص السوي، وكان ما يزال في بداية علاقة عاطفية مع امرأة، وأرادت هذه الأخيرة أن تعتني به، يتوارى عن الأنظار - يظنّ أنها تريد أن تتسلّل بالتدريج إلى حياته. ويُغلق الباب بإحكام.

«الحب خطير»، قال سكيبر.

«إذا كنتَ تدرك أنه خطير، فهذا يجعلك تحتفظ به مثل كنز، وتفعل ما بوسعك من أجل أن تحتفظ به»، قال باركر.

«لكن العلاقات هي دائماً خارج سيطرتك»، قال سكيبر.

«أنت شخص معقّد»، قال باركر.

ومضى روجر يستجوب سكيبر. «ماذا عن العلاقات الرومانسية العتيقة؟».

هنا تدخّلت صديقتي كيري. كانت تعرف جيداً هذا الصنف من الناس. «في كلّ مرّة يأتي رجلٌ ويقول لي إنه رومانسي، تنتابني رغبةٌ في الصراخ»، قالت. «كلّ ما يعنيه هو أن الرجل يحتفظ بنظرة مثالية عنك، وحالما تصبحين حقيقيةً، ولا تعودي تخاطبين خيالاته الفانتازية، ينطفئ شيء فيه. هذا ما يجعلُ الرجالَ الرومانسيين خطرين. ابقَي بعيدة».

في تلك اللحظة، وصل إلى الطاولة أحد هؤلاء الرومانسيين، حاملاً خطرةً معه.

قفازا السيدة

«لقد قتل الواقي الذكري حالة الرومانس، لكنه جعل الاستلقاء أكثر سهولة»، قال صديقٌ. «ثمة شيء متعلّق باستخدام الواقي يجعل بعض النساء يعتقدن بأن الجنس لا متعة فيه. لا يوجد احتكاك بين البشرة والبشرة. ولهذا يذهبن معك إلى الفراش بسهولة أكبر».

الحب في حانة بويري، الجزء الثالث

باركلي، البالغ من العمر الخامسة والعشرين، فنانٌ. مضت ثمانية أيام على باركلي وصديقتي كيري، وهما «يريان» بعضهما، وهذا يعني أنهما كانا يرتادان أماكن خاصة، ويتبادلان القبل، وينظر كلٌّ منهما في عيني الآخر، وهذا حلوٌ جداً. نعرف أن جميع اللّواتي بلغن سن الخامسة والثلاثين، بلغن أيضاً من ملكة السخرية حدّها الأقصى، وفكّرت كيري أنها يمكن أن ترتبط بعلاقة غرامية مع شاب أصغر منها سناً، لم يمضِ عليه وقتٌ طويلٌ في نيويورك بعد لكي يتكلّس.

أخبر باركلي صديقته كيري بأنه رومانسي، «لأنني أشعر بذلك»، ثم أخبرها بأنه يريد أن يحوّل رواية باركر إلى مسرحية تلفزيونية. وتبرّعت كيري بتعريف كلّ منهما على الآخر، وهذا سبب حضور باركلي إلى حانة بويري في تلك اللّيلة.

حين وصل باركلي، تبادل النظرات مع كيري ... ولم يشعرا بشيء. ولأنه كان قد استشعر، ربما، بقدوم المحتوم، أحضر معه «عشيقة»، هي فتاة غريبة، صغيرة السن، يشع وجهها ألقاً.

مع ذلك، حين جلس باركلي، قال، «أؤمن تماماً بالحب. سأشعر بالاكتئاب لو لم أكن أؤمن به. الناس أنصاف. والحب يجعل لكل شيء معنى إضافياً».

«وإذا حرمك أحدٌ منه، ينتهي أمرك إلى الحضيض»، قال سكيبر.

«ولكن تبتكر فضاءك الخاص»، قال باركلي.

وعرض سكيبر أهدافه: «أن تعيش في مونتانا، مع صحنٍ لاقط، وآلة فاكس، وسيارة رانج روفر، عندئذٍ تكون في أمان»، قال.

«ربما ما تريده هو الخطأ»، قال باركر. «ربما ما تسعى إليه يجعلك تفقد الراحة».

«أريد الجمال. يجب أن أكون مع امرأة جميلة. لا أستطيع أن أقاوم ذلك»، قال باركلي. « هذا هو السبب في أن العديد من الفتيات اللواتي أخرج معهن يكن حمقاوات».

تبادل سكيبر وباركلي أرقام هاتفيهما الخلويين. «هاتفك كبير جداً»، قال باركلي.

لاحقاً ذهب باركلي وكيري إلى حانة «النفق» ونظرا إلى جميع الناس الجميلين، ودخنا السجائر، وتبادلا الأنخاب. باركلي طار مع الفتاة التي يشع وجهها ألقاً، وكيري خرجت مع أفضل أصدقاء باركلي، جاك. رقصا معاً، ثم تزلجا على الثلج مثل مجنونين، وهما ينتظران سيارة أجرة تقلّهما. لم تستطع كيري حتى أن تنظر إلى ساعتها.

اتصل بها باركلي في ظهيرة اليوم التالي. «ماذا هناك، يا حلوة؟» قال.

«لا أعرف. أنت الذي اتصلت بي».

«قلتُ لك إنني لا أريد عشيقة. تدبري أمرك. أنت تعرفين أي نوع من الرجال أنا».

«أوه، أجل، صحيح»، أرادت كيري أن تقول، «أعرف أنك زير نساء وضيع وسطحي، ولهذا أردتُ الخروج معك».

لكنها لم تفعل.

«لم أنم معها. بل لم أقبلها»، قال باركلي. «هي لا تهمني. ولن أراها ثانيةً أبداً إذا كنتِ لا تريدين ذلك».

«أنا حقاً لا أهتم البتة»، والشيء المخيف هو أنها لم تكن تهتم حقاً.

ثم أمضيا الساعات الأربع التالية يناقشان لوحات باركلي. «أستطيع أن أفعل هذا طوال اليوم، كلّ يوم»، قال باركلي.

«هذا أفضل من الجنس بكثير».

اللامذعي العظيم

«الشيء الوحيد الباقي هو العمل»، قال المحرّر روبرت، ابن الاثنين والأربعين عاماً. «ثقة الكثير مما يجب القيام به. من منا يملك الوقت ليكون رومانسياً؟».

روى روبرت حكايةً عن كيف أنه انخرط في علاقة مع امرأة استهوته حقاً، ولكن بعد مضي شهر ونصف، اتضح له أن العلاقة لن يُكتب لها النجاح. «وضعتني تحت جميع الاختبارات الصغيرة. على سبيل المثال، يجب عليّ أن أتصل بها كلّ يوم أربعاء، لكي نقرّر موعد الخروج معاً يوم الجمعة. ولكن، يوم الأربعاء، كنت أشعر بأنني أريد، ربما، أن أقتل نفسي، والله وحده يعلم كيف تكون حالي يوم الجمعة. كانت تريد أن تكون مع رجل يحبها حباً جنونياً. أفهم ذلك. لكنني لا أستطيع أن أدعي شعوراً لا أحسّ به».

«بالطبع، ما زلنا صديقين جيدين حقاً»، أضاف، «ونرى بعضنا طوال الوقت. نحن فقط لا نمارس الجنس».

نرسيس في «الفصول الأربعة»

في إحدى ليالي الأحد، ذهبت إلى حفلةٍ خيرية في «الفصول الأربعة». كان الموضوع «أنشودة للحب». وقد سُقيت كلّ طاولة باسم زوجين مشهورين - هناك تامي فاي وجيم بيكر، ونرسيس ونفسه، وكاثرين العظيمة وحصانها، ومايكل جاكسون وأصدقاؤه. جلس آل داماتو على طاولة بيل وهيلاري. في وسط كلّ طاولة، كانت تبرز قطعةٌ للزينة، مصنوعة من مواد مناسبة - على سبيل المثال، على طاولة تامي فاي وبيكر كانت توجد رموش اصطناعية، وظلّ أزرق للعين، وشموع تشبه أقلام الحمرة. وعرضت طاولة مايكل جاكسون غوريلا محشوة، ومراهم للوجه، من ماركة بورسلانا.

بوب بيتمان كان هناك. «لم ينتهِ الحب- التدخين انتهى»، قال بوب، مبتسماً، بينما كانت زوجته، ساندي، تقف بالقرب منه، وكنتُ أنا أقف خلف نباتات الباب، أحاول سرقة بعض نفثات من السيجارة. قالت ساندي إنها تستعد لتسلّق جبلٍ في غينيا الجديدة، وستغيب لأسابيع عدة.

عدتُ إلى البيت وحيدةً، ولكن قبل أن أغادر، بوقتٍ قليل، ناولني أحدهم عظم فك حصان، كان قد التقطه عن طاولة كاترين العظيمة.

الحب في حانة بويري: خاتمة

نهض دونوفان ليتش، مغادراً طاولة فرانسيس فورد كوبولا، واقترب منا. «أوه، كلاّ»، قال. «أعتقد جازماً أن الحب يقهر كلّ شيء. أحياناً، كل ما ينبغي عليك فعله هو أن تمنحه هامشاً».

هذا بالضبط ما هو غائبٌ في مانهاتن.

أوه، بالمناسبة؟ بوب وساندي يستعدان للطلاق.

بدأ كلّ هذا كما كان يبدأ دائماً: بكلّ براءة. كنتُ أجلس في شقّتي، أتناول غداءً من المكسّرات والسردين، حين تلقّيتُ اتصالاً من أحد الأصحاب. ذهب أحد أصدقائه توّاً إلى نادي الجنس، «لي ترابيز»، المخصّص فقط للمرأة والرّجل، وأُصيب بالذّهول. طار صوابه. كان هناك عراةً يمارسون الجنس أمام عينيه تماماً. وخلافاً لنوادي (S&M)، حيث لا يُمارس جنس حقيقي، كان هذا بمثابة البندورة الحقيقية الشهية. فتاةُ هذا الشخص العارية شعرت بغرابةٍ كبيرة، رغم أنّها، حين احتكّت بها امرأةٌ عارية أخرى، «أحبت هذا، نوعاً ما». هذا حسب ما رواه.

في الحقيقة، تعلّق هذا الشخص بالمكان كثيراً حتى إنّه لم يكن يريدني أن أكتب عنه لأنّه، مثل معظم الأماكن الراقية في نيويورك، يمكن أن تدمّره الشهرة.

بدأتُ أتخيّل شتّى أنواع الأشياء: أزواجٌ شبّان جميلون بأجساد فتية. لمسٌ خجول. فتيات لهنّ شعر أشقر طويل، متموّج، يضعن أكاليلَ مصنوعة من ورق الكرمة. صبيان بأسنان متناسقة، ناصعة، يرتدون مآزر مصنوعة من ورق الكرمة. أنا، نفسي، أرتدي فستاناً قصيراً جذاباً، منسدلاً فوق كتفٍ واحدة، من ورق الكرمة. ندخلُ، مرتدين ملابسنا، ونخرجُ، مشرقين من الدّاخل.

أعادتني آلة تسجيل الهاتف في النادي إلى أرض الواقع، بشيءٍ من التحذير.

«في لي ترابيز، لا يوجد غرباء، بل أصدقاء لم تقابلهم بعد»، قال صوتٌ يصعب تحديد جنسه، ثم أضاف «هناك حانة للعصير، وبوفيه للطعام البارد والساخن» - أشياء قلّما أقرنها بالجنس أو التعرّي. بمناسبة الاحتفال بعيد الشكر، سوف تُنظّم «ليلةٌ مشرقية» في التاسع عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر. بدا هذا مثيراً للاهتمام، لولا أنّه اتضح أنّ اللّيلة المشرقية تعني الطعام المشرقي، لا النّاس المشرقيين.

كان يجب أن أتخلّى عن الفكرة نهائياً في تلك اللحظة. لم يكن ينبغي أن أصغي إلى سالي تيسديل، المقزّعة في خشونتها، وهي تتكلّم بانفعالٍ في كتابها الإباحي «قل لي كلاماً سوقياً» عن الجنس الجماعي العلني: «هذا تابو، بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنى... إذا كانت نوادي الجنس ستفعل ما تهدف إليه، فإنّنا سنشهد تصدّعاً وشيكاً. أجل، وكما خشي البعض،

ستشهد انهياراً للحدود. ... ولن يقدر المركز على الصمود». كان يجب أن أسأل نفسي، ما الممتع في كل هذا؟

ولكن كان يجب أن أرى بنفسي. وهكذا، ليلة الأربعاء الفائتة، سجل دفتر التقويم الخاص بي حدثين اثنين: في التاسعة مساءً، عشاء مع مصمم الأزياء كارل لاغرفيلد، في حانة بويري، وفي الحادية عشرة والنصف مساءً، التوجه إلى نادي الجنس «لي ترابيز»، الواقع في الشارع السابع والعشرين، شرقاً.

نسوةٌ فوضويات؛ وجوارب حتى الركبتين

يبدو أنّ الجميع يحب أن يتحدث عن الجنس، وعشاء كارل لاغرفيلد، المكتظ بعارضات الأزياء الفاتنات، ومحرري مجلات الأزياء المدعوين، لم يكن استثناء. في الحقيقة، أصاب جانب طاولتنا بما يشبه النوبة أو المس. إحدى النساء الشابات، المذهلات، من ذوات الشعر الفاحم الأجعد، وموقف من «رأى كلّ شيء»، - وحدهن بنات العشرين قادرات على إظهاره - زعمت أنها تحب أن تقضي وقتها في الذهاب إلى نوادي العاريات، وخاصة تلك «السيئة السمعة، مثل نادي بيل توبليس، لأن الفتيات هناك حقيقيات».

وأجمع الكلّ على أن النهود الصغيرة أفضل من النهود الاصطناعية، وأجري استطلاعٌ على الفور: من من الرجال حول الطاولة كان قد عرف امرأةً قد زرعت ثديين من السيليكون؟ وإذ لم يكن قد اعترف أحدٌ بينهم بذلك، لم ينف رجلٌ، هو فنانٌ، في منتصف الثلاثينيات، نفياً قاطعاً. «جزبث ذلك»، اتهم رجلٌ آخر، له وجهُ ملاك، ويعمل فندقياً ناجحاً، «وأسوأ ما في الأمر هو... أنك... أحببته».

«كلاّ، لم أحبه»، احتجّ الفنان. «لكنني لم أعزه اهتماماً».

لحسن الحظّ، وصل الطلب الأوّل، وملأ الجميع كؤوسهم بالنبيذ.

الجولة التالية: هل النسوةُ المهملات هن أفضل في الفراش؟ كان للفندقي نظريةٌ بهذا الخصوص. «إذا دخلت إلى شقة امرأة، ووجدت كلّ شيءٍ في مكانه، تدرك على الفور أنها لا تحبذ المكوث في الفراش طوال النهار، ولا تطلب طعاماً صينياً وتأكله في السرير. سوف تجعلك تستيقظ، وتتناول خبزاً محفصاً على طاولة المطبخ».

لم أكن أعرف بالضبط كيف أردّ على هذا، لأنني، حرفياً، من أكثر الأشخاص إهمالاً في العالم. وربما لدي بعض الصحون القديمة، من دجاج

«جنرال تسو» الخاص، ما تزال متروكةً تحت سريري، حتى هذه اللحظة. ولسوء الحظ، أكلتها جميعاً وحدي. وكفى حديثاً عن تلك النظرية.

ثم قُدمت شرائح اللحم. «الشيء الذي يفقدني حقاً صوابي»، قال الفنان، هو «عندما أرى امرأة ترتدي واحدةً من تلك التنانير المقلّمة، مع جوارب طويلة للزكبتين. لا أستطيع أن أعمل طوال النهار».

«كلاّ»، عارضه الفندقي. «أسوأ شيء هو عندما تمشي خلف امرأةٍ في الشارع، وتلتفت إليك، وترى أنها جميلة، مثلما توقّعت تماماً. هذا يمثل كلّ ما لن تستطيع الحصول عليه في حياتك».

مالَ الفنان بجذعه إلى الأمام. «مرةً توقّفتُ عن العمل لمدة خمس سنوات بسبب امرأة»، قال.

صمت. لا أحد يستطيع أن يضاهي ذلك.

وصلت حلوى الشوكولاته، ومعها وصل عشيقي إلى نادي «لي ترابيز». وبما أن «لي ترابيز» لا يستقبل سوى زوجين- أي رجل وامرأة - كنتُ قد طلبتُ من آخر عشيقٍ لي، هو سام، المستثمر المصرفي، أن يرافقني. سام خيارٌ جيد، لأنه، أولاً، الرجل الوحيد الذي أستطيع إقناعه بالذهاب معي، وثانياً لأنه مز توّاً بتجربة من هذا النوع. قبل مليون سنة، ذهب إلى «منتجع أفلاطون». أتته امرأة غريبة وأخرجت له عضوه. عشيقته، التي كانت هي صاحبة الفكرة في الذهاب إلى هناك، فزت هاربةً من النادي، وهي تصرخ.

ووصل الحديث إلى موضوع لا مفرّ منه: أي نوعٍ من البشر يذهبون إلى نوادي الجنس؟ بدوتُ كأنني الوحيدة التي ليس لديها أدنى فكرة عن ذلك. ورغم أنه لم يسبق لأحد منهم أن ذهب إلى نادٍ للجنس، أكّد كلّ واحد منهم، على العشاء، أنّ المرتادين لهذه النوادي هم غالباً «فاشلون من نيوجرسي». أحدهم أشار إلى أن الذهاب إلى نادٍ للجنس لا يقتصر على القيام بذلك وحسب، بل لا بدّ من وجود مسوّغٍ مقبول، من مثل أنّ هذا جزءٌ من عملك. لم يجعلني هذا الحديث أشعر براحة أكبر. طلبتُ من النادل أن يُحضر لي كأساً من نبيذ «التيكلاّ» المكسيكي.

نهضنا، سام وأنا، استعداداً للمغادرة. قدّم لنا كاتبٌ يغطي أحوال الثقافة الشعبية آخر نصيحة. «سيكون الأمر مروّعاً جداً»، قال محذّراً، رغم أنه لم يسبق له أن زار مكاناً كهذا من قبل. «إلاّ إذا أحكمتم السيطرة. عليكم أن تُحكموا سيطرتكم على المكان. ينبغي أن تجعلوا الأمر يحدث».

يقع نادي «لي ترابيز» في مبنى مشاد من الحجر الأبيض، المغطى بزخارف الغرافيتي. المدخل أنيق، مع درابزون معدني مدور، يمثل النسخة الشعبية من مدخل فندق رويالتون. رأينا زوجين يخرجان، فيما كنا نحن ندخل، وحين رأتنا المرأة، أخفت وجهها بباقة معطفها.

«هل سيكون الأمر مسلياً؟» تساءلت.

نظرت المرأة إلي برعب، وهرعت باتجاه سيارة الأجرة.

في الداخل، شاب فاحم الشعر، يرتدي قميصاً رياضياً مخططاً، يجلس داخل مقصورة صغيرة. بدا في الثامنة عشرة من عمره. لم ينظر إلى الأعلى.

«هل ندفع لك؟».

«خمسة وثمانون دولاراً للزوج؟».

«هل تقبلون بطاقات الاعتماد؟».

«نقداً فقط».

«هل يمكن أن أحصل على فاتورة؟».

«كلا».

وكان علينا أن نوقع على بطاقات تقول إننا نلتزم بقواعد ممارسة الجنس الآمن. وحصلنا على بطاقات عضوية مؤقتة، لتذكيرنا بأن البغاء والكاميرات وآلات التسجيل غير مسموح بها في الداخل قط.

كنت أتوقع جنساً مشبعاً بالبخار، لكن الشيء الأول الذي وقع بصرنا عليه هو طاولات مبخرة، أقصد بوفيه الطعام البارد والساخن، المذكورة آنفاً. لم يكن هناك أحد يتناول الطعام، وقرأنا لافتة فوق طاولة البوفيه تقول «عليك أن تغطي جذعك الأسفل إذا أردت تناول الطعام». ثم رأينا المدير، بوب، وهو رجل له لحية خفيفة، ويرتدي قميصاً مربع النقوش، وبنطال جينز، وبدا كأنه قد أشرف سابقاً على مأوى للحيوانات المنزلية في فيرمونت. أخبرنا بوب أن النادي ما زال مستمراً منذ خمسة عشر عاماً، وذلك بفضل «تميزه». ثم أضاف، «هنا، كلا تعني كلا». وأخبرنا أنه يجب أن لا نقلق إذا تصرفنا كمختلسين للنظرات، لأن معظم الناس يبدأون على هذا النحو.

وما الذي رأيناه؟ حسناً. غرفة كبيرة، مؤثثة بفرشة هواء ضخمة، يستلقي عليها عدد من الأزواج المنهمكين بلعبتهم، وثمة «كرسي للجنس» (خاو) بدا مثل عنكبوت، وامرأة سمينة، ترتدي «روباً»، تجلس قرب

الجاكوزي وتدخن، وزوجان آخران، بنظراتهما الزجاجية («ليلة هواة الجنس الحي»، قلتُ في نفسي)، وعدد من الزجال الذين يجدون صعوبةً، على ما يبدو، في إبقاء الظرف الآخر من صفقتهم قائماً. وفي الغالب الأعم، كانت تلك الطاولات اللّعينة المبخرة (تحتوي على ماذا - قطع صغيرة من الـ «هوت دوغ»)، وهذا، لسوء الحظ، كلّ ما تحتاج إلى معرفته.

لم يكن «لي ترابيز» سوى المرادف لعبارة «مزق إرباً»، على حد قول الفرنسيين.

في الواحدة ليلاً، بدأ الناس بالعودة إلى بيوتهم. أخبرتنا امرأةٌ ترتدي فستان نوم بأنها جاءت من مقاطعة ناساو، ثم أضافت أنه يجب أن نعود ليلة السبت القادم. «ليلة السبت» قالت المرأة، «ستكون مائدة مفتوحة وعامرة». لم أشأ أن أسألها إن كانت تتحدث عن الزبائن - خشيتُ أن تكون قد قصدت ذاك البوفيه المفتوح.

كلامٌ سوقي في مورتايمرز

بعد مضي بضعة أيام، دُعيت إلى غداء للسيدات في مطعم مورتايمرز. مزة أخرى دارت البوصلة نحو الجنس، وإلى تجاربي في نادي الجنس.

«ألم يستهوكِ ذلك؟» سألت شارلوت، الصحافية الإنكليزية. «أود لو أذهب إلى مكانٍ كهذا. ألم تستيقظ شهوتكِ وأنت تتفرجين على كلّ هؤلاء الناس الذين يمارسون الجنس؟».

«أبداً»، قلتُ، وحشوتُ فمي بكسرات من الذرة المقفسة ببيض سمك السلمون.

«ولمَ لا؟».

«لا تستطيعين أن تري أي شيء في الحقيقة»، شرحتُ.

«وماذا عن الرجال؟».

«هذا هو الجزأ الأسوأ»، قلتُ. «بدا نصف هؤلاء كفعالجين نفسيين. لن أستطيع، بعد الآن، الذهاب إلى جلسة علاج من دون تخيل رجل سمين ملتحٍ يسلتقي عارياً على حصير، نظاراته زجاجية، وساعة كاملة من الجنس الفموي لم تحمله على بلوغ ذروته».

نعم، أخبرتُ شارلوت أننا خلعنا ملابسنا - ولكننا ارتدينا المناشف. كلاّ، لم نمارس الجنس. كلاّ، لم تستيقظ شهوتي، حتى عندما دخلت امرأة جذابة، فاحمة الشعر، ثلاثينية، ولفتت الانتباه. كانت تعرض مؤخرتها مثل قرد، وفي غضون دقائق، اختفتْ في غابةٍ من الأذرع والسيقان. كان يجب

أن يكون هذا مغرياً، ولكن كلّ ما استطعتُ التفكير فيه هو أفلام الطبيعة المصوّرة، في سلسلة (ناشونال جيوغرافيك) عن سعادين أفريقية تتزاوج.

والحقيقة هي أنّ الاستعراضية والتلصصية لا تنتميان إلى الثقافة السائدة. بل لا تقع أيّ منهما، إذا شئت، في صلب نوادي (S&M)، رغم كلّ ما تكون قد قرأته في أمكنة أخرى. المشكلة في النوادي، في كلّ الأحوال، تتعلّق بالبشر أنفسهم. إنهن الممثلات اللّواتي لا يمكنهن العثور على عمل، والفاشلون من الكتّاب والرسّامين ومغنيات الأوبرا، ورجال الإدارة من المستوى المتدنّي، الذين لا يمكنهم الارتقاء إلى مستوى أوسط. أناسٌ لو أتيحت لهم فرصة محاصرتك في حانة، لأبقوك رهينةً لحكاياتهم عن أزواجهم السابقين، واضطراباتهم الهضمية. إنّهم أناسٌ لا يستطيعون التفاوض مع النظام العام. يعيشون على الهامش، جنسياً، وفي الحياة. وهم ليسوا، بالضرورة، ممن تريد أن تشاطرهم تخيلاتك الحميمة.

حسناً. ليس الناس جميعاً في «لي ترابيز» من شاحبي الوجوه، أو المدمنين البدينين، القصيري القامة. قبل أن نغادر النادي، وقع بصرنا، أنا وسام، على امرأة فارعة الطول، تشتّت الانتباه حقاً، ومعها عشيقُها داخل حجرة خلع الملابس. للرجل وجه متناسق، نظيف، أميركي التقاطيع، ويبدو أنه كثير الكلام. إنه من مانهاتن، كما قال، وقد افتتح تجارة خاصة به منذ فترة وجيزة. هو والمرأة كانا زميلين في العمل، كما قال. وحين انزلقت المرأة داخل بزّة صفراء، ابتسم الرجل وقال، «لقد أشبعتْ تخيلاتها الفانتازية هذه اللّيلة». حدّقت به المرأة لثوان، ثم هرعت خارجةً من الحجرة.

بعد بضعة أيام اتصل بي سام، فصرخت في وجهه. سألني ألم تكن الفكرة فكرتي منذ البداية؟

ثم سأل إن كنتُ قد تعلّمتُ شيئاً؟

قلتُ نعم، لقد تعلّمت. قلتُ له تعلّمتُ أنه، في ما يتعلّق بالجنس، لا مكانَ أفضل من البيت.

ولكنك تعرف ذلك أليس كذلك؟ أليس كذلك، يا سام؟

في ظهيرة ليست بالبعيدة، اجتمعت سبع نساء في مانهاتن، على النبيذ والجبن والسجائر، لمناقشة موضوع حميم يمثل قاسماً مشتركاً بينهن جميعاً: الزجل. وعلى وجه الخصوص «رجل مانهاتن المرغوب»، رجل سوف نطلق عليه اسم «توم بيري».

يبلغ توم بيري الثالثة والأربعين من العمر، وطوله خمسة أقدام وعشرة إنشات، وشعره بلّي مبل. ليس في مظهره شيء استثنائي، سوى ولعه، منذ بضع سنوات، بارتداء بزّات فاحمة من ماركة «أرماني»، مزوّدة بعلاقات مضحكة. ينحدر من عائلة صناعية ثرية، وقد شب وترعرع في الجادة الخامسة، وشارع «بيدفورد»، في نيويورك. وهو يسكن الآن في أحد الأبراج العالية، المطلّة على الجادة الخامسة الشهيرة.

خلال الأعوام الخمسة عشر الأخيرة، تحوّل بيري، الذي يُشار إليه دائماً، تقريباً، باسمه الأخير، إلى ما يشبه الأسطورة في نيويورك. إنه ليس زير نساء بالمعنى الدقيق للكلمة، لأنه يحاول دائماً العثور على زوجة. والأصح أن بيري هو أحد أكثر عشاق المدينة، المدمنين في علاقاتهم، اكتمالاً، إذ إنه ينخرط في أكثر من اثنتي عشرة «علاقة» سنوياً. ولكن بعد يومين أو شهرين، يقع المحظور، أو ما لا مناص منه. شيء أو خطأ ما يحدث، ثم يقول، «لقد تخلّت عني».

بالنسبة إلى نمط معين من النساء - امرأة في الثلاثين، طموحة، ولها مكانة مرموقة في المجتمع - فإن إقامة علاقة مع بيري، أو تجاهل اهتمامه، بات نوعاً من الطقس أو الشعيرة، لا يقلّ إثارة عن ركوبك الأول لسيارة ليموزين، وربما سطوك الأول، في الوقت ذاته.

حتى بين رجال سيدات المدينة البارزين الآخرين، يتفرّد بيري في اختلافه. على الأقل لسبب واحد، وهو أنه يبدو الأقلّ في امتلاكه أوراقاً مهمة. إنه لا يحمل وسامة الكونت إريك ووتشميستر وأناقته، ولا السيولة النقدية السهلة لمورت زكرمان.

أردتُ أن أعرف ما الذي كان يتميز به بيري؟

جميع النسوة اللّواتي اتصلتُ بهن كنّ على علاقة مع بيري - إما بشكل حميم أو كهدف لعواطفه الجياشة - واعترفتْ كلّ منهن بأنها هي التي تخلّت عنه. ولم ترفض أيّ منهن طلبي على أن نعقد معاً جلسة حديث عن

بيري. ربما كان لكلّ منهن شيء ما يزال عالقاً... مع بيري. ربما كنّ يردن استرجاع العلاقة معه. وربما كنّ يتمنين موته.

«مثل داريل فان هورن»

التقينا في منزل سارة، المخرجة السينمائية التي عملت يوماً عارضة أزياء، «حتى سنمتْ هذه القذارة، وكسبتْ عشرين جنيهاً». كانت ترتدي طقماً أسود اللون، مضفوراً بشرائط. «حين تنظرين إلى قائمة الأشخاص الذين أقمتِ معهم علاقة، تجدين أن بيري وحده هو الشخص الذي لا معنى لصداقته»، قالت. «تفكّرين، ما مغزى تلك العلاقة؟».

لكن، حتى قبل أن نصل إلى النقف اللذيذة، اصطدمنا باكتشاف مقلق. رغم أنهن جميعاً لم يسمعن أي خبرٍ عن بيري، منذ عدة أشهر، إلا أنه في ذلك الصباح بالذات، اتصل بأربع منهن.

«لا أظن أنه يعرف شيئاً، وأعتقد أنها مجرد مصادفة»، قالت ماجدة. كانت تربط ماجدة صداقة مع بيري استمرت لسنوات. والحقيقة أن معظم صديقاتها كنّ على علاقة سابقة مع بيري، وقد تعرّفت عليهن من خلاله.

«إنه يعرف عنا كلّ شيء»، قالت إحداهن. «إنه يشبه داريل فان هورن في رواية (ساحرات إيستويك)».

«الأصح أن يُشبه بفان صاحب القرون»، قالت أخرى. فتحنا زجاجات النبيذ.

«الشيء حول بيري هو التالي»، قالت سارة. «السبب وراء كونه يسحر اللب هو أنه حين تقابلينه لأوّل مرة تجدينه منطلقاً، وصاحب روح مرحة، وحاضراً في كلّ الأوقات، لأنه لا يعمل. ماذا يمكن أن يكون أكثر متعةً من شخص يقول لك: قابليني على الغداء، ثم تعودين إلى العمل، ويقول لك: قابليني على كوكتيل في السادسة. متى كانت آخر مرة خرجتِ فيها مع شخص يريدُ، في الحقيقة، أن يراكِ ثلاثَ مرات في اليوم؟».

«كلمة كوكتيل ملغومة تماماً»، قالت ماجدة. «هذا يذكّر بكاثرين هيبرن وكاري غرانت».

جاكي، وهي محرّرة لمجلة، قالت، «حين قابلتُه، بدأنا نخرج معاً على الفور - خمس ليال في الأسبوع. لا يتركك وحيدةً أبداً».

«إنه ذكي، وما يميزه هو أنه يحبّ التلفون»، قالت سارة. «هذا يجعلك تفكّرين إنه حقاً مغرم بك لأنه يتصل عشر مرات في اليوم. ثم تبدئين تتغافلين عن حقيقة كونه مجرد ذاك الشيء الصغير الطريف الملامح».

«ثم تبدئين النظر إلى علاقات بنطلونه، وتفكرين، أوه يا إلهي!» قالت مييف، وهي شاعرة من أصول أيرلندية.

«ثم تبدئين تدركين أنه ليس شخصاً مسلّياً»، قالت سارة. «لديه مخزون جيد من المزاح، ولكن بعد أن تسمعيه لأكثر من مليون مرة، يصبح حقاً منغصاً. الأمر يشبه الحلقة. إنه يكرر نفسه».

«أخبرني أنني الفتاة الوحيدة التي خرج معها، وأسمعها هذا الكلام الطريف»، قالت مييف، «ولكني لم أكن أحسب للحظة أن مزحاته طريفة».

«ثم ترين شقته. هؤلاء الرجال، بخمسة وعشرين باباً - من أجل ماذا؟».

«تتساءلين لماذا لا يتخلّص من الأثاث كلّه، ويذهب إلى (مخزن الباب)، بدلاً من ذلك؟».

«مرّة لفت انتباهي إلى حمالات مناديل ورقية كان قد اشتراها. كانت تشبه أصفاد اليدين. إنه يريد أن يغوي فتاة بحمالات مناديل ورقية».

اللقاء الأول: 44

إذاً، كيف بدأ كلّ هذا؟

قصة جاكي نموذجية. «كنت أنتظر طاولةً في مطعم الوشاح الأزرق»، قالت. «أتى إلي، وبدأ يتحدث. بدا على الفور مسلّياً. فكرت، أوه، يا إلهي، إننا حقاً بدأنا ننقر على الأوتار الحساسة. وربما لن أسمع منه ثانيةً أبداً». جميعهن هززن رؤوسهن موافقات. على كلّ حال، ألم نكن جميعاً هناك؟

«اتصل حوالى الثامنة في الصباح التالي»، قالت جاكي.

«هل ترغبين بالخروج لتناول الغداء؟» سأل. يدعوك إلى الغداء في محال (44)، في اليوم التالي.

ضحكت سافير، وهي أم شقراء مطلقة. «لم يأخذني إلى (44) حتى اليوم التالي».

«وإذ تظنين أنه ما زال مسلّياً، يطلب منك أن تصطحبيه في عطلة نهاية الأسبوع»، قالت جاكي.

«طلب الزواج مني في اليوم العاشر تقريباً»، قالت سارة. «وبدا هذا سريعاً جداً، حتى بالنسبة له».

«اصطحبني إلى العشاء في منزل أهله، بعد لقائنا الثالث تقريباً»، قالت بريتا، وهي امرأة سمراء، رشيقة الساقين، تعمل مندوبة مبيعات، والآن هي متزوجة وسعيدة. «كنت فقط أنا وأهله والبواب. في اليوم التالي، أتذكر أنني كنت أجلس على سريره، وكان يُريني صور فيديو منزلية حين كان

طفلاً. راح يتوسل إلي كي أتزوجه. كان يقول: اسمعي، أنا جاد. ثم أوصى على طعام صيني مؤلف من الجبن. فكرت في نفسي: أتزوجك؟ ماذا، هل تُدخن شيئاً ما؟».

تنهدت رامونا. «من جهة أخرى. كنتُ قد انفصلتُ لتوي عن شخص آخر، وكنتُ أشعر بضيقٍ شديد. كان دائماً هناك».

بدأ النمط يتضح. النسوةُ اللّواتي ارتبطن ببيري كنّ لتوهن قد انفصلن عن أزواجهن، أو عشاقهن، وحينئذٍ وجدهن بيري. أم هنّ اللّواتي وجدنه؟

«إنه شخص قادرٌ على العودة دائماً»، قالت سارة بلهجةٍ قاطعة. «كأن يقول، اعذريني، هل أنت منفصلة؟ ما رأيك أن نبني علاقةً حميمة؟».

«إنه (زهرة أيار) العاطفية»، قالت مييف. «يستدرج النساء من النقطة (أ) إلى النقطة (ب)، تصلين إلى بليموث روك، وأنت تشعرين بحالٍ أفضل بكثير».

قدرته على التقمص العاطفي نقطةٌ قوية. وكانت عبارة «إنه مثل فتاة» قد ذُكرت مرةً تلو أخرى. «يقرأ مجلات الأزياء أكثر من معظم النساء»، قالت سافير، «كما أنه مستعدٌ لخوض معاركك أكثر من استعداده لخوض معاركه».

«تقتُه بنفسه كبيرةٌ جداً»، تابعت مييف. «أعتقد أن من الخطأ الفادح أن يقدّم الرجال أنفسهم على أنهم معتوهون، عاجزون، لا يستطيعون العثور، حتى على جواربهم. بيري يقول: أنا في وضع آمن تماماً. اعتمدي علي. وتقولين في نفسك، يا لها من راحة! حقاً، هذا كلّ ما تتمناه النساء. معظم الرجال لا يفهمون ذلك. على الأقل، بيري ذكي جداً لكي يتظاهر بذلك».

ثم هناك الجنس. «إنه رهيبٌ في السرير»، قالت سارة.

«إنه بارعٌ بطريقة لا تُصدّق»، قالت سافير.

«أتظنين أنه رهيب؟» سألت جاكي. «أظن أنه رهيب. هل يمكننا أن نتحدث عن قدميه، من فضلكن؟».

رغم ذلك، وعند هذه النقطة، بدا بيري تجسيداً لشيئين اثنين تقول النساء إنهن يرغبن بهما أكثر من أي شيء آخر: رجلٌ يستطيع التحدث إليهن وتفهم أمورهن مثل امرأة، لكنه أيضاً يعرف كيف يكون رجلاً في السرير. إذاً، أين يكمن الخلل؟

بيري: القياس (ثمانية) بهم

«الأمر على هذا النحو»، قالت ميف. «ما دمت غصابية ومجنونة، فإنه شخص عظيم. لكنه، ما إن يحلّ المشكلة حتى يصبح هو نفسه المشكلة».

«يمكن أن يصبح لئيماً بطريقة لا تُصدّق»، قالت إحداهن. أومأت الأخريات بالموافقة.

«ذات مزة»، قالت جاكي، «حين قلتُ له إنّ قياسي ثمانية قال: لا يمكن أن يكون قياسك ثمانية. قياسك عشرة، على الأقلّ. أعرف قياس ثمانية وكيف يبدو، وصدّقيني، قياسك عشرة».

«كان دائماً يخبرني أن عليّ أن أخسر خمسة عشر باونداً»، قالت سارة، «وحين بدأت أخرج معه، كنت الأكثر نحولاً منذ سنوات».

«أعتقد أنه عندما يخبر الرّجالُ النساءَ أنّ عليهنّ أن يفقدن الوزن، تكون هذه طريقة لحرف الانتباه عن افتقارهم للقياس في بعض المناطق»، أضافت إحدى النسوة بنبرة جافّة.

تذكّرتْ ميف رحلة تزلج إلى «وادي الشمس». «فعلَ بيري كلّ شيء، بطريقة صحيحة. اشترى البطاقات، وحجز الأماكن. ولا بدّ أنها ستكون رحلة عظيمة». لكنهما بدآ يتشاجران في سيارة الليموزين وهما في طريقهما إلى المطار - أرادا الجلوس على الجانب نفسه. في الوقت الذي استقلاّ فيه الطائرة، كان على المضيفة أن تفصل بينهما. («في غضون ذلك، كنّا نتجادل حول من سوف يستنشق هواءً أكثر»، قالت ميف.) وتشاجرا عند سفوح التزلج. في اليوم الثاني، بدأت ميف تحزم حقائبها. «قال، هه، هه، هه، إنّ الطقس بارد جداً في الخارج، ولا يمكنك أن تغادري»، تذكّرت ميف. «قلتُ له: هه، هه، هه، سوف أستقلّ باصاً».

بعد مضي شهر، عادت ميف إلى زوجها. لم تكن حالتها غير عادية، فالعديد من النسوة انتهى بهنّ المطاف تاركاتٍ لبيري، وعائداتٍ إلى رجالهنّ، الذين سبق أن انفككن عنهم.

ولكن هذا لا يعني أن بيري اختفى عن الأنظار نهائياً. «استمرّت الرسائل والفاكسات، ومئات الاتصالات الهاتفية»، قالت سافير. «كان الوضع فظيعاً. إنّ لديه قلباً هائلاً، وسوف يكون شخصاً هائلاً ذات يوم».

«احتفظتُ بجميع رسائله»، قالت سارة. «إنها مؤثّرة جداً. يمكنك عملياً أن ترى آثار دموعه فوق الصفحات». تركت الغرفة، ثم عادت بعد بضع ثوانٍ، وفي يدها رسالة. وقرأت بصوتٍ عالٍ: «لا تدينيني لي بحبك، ولكن أرجو أن تملكي الشجاعة للمبادرة، واحتضان حبي. لم أرسل لكِ الزهور لأنني لا أريدُ لأشياء ليست من ابتكاري أن تُنقص من حبي لكِ، أو حتى أن تشاركني إياه». ابتسمتْ سارة.

في الفترة ما بعد بيري، زعمت النسوة أن حياتهن سارت على نحو أفضل. قالت جاكي إنها انخرطت في علاقة مع مدربها الشخصي، وماجدة نشرت روايتها الأولى، ورامونا تزوجت، وهي حامل الآن، ومييف فتحت مقهى، وسافير أعادت اكتشاف حب قديم، وسارة قالت إنها سعيدة لأنها تطارد شاباً وسيماً في السابعة والعشرين من عمره.

أما بالنسبة لبيري، فقد غادر إلى الخارج، بحثاً عن فرص زواج جديدة. وسمعت إحدى النسوة بأن امرأة إنكليزية تخلّت عنه، لأنها تريد حقاً أن تتزوج دوقاً. «دائماً يرتبط بالنسوة غير المناسبات»، قالت سافير.

قبل ستة أشهر، عاد بيري في زيارة وخرج مع سارة إلى العشاء. «أخذ يدي في يده»، قالت، «وكان يقول لصديقه: إنها المرأة الوحيدة التي أحببتها في حياتي. وكرمى للزمن الماضي، عدتُ إلى شقته لاحتساء كأس نبيذ، وطلب بكل جدية يدي للزواج، حتى إنني لم أصدق. حسبتُ أنه يكذب. ولذلك قررتُ أن أعذبه».

«قال لي لا أريدك أن ترى رجالاً آخرين، ولن أرى امرأة أخرى».

«قلتُ حسناً، وفكرتُ كيف يمكن للأمر أن ينجح؟ هو يعيش في أوروبا، وأنا أعيش في نيويورك. لكنه في الصباح التالي، اتصل بي، وقال «تدركين أنكِ صديقتي الآن».

«قلتُ، حسناً بيري، هذا جيد جداً».

عاد أدراجه إلى أوروبا، وقالت سارة إنها نسيت الموضوع كلّياً. ذات صباح، كانت مع عشيقها الجديد في السرير، حين رنّ جرس الهاتف. كان بيري على الخط. وبينما كانت سارة تتحدث إليه، قال عشيقها: «هل ترغبين ببعض القهوة؟» وهنا ثارت ثائرة بيري.

«من هناك؟» قال.

«صديق»، قالت سارة.

«في العاشرة صباحاً؟ وتنامين مع شخص آخر؟» وأقفل السفاعة، لكنه بعد أسبوع، عاد واتصل بي.

«هل أنتِ جاهزة؟».

«للقيام بماذا؟» قالت سارة.

«سوف نتزوج، أليس كذلك؟ هل ما زلتِ ترين شخصاً آخر؟».

«اسمع، يا بيري، أنا لا أرى خاتماً حول إصبعي»، قالت ساره.

«لماذا لا ترسلْ مبعوثاً إلى محالّ هاري وينستون لاختيار شيء ما، ثم نتكلّم».

لم يتصل أبداً بهاري وينستون، ولم يتصل بسارة ثانيةً، إلاّ بعد أشهر. قالت إنها اشتاقت إليه بعض الشيء. «أقدّره كثيراً»، قالت. «أشعر بالشفقة نحوه لأن حياته مقلوبة رأساً على عقب».

بدأت العتمة تهبط في الخارج، ولكن لم يكن أحدٌ يريد أن يغادر. الجميع أراد البقاء، مسفراً، أمام فكرة رجلٍ مثل توم بيري، لكنّه ليس توم بيري.

إنه غداء يوم آخر. نميمةٌ شريرةٌ مع رجل قابلته توّاً. كنا نناقش موضوع صديقين مشتركين لنا، هما زوجان. هو يعرف الزوج وأنا أعرف الزوجة. لم أقابل الزوج أبداً، ولم أرَ الزوجة منذ سنوات (باستثناء اللقاء بها مصادفةً في الشارع)، ولكن، كالعادة، كنتُ أعرف كلّ شيء عن الوضع.

«ستنتهي الأمور نهايةً وخيمة»، قلتُ. «إنه رجل مفضّل. فأرْ ريفي. دخل من بوسطن، ولم يكن يعرف شيئاً عنها أبداً، ولم تفوت هي الفرصة. كانت قد عرفت العديد من الرجال في نيويورك، ولها سمعة سيئة. لن يقبل أيّ رجلٍ في نيويورك الزواج بها».

هجمتْ على الفروج المقلّي كنوعٍ من التحمية للموضوع. «النساء في نيويورك يعرفن... أقصد أنهنّ يعرفن متى يحينُ موعد زواجهنّ، وذلك عندما يتزوجن بالفعل. ربما لأنهنّ ذهبن إلى الفراش مع رجال كثر، أو أدركن أنّ حياتهنّ المهنية لن تتأثر، وربما كنّ حقاً يرغبن بالأطفال. حتى يصير هذا، يؤجلن الموضوع أطول مدة ممكنة. ثم تأتيهنّ تلك اللحظة، وإذا لم يغتنفنها...»، هززتُ كتفي استهجاناً. «هذه هي الحقيقة. الاحتمالات تقول إنهنّ لن يتزوجن أبداً».

كان الشخص الآخر على الطاولة، وهو موظف في شركة، يقطن في ويتشيستر، وله شخصية الأب الشغوف بأبنائه، ينظر إلينا برعب. «ولكن ماذا عن الحب؟» سأل.

نظرتُ إليه بشفقة. «لا أظنّ ذلك».

حين يتعلّق الأمر بالعثور على شريك زواج، فإنّ نيويورك، على وجه الخصوص، لها طقوسها القاسية، المعقّدة والشائكة، كتلك التي تصوّرها إيديث سيتويل في روايتها. الجميع يعرف القواعد - ولكن لا أحد يريد أن يتحدّث عنها. والنتيجة هي أنّ نيويورك أنجبت نمطاً خاصاً من المرأة العازبة - ذكية، جذّابة، ناجحة... وغير متزوجة أبداً. وغالباً ما تكونُ في أواخر الثلاثينيات أو بداية الأربعينيات من عمرها، وإذا كان للحكمة البراغماتية من معنى، فإنها، على الأرجح، لن تتزوج أبداً.

لا يتعلّق الأمر هنا بالإحصائيات، أو الاستثناءات. جميعنا سمعنا بالمسرحي الناجح الذي تزوج مصفّمة أزياء جميلة، تكبره ببضع سنوات. ولكن عندما تكون إحداهنّ جميلةً وغنيةً وناجحة، وتعرف «الجميع»، فإنه لا يمكن تطبيق القواعد العادية هنا.

ماذا لو أنك، من جهة أخرى، في الأربعينيات، وجميلة، وتعملين منتجةً تلفزيونية، أو لديك شركتك الخاصة، لكنك ما تزالين تعيشين في شقة صغيرة، وتنامين على إيوان متحزك - فترة التسعينيات التي تذكّر بماري تايلور مور؟ عدا أنك، على نقيض ماري تايلور، ذهبت، في الحقيقة، إلى الفراش، مع كلّ هؤلاء الرجال، عوضاً عن طردهم خارجاً، بكلّ احتشام، بعد الساعة الثانية عشرة ودقيقتين من منتصف اللّيل؟ ما الذي كان سيحدث لجميع هؤلاء النسوة؟

ثمة الآلاف، وربما عشرات الآلاف من النساء، على هذه الشاكلة، في المدينة. جميعنا يعرف العديد منهن، وجميعنا متفقٌ على أنهن عظيمات. إنهن يسافرن، ويدفعن الضرائب، وجميعهن ينفقن أربعمئة دولار لشراء زوج من صنادل «مانولو بلاهنيك» المتينة.

«لا يوجد ما يعيب هؤلاء النسوة»، قال جيري، وعمره تسع وثلاثون، ويعمل محامياً في شركة، وقد شاءت المصادفة أن يتزوج واحدةً من هؤلاء المجتهدات، تكبره بثلاث سنوات. إنهن لسن مجنونات أو معقّدات نفسياً. ولا ينطابقن مع فكرة «الإغواء القاتل». توقّف جيري للحظة. «لماذا أعرف العديد من النسوة العظيمات، ممن لم يتزوجن، ولا أعرف، بالمقابل، العديد من الرجال العظماء؟ دعونا نقل الحقيقة، الرجال العازبون في نيويورك مقيتون».

نوادي (M&M)

«هنا المعادلة»، قال جيري. «ثمة نافذة أو فرصة أمام النساء في نيويورك لكي يتزوجن. اللّواتي تتروح أعمارهن بين السادسة والعشرين والخامسة والثلاثين، أو ربما السادسة والثلاثين». اتفقنا على أنه إذا كانت المرأة قد تزوجت مرة واحدة، فإنها تستطيع دائماً أن تتزوج من جديد، إذ ثمة ما لاينبغي تجاهله حول معرفة الكيفية في ختم الصفقة.

«ولكن، فجأةً، حين تبلغ المرأة السابعة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين، تبدأ بسماع كلّ هذا ... الكلام». قال. «متاعٌ. بضاعة ظلّت مطروحةً لمدة طويلة. تاريخهن يعمل ضدهن. لو كنتُ عازباً، واكتشفتُ أن امرأةً كانت تخرج مع مورت زكرمان أو مارفين - سأقول هي نوادي الجنس (M&M) - عندئذٍ انسي الموضوع كلّياً. من يريد أن يكون الرقم عشرين على هذه القائمة؟ وإذا لحق بهن أيّ من تلك العوائق، مثل إنجاب الأطفال خارج قيد الزوجية، ثم الذهاب إلى مراكز التأهيل - هذا بحد ذاته مشكلة».

وروى جيري حكايةً. في الصيف الماضي، كان يتناول عشاءً صغيراً في هامبتون. كان الضيوف جميعهم من عالم التلفزيون والسينما. وكان يحاول، مع وزوجته، استدراج عارضة أزياء سابقة، في الأربعين من عمرها، للتعرّف على رجلٍ طلّق زوجته منذ فترة قصيرة. وبينما كان الاثنان يتحدّثان، ذكر فجأةً شيءٌ يتعلّق بمورت زكرمان، ثم مارفين، ولاحظ جيري وزوجته على الفور أنّ الزجل المطلّق غير موقفه كلّياً.

«ثقة قائمةٌ من العازبين السامين في نيويورك»، قال جيري، «ولسعتهم قاتلة».

في ما بعد، وفي اليوم نفسه، قصصتُ الحكاية على آنا، البالغة من العمر السادسة والثلاثين، التي اعتادت أن تعارض كلّ شيءٍ يقوله الرجال. الجميع كانوا يريدون أن يناموا معها، وكانت تطردهم جميعاً لأنهم، حسب رأيها، سطحيون. وقد سبق أن خرجت مع رجالٍ إلى نوادي (M&M)، وهي تعرف جيري جيداً. حين أخبرتُها الحكاية، أطلقت صرخة. «جيري غيورٌ فحسب. إنه يحبّ أن يكون مثل هؤلاء الزجال، لكنه لا يملك المال أو القوة لفعل ذلك. حكّي السطح، وستجدين أنّ كلّ رجلٍ في نيويورك يتمنّى أن يكون مورت زكرمان».

جورج، ابن السابعة والثلاثين، والذي يعمل مستثمراً مصرفياً، هو شخص آخر يرى في العازبين السافين مشكلة. «هؤلاء الأشخاص - جراح التجميل، والمحرر في مجلة التايمز، والرجل المجنون الذي يملك كل عيادات التخصيب تلك - جميعهم يأخذون الفتة ذاتها من النساء، ولا تتجاوز تلك العلاقات شيئاً آخر»، قال. «نعم، إذا قابلتُ امرأةً سبق لها أن خرجت مع أمثال هؤلاء، فلن أحبّ ذلك على الإطلاق».

أطفال - أو ملابس نسوية داخلية

«إذا كنتِ المذيعة دايان سويرز، فأنتِ دائماً قادرة على الزواج»، قال جورج. «ولكن حتى النساء اللّواتي يتمتّعن بأعلى درجات النجاح يمكن أن تفوتهنّ الفرصة. المشكلة هي أنه، في نيويورك، يصعب إرضاء الناس بسبب شعورهم الفردي بأدنى التفاصيل. إنك تتعاملين مع فئة من البشر تتمتّع بامتيازات هائلة، وسلّم معاييرهم مرتفعٌ جداً».

«ثم هناك جميع أصدقائك. انظري إليك»، قال جورج. «لا يوجد ما يعيبُ هؤلاء الزجال الذين ارتبطتِ بهم، وخرجتِ معهم، لكننا دائماً نقيمهم بشكل سيّئ جداً». هذا صحيح. جميع عشاقي رائعون، كلٌّ على طريقته،

لكن أصدقائي وصديقاتي وجدوا في كلّ واحد منهم عيباً، ولطالما وبخوني، بلا رحمة، لأنني كنت أتحفّل ثغراتهم الواضحة، والقابلة، في عقلي، للصفح. الآن، أنا وحيدة تماماً، وجميع أصدقائي وصديقاتي سعداء.

بعد مرور يومين فقط، التقيت جورج، مصادفةً، في حفلة.

«إن الأمر متعلّق بإنجاب الأطفال»، قال. «إذا أردتِ أن تتزوّجي، فالغايةُ هي إنجاب الأطفال، ولا أحد يريد أن يفعل ذلك مع امرأة تجاوزت الخامسة والثلاثين، لأنه ينبغي في هذه الحالة إنجاب الأطفال على الفور، وبالتالي تكون هذه غاية الزواج، ولا شيء آخر». أردتُ أن أتقضى الأمر مع بيتر، وهو رجل في الثانية والأربعين، وكاتبٌ جمعني به لقاءان غراميان فقط. لقد وافق جورج الرأي. «الأمر كلّه مرتبط بالعمر والبيولوجيا»، قال. «لا تستطيعين أن تتصوّري عمق الانجذاب الأوّلي لامرأة ما تزال ضمن فترة الإنجاب. بالنسبة لامرأة أكبر سناً، ربما في الأربعين، سيكون الأمر أكثر صعوبةً، لأنك لن تشعري بالانجذاب الأوّلي القويّ نفسه. تحرصين دائماً على أن تريهم قبل أن تقرّري الذهاب معهم إلى الفراش، فضلاً عن أنّ المسألة تدور حول غاية أخرى».

ملابس داخلية نسائية، ربما؟

«أعتقد أنّ مسألة النساء غير المتزوجات، الأكبر سناً، هي من أكبر المشاكل في مدينة نيويورك»، أكّد بيتر، ثم أضاف بعد تأمّل، «إنها مصدر عذاب للكثيرات منهنّ، والعديد منهنّ يعشن حالة من النكران».

وروى بيتر حكاية. كانت لديه صديقة، عمرها واحد وأربعون. اعتادت دائماً الخروج مع شبان جذابين جنسياً، وأمضت أحلى الأوقات. ثم ذهبت مع رجل في العشرين من العمر، وتعرّضت لسخريةٍ مُزّة. ثم خرجت مع شاب جذاب آخر، يماثلها في عمره، فتركها، وبعد ذلك، لم تعد قادرة على الارتباط غرامياً بأحد. تعرّضت لانهيار جسدي كامل، ولم تستطع الحفاظ على عملها، وأُجبرت على العودة إلى أبيوا للعيش مع والدتها. هذه قصة لا يمكن لامرأة أن تتوقّعها، حتى في أسوأ كوابيسها، ولن تجعل الرجال يشعرون بالسوء.

نسخة روجر

كان روجر يجلس في مطعم يقع في الجانب الشرقي العلوي من المدينة، ويشعر بهناءة خالصة وهو يحتسي النبيذ الأحمر. إنه في التاسعة والثلاثين، ويدير شركته بنفسه، ويسكن في جادة بارك، في شقة

كلاسيكية، سداسية. كان يفكر بما سوف أطلق عليه فورة القوة في منتصف ثلاثينيات العمر.

«حين تكون في العشرينيات من عمرك، وبدايات الثلاثينيات، شاباً صغيراً، ترى النساء هن اللواتي يتحكمن بالعلاقات»، شرح روجر. «في الوقت الذي تصبح فيه رجلاً مؤهلاً في أواخر الثلاثينيات من العمر، تشعر أن النسوة يردن التهامك». بمعنى آخر، يصبح الشخص فجأة ممتلكاً لكل القوة. ويمكن أن يحدث هذا بين عشية وضحاها.

قال روجر إنه كان قد ذهب إلى حفلة مشروب منوعة، في وقت مبكر من المساء، وحين ولج إلى الداخل، رأى سبع نساء عازبات، في منتصف وأواخر الثلاثينيات من العمر، وجميعهن من شقراوات الجانب الشرقي العلوي من المدينة، يرتدين ملابس سوداء خاصة بحفلات المشروب، وكل تبز الأخرى فطنةً.

«تعلمين أنه لا يمكن القول إن ثمة ما خطأ ما»، قال روجر. بالنسبة للنساء، هذا شعوز يائس ممزوج بوصولهن للذروة الجنسية. إنه خليط مضطرب جداً. ترين تلك النظرة في عيونهن - ولّه بأي ثمن، مع احترام صخي للسيولة النقدية - ثم تشعرين أنهن يردن التهامك وأنت تغادرين الغرفة. السيئ في الأمر هو أن معظم هؤلاء النسوة ممتعات حقاً، لأنهن لم يهرعن ويتزوجن فقط. ولكن حين يرمق الزجل تلك النظرة في عيونهن - كيف يمكنك أن تشعري بالعاطفة الجياشة؟

عودةً إلى بيتر، المنهمك حتى قمة رأسه بأليك بولدوين. «المشكلة هي في الآمال. النسوة الأكبر سناً لا يرغبن بالاكتفاء بما هو متوفر لهن. لا يستطعن العثور على رجال وسيمين، يضجون حيويةً، فيفسدن كل شيء - أريد أن أبقى وحيدةً. كلا، لا أشعر بالأسف تجاه أي شخص يملك الكثير من الآمال التي لا يستطيع تحقيقها. أشعر بالأسف تجاه الأشخاص الخاسرين الذين لن تنظر إليهم هؤلاء النسوة. إن ما يحتجن إليه حقاً هو أليك بولدوين. لا توجد امرأة واحدة في نيويورك إلا رفضت عشرة رجال رائعين محبين، لأنهم يدينون جداً أو ليسوا أقوياء بما يكفي، أو ليسوا أغنياء كما ينبغي، أو يهتمون لأمرها أكثر من اللازم. لكن هؤلاء الشبان الجذابين حقاً، الذين ترفضهم هؤلاء النسوة، مهتمون أكثر بفتيات في منتصف العشرينيات من العمر».

عند هذه النقطة، كان بيتر، عملياً، يصرخ. «لماذا لا تتزوج هؤلاء النسوة رجلاً بديناً؟ لماذا لا يتزوجن حوضاً كبيراً بديناً من الشحم؟».

وجهتْ هذا السؤال ذاته إلى شارلوت، الصحافية الإنكليزية. «سأقول لك لماذا»، قالت. «سبق أن خرجتُ مع بعض هؤلاء - القصار القامة، البدينين، القبيحين. لا فرق البتة - إنهم قليلو الاحترام، وأنانيون، مثل أقرانهم الوسيمين».

«في الوقت الذي تصبحين فيه في منتصف الثلاثينيات من عمرك، ولستِ متزوّجة، تفكرين، لماذا لا أستفز؟» قالت شارلوت. قالت إنها رفضت لقاء غرامياً مع عشيق في الحادية والأربعين من العمر، يعمل مصرفياً، ومطلّق حديثاً، لأن عضوه صغيرٌ جداً. «مثل السبابة»، تنهدتْ.

ثم بانت سارة من بعيد. لقد حصلت توّاً على نقودٍ لإنجاز فيلمها المستقلّ الأول، وتبدو الغبطة على وجهها. «هذه الفكرة عن النساء اللّواتي لا يستطعن الزواج؟ هذا ضيقُ أفق، لا أستطيع التعامل معه. إذا كنتِ تريدين الزّواج بواحد من هؤلاء الرجال، فعليك أن تخرسي. تجلسين هناك، وتخرسين، وتوافقين على كلّ ما يقولونه».

ولحسن الحظّ اتصلت بي صديقتي أماليتا، وشرحت لي الموضوع كاملاً. وضّحت لماذا تكون النسوة الممتازات وحيدات دائماً، وهنّ لسن سعيدات بذلك، لكنهنّ أيضاً لسن يائسات تماماً. «أوه، يا عزيزتي»، هذل صوتُها على الهاتف. كان مزاجها صافياً، لأنها كانت قد مارست الجنس في اللّيلة الماضية مع طالب حقوق في الرابعة والعشرين من عمره. «يعرف الجميع أنّ الرجال في نيويورك هم أصدقاء رائعون وأزواج رديئون. في أميركا الجنوبية، من حيث جئت، لدينا هذا التعبير: من الأفضل أن تعيشي وحيدةً من أن تعيشي مع صحبةٍ سيئة».

جلبةٌ صغيرة، بالكاد مسموعة، أعقبت دخول «غريغوري روك»، مخرج أفلام المؤامرة، حين انسلّ إلى حانة بويري، في إحدى أمسيات يوم الجمعة. دخل مؤلّف تلك الأفلام، المثيرة للجدل مثل ج. ر. ف (جيرالد رودولف فورد) و (القرود) وهو يرتدي سترة صوفية خشنة، مطأطئ الرأس. كان يحيط به سرب من ست نساء، هنّ عارضات أزياء جديدات، يعملن مع وكالة عروض معروفة جيداً. كانت أعمار جميع الفتيات دون الحادية والعشرين، (اثنتان منهنّ في السادسة عشرة)، ومعظمهنّ لم يسبق أن رأين أفلام السيد روك، وهنّ، بصراحة، لا يعرن أدنى اهتمام لذلك.

كان ثمة مرافقان للعارضات، يتصرفان كزورقي حراسة، لإبقاء السرب متحرّكاً وآمناً، اسمهما جاك وبن - مستثمران في بداية الثلاثينيات من العمر - وهما رجلان لا ملامح بارزة لهما، باستثناء السن الناتئة لأحدهما، وقصة الشعر، «سبايكي»، الحديثة، للآخر.

للوهلة الأولى، بدت المجموعة سعيدة. فالفتيات يبتسمن. السيد روك يجلس على أريكة، محاصراً بحسناواته، بينما يجلس الشابان على كرسيين جانبيين، كأنما للحيلولة دون دخول غرباء غير مرغوب فيهم، يمكن أن يحاولوا التحدث إلى السيد روك، أو، الأسوأ، سرقة إحدى الفتيات.

كان السيد روك يميل بجذعه نحو هذه الفتاة أو تلك، منهمكاً بشذرات من حديث هنا أو هناك. وبدا الشابان يضجّان بالحيوية. لكنّ الجوّ لم يكن خلاباً كما يوحي على السطح. ويكفي النظر، عن كثب، إلى الفتيات، لتجد الضجر ينسكب من ملامحهنّ كالشيخوخة. لم يكن لديهنّ ما يقلنه للسيد روك، ولا حتى بعضهنّ لبعض. ولكن، لكلّ منهنّ على الطاولة عملٌ تقوم به، وهنّ يقمن بأدوارهنّ على أكمل وجه. وهكذا، جلست المجموعة، وأطالت الجلوس، مفعمةً بالتألق، ثم بعد ذلك، صعد الجميع إلى سيارة الليموزين، مع روك، وتوجّهوا إلى حانة «النفق»، حيث رقص السيد روك مع إحدى الفتيات، بشيء من الكآبة، وبعد أن أدركه الملل، ودبّ في أوصاله، عاد أدراجه إلى البيت، وحيداً. الفتيات مكثن لوقت أطول، وتناولن حبوب المخدّرات، وأمسك جاك، صاحب قصة سبايكي، بإحداهنّ، وقال لها: «أيتها العاهرة، الحمقاء»، ثم ذهبت معه إلى المنزل. أعطاها المزيد من المخدّرات، وأعطته المزيد من جسدها.

هذا السيناريو يحدث كلّ ليلة تقريباً في نيويورك، في المطاعم والنوادي الليلية. هنا يجد المرء، لا محالة، عارضات الأزياء، الجميلات الشابّات، اللّواتي يأتين أسراباً إلى نيويورك كالطيور، مع رجالٍ مرافقين من أمثال جاك وين، اللذين ابتكرا، عملياً، مهنةً لنفسيهما، من خلال استمالة الفتيات وأخذهنّ إلى العشاء، ثم إغوائهنّ، بدرجات متفاوتة من النجاح. قابل، إذاً، مرافقي عارضات الأزياء.

المرافقون نسلٌ خاص من البشر. إنّهم يتجاوزون فئة زير النساء بخطوة، وهم مستعدّون للنوم مع أي شيءٍ يرتدي تنّورة. هؤلاء ليسوا مهووسين بالنساء، بل بعارضات الأزياء. يعشقونهنّ لأجل جمالهنّ، ويكرهونهنّ لكلّ سببٍ آخر. «غباؤهنّ، وسطحيتهنّ، وافتقارهنّ للقيم، وحقائبهنّ الكثيرة»، قال جاك. يعيش المرافقون في كونٍ موازٍ، بكواكبه الخاصة (نوبو، حانة بويري، تاباك، فلورز، تانل، إكسبو، ميتروبوليس) وأقماره التابعة (الشقق المختلفة، بعضها قريب من ساحة تايم سكوير، تستأجرها وكالات الأزياء الضخمة، خصيصاً للعارضات) والربّات (ليندا، نعومي، كريستي، إيلي، بردجيت).

أهلاً بكم في عالمهم. إنه ليس جميلاً.

مرافقو عارضات الأزياء

لا يمكن لكلّ شخص أن يصبح مرافقاً لعارضات الأزياء. «أن تتعرّف على عارضة أزياء، ينبغي أن تكون ثرياً، ووسيماً حقاً، أو أن تجيد فنون تلك المهنة»، يقول باركلي. وهو فنان صاعد، وقادمٌ بقوة، وله وجه ملاك بوتيسيللي، مؤطر بقصة شعر نسائية شقراء. يعيش في سكنٍ للشباب، في حي سوهو، حيث يدفع والداه نفقاتها، فضلاً عن كلّ مصاريفه الأخرى، فوالده أحد أكبر مصنعي علاقات المعاطف، في مينيابوليس. هذا وضع جيد بالنسبة لباركلي، لأنّ العمل مرافقاً لعارضة أزياء ليس رخيصاً - هناك المشروب في النوادي، ووجبات العشاء، ونفقات سيارات الأجرة من نادٍ إلى آخر، والمخدرات - غالباً ماريجوانا، وأحياناً الهيروئين والكوكايين. كما أنّ هذا يستغرق وقتاً - وقتاً كثيراً جداً. ويعتقد والدا باركلي أن ابنهما منهمك في الرسم، لكنه مشغول جداً بتنظيم لياليه وعارضاته.

«بصراحة، الأمور تختلط عليّ بخصوص هذا العمل»، يقول باركلي. يتجوّل في شقّته، مرتدياً جينزاً جلدياً، من دون قميص. شعره مبلّل، وصدره لا يضمّ أكثر من ثلاث شعرات. العارضات يقعن في حبه. يعتقدن

أنه جذاب وعاطفي. «ينبغي أن تتعامل معهن كفتيات طبيعيات»، يقول، ثم يشعل سيجارته، ويضيف، «ينبغي أن تكون لديك القدرة لاختراق المكان وانتقاء أجملهن - وإلا، فسينتهي أمرك. الأمر يشبه الاقتراب من الكلاب، إذ عليك أن لا تُبدي أي نوع من الخوف».

يرن الهاتف. الفتاة هانا. إنها تقدم أحد عروضها في أمستردام. يضع باركلي صوتها على المكبر. إنها وحيدة، وتحت تأثير الحشيشة. «أشتاق إليك، حبيبي»، يئن صوتها. صوتها يشبه ثعباناً يحاول أن يزحف خارج جلده. «لو كنت هنا، في هذه اللحظة، لوضعت عضوك في حلقي. آه. أحب هذا كثيراً، حبيبي».

«أترين؟» يقول باركلي. يتحدث إليها، ممرراً أصابعه بين خصلات شعره. يشعل سيجارة. «أنا أدخن معك الآن، يا حبيبتي».

«ثمة نوعان للمرافقين - أولئك الذين يختمون الصفقة، وأولئك الذين لا يختمونها»، يقول كوريت فليسك، مؤلف (رجل الظل)، الرواية التي تتحدث عن رجل يطارد عارضات الأزياء.

ويأتي في مقدمة هذا الصنف المرافقون-السوبر، وهؤلاء يمكن مشاهدتهم مع أمثال إيل ماكفرسون، وبريدجت هول، ونعومي كامبل. «ثمة أشخاص، على هذه الشاكلة، في كل مكان تكون فيه العارضات - باريس، وروما، وميلان»، يقول السيد فليسك. «ولهؤلاء الناس مكانة مرموقة في عالم عروض الأزياء. وبإمكانهم اصطياد العارضات مثل الأقراص التي تقذف في الهواء هدفاً للرماة. يحرقونهن، ويصهرونهن».

ولكن ليس جميع مرافقي العارضات من البارزين المعروفين. في مانهاتن، وهي نقطة توقف ضرورية للعارضات الشابات الجديدات، يكفي أن تكون غنياً. خذ جورج وشريكه، تشارلي. في كل ليلة من ليالي الأسبوع، تجد جورج وتشارلي يصطحبان إلى العشاء، ما قد يصل إلى اثنتي عشرة عارضة.

يمكن لجورج وتشارلي أن يكونا من أوروبا الوسطى أو حتى الشرق الأوسط، لكنهما، في الحقيقة، من مدينة نيوجرسي. وهما يعملان في تجارة الاستيراد والتصدير، ورغم أنهما لم يبلغا بعد الثلاثين، لكنهما يملكان الملايين.

«لا يمكن لتشارلي أن يُرفض»، يقول جورج، ضاحكاً، وهو يغزل كرسيه الجلدي الدوار، خلف طاولة من خشب الماهوغاني الصلب، داخل مكتبه. حوله سجاد شرقي مفروش على الأرض، ولوحات فنية حقيقية، على

الجدران. جورج يقول إنه لا يكترث البتة لو أن امرأة صدته. «إنها تسلية كالرياضة»، يقول.

«بالنسبة لهؤلاء الرجال، الفتيات امتداد لغنيمة ما»، يؤكد السيد فليسك. «ربما لأنهم يشعرون بأنهم ليسوا جذابين، أو ربما كانوا طموحين بشكلٍ أعمى».

في العام الماضي، حملت من جورج فتاة في التاسعة عشرة من عمرها. لم يكن قد مضى على معرفته لها خمسة أسابيع. الآن يبلغ عمر طفلهما تسعة أشهر. لم يعد يراها أبداً. وهي تحتاج إلى ما يلي: أربعة آلاف وخمسمئة دولار شهرياً معونةً للطفل، وخمسمئة ألف دولار ضماناً اجتماعياً على مدى الحياة، وخمسون ألف دولار رسوماً جامعية. «أعتقد أن هذا نوع من الإفراط، أليس كذلك؟» يسأل جورج. حين يبتسم، تظهر رؤوس أسنانه رماديةَ اللّون.

فتيات ولهيلمينا

إذاً كيف يمكن لأحدهم أن يحظى بموقع جورج؟ «الفتيات يسافرن جماعات، جماعات»، يشرح باركلي. إنهن مجموعة مغلقة جداً. العارضات يخرجن في شكل أسراب، ويعشن في جماعات، داخل شقق خاصة بهن. إنهن لا يشعرن بالأمان إلاّ إذا خرجن معاً. وهذا يُدخل الخوف في نفس الرجل.

«على الوجه الآخر، يمكن أن يكون هذا في مصلحتك، لأنه إذا كانت هناك عشرون عارضة في مكانٍ واحد، فإن الفتاة التي ترغب فيها لن تكون هي الأجمل. أمامك أكثر من فرصة. لو كانت هناك امرأة واحدة فقط، لكانت هي الأجمل، ولفرضت حضورها. حين يقع اختيارك على فتاة واحدة من مجموعة مؤلّفة من أربع أو خمس عارضات، فإن هذا يجعل الفتاة تشعر بأنها أفضل من الأخريات».

المشكلة هي اللّقاء بواحدة. الطريقة الأفضل تكون عن طريق صديق مشترك. «ما إن تتاح للمرء وسيلة للاتصال، وما إن تعطيك إحداهن شرعيةً ما»، يقول السيد فليسك، «فإنك تتجاوز حقيقة كونك مجرّد جو العادي».

قبل ثلاث سنوات، كان جورج في نادٍ ليلي، حين التقى، مصادفةً، بفتاة يعرفها منذ أيام الدراسة الثانوية، يرافقها وسيط يملك وكالة. ثم التقى بعض عارضات الأزياء. أخذ حبوب مخدرات. عادت جميعهن إلى شققهن الخاصة. لكنه أخذ ما يكفي لكي يُبقيهن حتى الشابعة صباحاً. جرب الغبث

واللّهو مع إحداهن. في اليوم التالي، وافقت على رؤيته ثانيةً، ولكن بشرط أن تأتي جميع الفتيات الأخريات أيضاً. اصطحبهن جميعاً إلى العشاء. واستمزت حاله على هذا المنوال. «هذه بداية الهوس»، يقول.

يعرف جورج الآن جميع شقق العارضات، إذ يمكن للفتاة، مقابل خمسمئة دولار شهرياً، أن تنام في سرير واسع، داخل شقّة من غرفتين أو ثلاث غرف ضيقة، مع خمس فتيات أخريات. لكن يجب أن يشابر الشخص دائماً لأن الفتيات يأتين ويذهبن، طوال الوقت، وعليك أن تظلّ قريباً، على الأقل، من فتاةٍ واحدة داخل الشقّة.

مع ذلك هناك دائماً رافذ يتدفّق بحرية. «الأمر سهل»، يقول جورج. ويلتقط الهاتف ويطلب الرقم.

«مرحباً، هل سوزان موجودة؟» يسأل.

«سوزان في باريس».

«أووووه»، يقول، معبراً عن بعض الخيبة. «أنا صديق قديم لها، (يعرفها منذ شهرين فقط، في الواقع) وقد عدتُ لتوي إلى المدينة. اللّعنة. من هناك؟».

«صابرينا».

«مرحباً، صابرينا، أنا جورج». وراحا يتبادلان أطراف الحديث لمدة عشر دقائق. «نفكّر بالذّهاب إلى حانة بويري هذه اللّيلة. سوف نشكّل مجموعة. هل ترغبين بالمجيء؟».

«أووووم. ولمَ لا؟» تقول صابرينا. يمكنك أن تسمع إصبعها تخرج من فمها.

«ومن سيكون معك؟» يسأل جورج. «هل تظنين أنهن راغبات بالمجيء أيضاً».

يقفل جورج سماعة الهاتف. «من الأفضل، في الحقيقة، أن يكون معك شباب من أن يكون معك فتيات حين تقرّر الخروج»، يقول. «إذا كان عدد الفتيات أكبر، تتنافس إحداهن مع الأخرى. وإذا كانت الفتاة ترى شاباً، وسمحت للفتيات الأخريات بمعرفة ذلك، فإنها ترتكب خطأً. إنها تظنّ أنّ الفتيات اللّواتي تعيش معهن هن صديقات لها، لكنهن لسن كذلك. إنهن مجرّد فتيات قابلتهن للتو، وصودف أنهن يعشن الحالة نفسها. تحاول الفتيات دائماً سرقة الشباب».

«ثمة العديد من المعتوهين في هذا العالم»، يقول السيد فليسك.

يقول جورج إن لديه نظاماً. «ثمة هرمية جنسية في شقق العارضات»، يقول. فتياتُ ولهيلمينا هن الأسهل. يميلُ ويلي إلى معاشرة فتيات

ترعرعن في بيوت متنقلة أو في الطرف الشرقي من لندن. فتيات نخبويات - يمتلكن نوعين من الشقق - نوعاً في الطرف الأعلى من المدينة، على الشارع السادس والثمانين، وآخر في الطرف السفلي، على الشارع السادس عشر. إنهم يحتفظون بالفتيات المتميزات في شقق القسم العلوي. الفتيات اللّواتي يسكنّ شقق الطرف السفلي «ودودات» أكثر. الفتيات اللّواتي يعشن مع إيلين فورد لا يمكن مسهن. أحد الأسباب يكمن في أن خادمة إيلين تقفل السفاعة إذا جزبت أن تتصل بها.

«العديد من هؤلاء الفتيات اخترن مسكنهن بين الشارع الثامن والعشرين وساحة تايم سكوير. وهناك أبراج زيكيندورف، المطلّة على الشارع الخامس عشر. وثمة مكان على الشارع الثاني والعشرين، وجادة بارك، جنوباً. أما عارضات الأزياء الأكثر قدماً، واللّواتي يعملن كثيراً، فيحبذن السكن في الطرف الشرقي».

مسرد كلمات المرافق

الشيء = عارضة أزياء

مدني = نساء لسن عارضات.

«نتحدث عن الموضوع طوال الوقت. كم صعبة هي العودة إلى النسوة المدنيات»، يقول جورج. «لا تصادفينهن، بل لا تسعين إلى ذلك».

«من الأسهل اصطحاب عارضة أزياء إلى الفراش من اصطحاب امرأة مدنية، ترتبط بمهنة تعيش من خلالها»، تقول ساندي. مرافق ساندي ممثل، بعينين خضراوين باهرتين. «النسوة المدنيات يرغبن بالحصول على أشياء من الرجال».

أشياء فككت

إنه مساء الخميس في بارولو. مارك بيكر، مشرف المطعم والمزوج، ينظّم إحدى حفلاته الخاصة. الآلية تعمل على هذا النحو: يرتبط المروّجون بعلاقة مع الوكالات. الوكالات تعرف أن المروّجين يمكن أن «يؤمن جانبهم» - أي سوف يعتنون بفتياتهم، ويوفّرون لهن التسلية. بدورهم، يطلب المروّجون من المرافقين الخروج مع الفتيات. لا يملك المروّجون النقود دائماً لاصطحاب الفتيات إلى العشاء. المرافقون يملكون هذا. لا بد

لأحد أن يطعمهن. يقابل المرافق شخصاً مثل السيد روك. والسيد روك يريد الفتيات. والمرافقون يريدون الفتيات، ويريدون أيضاً الخروج مع السيد روك. هنا يكون الجميع سعداء.

في الخارج، في ليلة الخميس هذه، تُسمع ضوضاء على الرصيف. الناس يتدافعون، محاولين لفت انتباه شخص، طويل القامة، لئيم الملامح، ربما كان جزء من هويته مشرقياً، والجزء الآخر إيطالياً. في الداخل، المكان مكتظ تماماً. الجميع يرقصون، والجميع جميلون، وفارعو الطول.

تتحدث إلى فتاة لها لكنة أوروبية مستعارة. فتاة من تينيسي عادت لتوها من رحلة سفر. «كنت أرتدي فستاناً قصيراً، وحذاء، للمنضة، وحين رآني عشيقي السابق قال: كارول آن، بحق الجحيم، ما الذي ترتدينه؟ قلت: عليك أن تعتاد هذا، يا حبيبي. هذه هي نيويورك».

يأتي جاك، ويبدأ الحديث.

«حتى وإن كن حمقاوات، إلا أن عارضات الأزياء وصوليات جداً. يمكنك أن تقسمهن إلى أنماط ثلاثة. النمط الأول: الفتيات الجديدات في المدينة. وهن، عادة، من الشابات حقاً- السادسة عشرة، والسابعة عشرة. يخرجن كثيراً. لا يشتغلن كثيراً، وبالتالي هن بحاجة لأن يفعلن شيئاً، وبحاجة لأن يلتقين أناساً مثل المصورين. النمط الثاني: الفتيات اللواتي يشتغلن كثيراً. هن أكبر سناً بقليل، في الواحدة والعشرين وما فوق، وقد مضى عليهن في المهنة خمس سنوات. لا يخرجن أبداً، ويسافرن كثيراً، ولا تراهن تقريباً أبداً. النمط الثالث: ما يمكن تسميته العارضات - السوبر. وهؤلاء يبحثن عن شخص لديه وقت هائل، ويمكنه أن يفعل شيئاً من أجلهن. جميعهن مهووسات بالمال، ربما لأن مهنتهن تفتقر للأمان. لا يمنحن، ولو نظرة واحدة، لأحد، إذا كان يملك أقل من عشرين أو ثلاثين مليوناً. أضف إلى ذلك، يعانين من عقدة «الفتاة الكبيرة». لا يختلطن مع فتاة ليست عارضة رفيعة المستوى، ويتجاهلن العارضات الأخرى، أو يغرقن في النميمة عنهن».

تذهبين إلى الحمام مع جاك، وتتجولين معه في غرفة الرجال. «في الوقت الذي يبلغن فيه سن الواحدة والعشرين، يصبح لهذه الفتيات أطنان من الأمتعة»، يقول جاك. «يصبح لهن تاريخ: أطفال، رجال نفن معهم، رجال لا يمكن أن يحبهم أحد. معظمهم أتوا من بيوت محطمة، أو من خلفيات فهانة، مقهورة. الفتيات جميلات بلا شك، لكنهن، في النهاية، لا يفعلن شيئاً من أجلك. هن صغيرات السن، وغير مثقفات. ليس لهن قيم،

تعرفين هذا؟ أفضل الأكبر سناً. عليك أن تجد فتاة من دون متاع، وأنا في طور البحث».

اعرف واحدة تعرفهن جميعاً

«الصعوبة تكمن في العثور على فتاة متميزة - واحدة مثل هنتر رينو أو جانا رودس»، يقول جورج. «هؤلاء نسوة ظهرن على أغلفة المجلات في أوروبا. إذا عرفت واحدة منهن، فكأنك عرفتهن جميعاً. في النادي الليلي، تركز انتباهك على الفتيات الأكبر سناً. هن دائماً يحبذن العودة إلى البيت باكراً، لأنه يترتب عليهن الاستيقاظ والذهاب إلى العمل. توصلهن إلى سيارة التاكسي، لأنك تقوم بدور الجنتلمان، ثم تعود أدراجك، وتهاجم العارضات الأصغر سناً».

«كل ما تطلبه أولئك الفتيات هو الراحة»، يقول السيد فليسك. «إنهن يانعات جداً. وفي بداية شق طريقهن في عالم الكبار. هن لم يكتملن بعد، ويقابلن هؤلاء الرجال الذين يعرفون الحيل كلها. كم يبدو الأمر صعباً!».

عودةً إلى شقة باركلي، حيث يجلس على كرسي صغير، وسط الغرفة، ويفتح زجاجة الكولا. «كما ترين، ليس ثمة من هو أكثر جمالاً من عارضات الأزياء. لكنهن لسن بارعات، بل سطحيات ومشوشات، وأكثر تسيباً مما تظنين. من الأسهل بكثير الإيقاع بعارضة أزياء من الفتاة العادية. هذا ما يفعلنه طوال الوقت. هذا ما يفعله الناس العاديون حين يكونون في عطلة ما. هم بعيدون، وبالتالي يفعلون أشياء لا يفعلونها في الحياة العادية. لكن هؤلاء الفتيات بعيدات دائماً، لأنهن يسافرن من مكانٍ إلى آخر. وبالتالي، هذه هي حالهن، طوال الوقت».

يأخذ باركلي رشفةً من شراب الكولا، ويحك بطنه. الساعة هي الثالثة ظهراً، وقد استيقظ منذ ساعة فقط. «هؤلاء الفتيات هن من الزخل»، يقول. «يعرفن رجلاً في كل مدينة يحططن الرحال بها. يتصلن بي حين يكن في نيويورك، ودائماً أتخيل أنهن يتصلن بشخص آخر حين يكن في باريس أو روما أو ميلان. نتظاهر أننا نخرج معاً حين يكن في المدينة. نمسك بأيدي بعضنا، ونخرج كل يوم. العديد من الفتيات يطلين ذلك. ولكن، هنا ينتهي أمرهن». يتثاءب باركلي. «لا أعرف. ثمة الكثير من الفتيات الجميلات حولنا، حتى إن أحدنا يبدأ بالبحث عن امرأة تجعله يضحك فحسب».

«قد يكون مذهلاً، في بعض الأحيان، ذاك الشيء الذي نفعله لكي نكون مع هؤلاء الفتيات»، يقول جورج. «ذهبتُ إلى الكنيسة مع إحدى الفتيات وابنتها. كنتُ قد قررتُ الخروج حصرياً مع فتيات أكبر سناً. ينبغي أن أتقاعد قريباً. إنهنّ يشغلنني عن القيام بعملي على أكمل وجه. إنهنّ يجعلنني أدفر حياتي». هزّ جورج كتفيه، وألقى نظرةً عبر نافذة مكتبه، في الطبقة الرابعة والثلاثين، المطلّة على وسط مدينة مانهاتن. «انظري إليّ»، يقول. «إنني رجلٌ عجوزٌ في التاسعة والعشرين من العمر».

منتجة سينمائية أربعينية، سوف أسفيها سامانثا جونز، ولجت إلى حانة بويري، وكالعادة نظرنا جميعاً باتجاهها لنعرف من الذي أتى معها. سامانثا تُرى دائماً مع أربعة رجال، على الأقل، واللعبة هنا هي أن تختار من سيكون عشيقها من بينهم. بالطبع، لم يكن الأمر لعبة، لأن من السهل أن تحذد رجلها. لا بد، على العموم، أن يكون صغيراً في السن، ووسيماً، مثل بعض ممثلي هوليوود - وسوف يجلس هناك، سعيداً، وعلى وجهه تعبيرٌ غبي (إذا قابل سامانثا للتو)، أو نظرة ضجرة حمقاء إذا خرج معها لبضع مزات. إذا حدث هذا، فسوف يخطر له أن لا أحد على الطاولة، يريد الحديث معه. لماذا يفعلون ذلك إذا كان سينتقل إلى ذمة التاريخ في غضون أسبوعين فقط؟

جميعنا أعجب بسامانثا. أولاً، ليس من السهل الحصول على رجال في الخامسة والعشرين، إذا كنتِ في بداية الأربعينيات من عمرك. ثانياً، سامانثا هي إلهامُ نيويوركي. لأنكِ إذا كنتِ امرأةً عازبة وناجحة، في هذه المدينة، فأمامكِ خياران: يمكن أن تنطحي برأسك الحائط، في محاولة لإقامة علاقة، أو يمكن أن تقولي «ليكن من بعدي الطوفان»، ثم تخرجي وتمارسي الجنس كالرجال. هكذا هي سامانثا.

هذا سؤال حقيقي أمام النساء في نيويورك هذه الأيام. ولأول مرة في تاريخ مانهاتن، باتت العديد من النساء اللواتي هن في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من عمرهن، يتحلّين بالقوة والمال كنظرائهن الرجال - أو على الأقل لهن ما يكفي من المال والقوة ليشعرن بأنهن لسن بحاجة للرجل إلا من أجل الجنس. وحيث إن هذه المفارقة كانت موضوعاً لأكثر من ساعة تحليلية، قررت صديقتي كيري، وهي صحافية في منتصف الثلاثينيات من العمر، أن تجربها في العالم الحقيقي، أثناء تناول مجموعة منا الشاي في فندق «ماي فير». قررت التخلي عن الحب، بكبح جماح اندفاعته، بحثاً عن شيء من الرضى. وقد نجحت التجربة، كما سنرى. نجحت نوعاً ما.

نساء تيستوسترون، رجال حمقى

«أظن أنني أتحول إلى رجل»، قالت كيري. أشعلت سيجارتها، الرقم عشرين، خلال ذاك اليوم، وحين هرع نادل الفندق، وطلب منها أن تطفئها، قالت، «لماذا، أنا لا يمكن أن أحلم بأن أزعج أحداً». ثم رمت السيجارة على السجادة.

«تتذكرون حين نمتُ مع ذلك الشخص درو؟» سألت. هززنا جميعاً رؤوسنا. كنا جميعاً قد تنفسنا الصعداء حين فعلت ذلك، لأنها لم تكن قد مارست الجنس منذ أشهر عديدة. «حسناً. بعد ذلك، لم أشعر بشيء البتة. شعرتُ كأنني أريد أن أقول له يجب أن أذهب إلى العمل، يا صغيري. دعنا نبق على اتصال. لقد نسيتُ كل شيء عنه بعد ذلك».

«حسناً، ولماذا، بحق الجحيم، ينبغي عليك أن تشعري بشيء؟» سألت ماجدة. «الرجال لا يفعلون. أنا لا أشعر بشيء بعد ممارسة الجنس. أوه، بالطبع أود أن أشعر، ولكن ما الغاية من هذا؟».

كنا جميعاً نتكئ على مقاعدنا، نرتشف الشاي، معتذات بأنفسنا، كأننا أعضاء في نادٍ خاص. كنا قاسيات وفخورات بذلك، ولم يكن سهلاً الوصول إلى هذه النقطة - هذا المكان من الاستقلالية الكاملة حيث امتلكنا رفاهية معاملة الرجال كأشياء جنسية. لقد استغرق ذلك الكثير من العمل والعزلة والإدراك بأنه ما دام من غير الممكن أن يكون أحد بجانبك وقت الشدة، عليك أن تعتني بنفسك، بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنى.

«حسناً، أحسب أن السبب هو في الكثير من أنسجة الندوب والجروح»، قلتُ. «جميع هؤلاء الرجال الذين سببوا لك الكثير من الإحباط. يمز الوقت، ولا ترغبين حتى بأن يكون لديك مشاعر. تريدين فقط المضي قدماً في حياتك».

«أعتقد أنها الهرمونات»، قالت كيري. «كنتُ في صالون الحلاقة، منذ أيام، أتلقى معالجة عميقة للشعر لأنهم كانوا دائماً يخبرونني بأن شعري سوف يتقصف. وقرأتُ في (كوسمو) عن هرمونات تيستوستيرون الذكرية لدى النساء - ووجدت هذه الدراسة أن النساء اللواتي لديهن نسبة عالية من هذه الهرمونات يكنّ أكثر عدوانية، ونجاحاً، ويتمن مع شركاء أكثر، وتقلّ احتمالات ميلهنّ للزواج. ثمة ما يدعو إلى راحة لا تُصدق في هذه المعلومات - هذا يجعلك تشعرين أنك لست شاذة».

«المشكلة تكمن في إقناع الرجال بالتعاون»، قالت شارلوت.

«الرجال في هذه المدينة يفشلون على كلا الصعيدين»، قالت ماجدة. «هم لا يريدون الارتباط بعلاقة، ولكن حين تسعين لممارسة الجنس معهم

فقط، تجدينهم لا يحبذون هذا. لا يستطيعون الاكتفاء بتأدية ما يُطلب منهم فحسب».

«هل سبق لك أن اتصلت برجل، بعد منتصف اللّيل، وقلت له أنا آتيةٌ إليك، وجعلته يقول نعم؟» سألت كيري.

«المشكلة أن الجنس لا يقبل الهزيمة»، قالت شارلوت. كانت قد سفت الرجال الذين هم عشاقٌ رائعون: آلهة الجنس. ولكن حتى هي كانت تواجه مشكلة. من آخر فتوحاتها شاعرٌ أثبت أنه بارع في الفراش، لكنه، كما قالت، ظلّ «يصر عليّ للخروج معه إلى العشاء، والانخراط بحديث النزهات حتى النهاية». في الآونة الأخيرة توقف عن الاتصال بها: «كان يريد أن يقرأ شعره لي، لكنني لم أسمح له بذلك».

«ثمة خيط رفيع بين النفور والانجذاب»، تابعت. «النفور يبدأ، عادةً، حين يبدأون يريدون منك أن تعامليهم كبشر، لا كدمى جنسية».

سألتها هل ثمة حقاً طريقة لإنجاز هذا الشيء المسفي «نساء يمارسن الجنس كالرجال».

«يتبغي أن تكوني عاهرةً حقيقيةً»، قالت شارلوت. «إما هذا أو أن تكوني رقيقة وعذبة بشكل لا يُصدق. نتسلّل عبر الشقوق. هذا يسبب تشويشاً للرجال».

«فات الأوان كثيراً على الرقة»، قالت كيري.

«إذاً لم يبقَ أمامك خيار، على ما أظن، سوى أن تكوني عاهرة»، قالت ماجدة. «لكن ثمة شيء واحد نسيته».

«ماذا؟».

«الوقوع في الحب».

«لا أعتقد ذلك»، قالت كيري. مالت بجذعها نحو الخلف على كرسيها. كانت ترتدي الجينز وسترةً قديمة من ماركة «إيف سان لوران». كانت تجلس كرجل، وساقاها متباعدتان. «أنا عاقدة العزم على فعل ذلك - أنا مصممة على أن أصبح عاهرة حقيقية».

نظرنا إليها وضحكنا.

«ما الخطب؟» سألت.

«أنت عاهرة للتو».

لقاء السيد بيغ

كجزء من بحثها، توجهت كيري لرؤية «الإغواء الأخير» في الساعة الثالثة من بعد الظهر. كانت قد سمعت بأن الفيلم يصور امرأة تلجأ، في سعيها للمال والجنس الحار، إلى استغلال وإهانة كل رجل تلتقيه - ولا يستيقظ في داخلها أي شعور بالندم، أو تخطر على بالها واحدة من تلك العبارات المألوفة عن صحوة الضمير مثل «أوه، يا إلهي، ما الذي فعلته؟».

ليس من عادات كيري الذهاب إلى السينما أبداً - كان لها أم محافظة، اعتادت أن تقول لها إن الفقراء فقط، ممن لديهم أطفال مرضى، يرسلون أطفالهم إلى دور السينما - وبالتالي عنت هذه الزيارة الكثير لها. وصلت إلى مسرح السينما متأخرة، قليلاً، وحين أخبرها حامل التذاكر بأن الفيلم قد بدأ للتو، قالت، «اللعنة عليك، أنا هنا لأسباب بحثية - لم يخطر ببالك أنني سوف أشاهد هذا النوع من الأفلام، أليس كذلك؟».

حين خرجت، ظلت تفكر بالمشهد الذي تصطحب فيه ليندا فيورنتينو شاباً من الحانة، وتمارس الجنس معه في مرأب ما متشبثة بسلاسل حديدية تسيج مواقف السيارات.

هل هذا هو الموضوع الرئيسي للفيلم؟

ابتاعت كيري زوجين من الصنادل، وقضت شعرها قصيراً.

مساء الأحد ذهبت كيري إلى حفلة مشروب نظمها مصمم الأزياء جوب - واحدة من تلك الحفلات التي يجب أن تكون في فيلم سينمائي فقط، حيث احتشد الجميع، بما في ذلك الشبان المثليون، الذين بدوا في قمة حيويتهم، ورغم أن كيري لديها عمل في اليوم التالي، أدركت أنها ستشرب كثيراً، وتعود إلى منزلها في ساعة متأخرة. كيري لا تحب العودة إلى المنزل ليلاً، ولا تحب الذهاب إلى النوم.

نفدت الشامبانيا من الشيد جوب، في منتصف الحفلة، ولعل ذلك ضرب من ضروب ذكائه، وبدأ الناس يطرقون باب المطبخ، ويتوسلون للنادل ومساعديه من أجل كأس من النبيذ. رجل في فمه سيجار، كانت تتحدث إليه كيري، مز وقال، «أووووه. من أتى ثانية؟ إنه يبدو مثل رون بيرلمان، لكنه أصغر سناً وأكثر وسامة».

«أنا أعرف من هو»، قالت كيري.

«من؟».

«السيد بيغ».

«عرفت. أنا دائماً أخلط بين السيد بيغ وبيرلمان».

«كم ستعطيني»، سألت كيري. «كم ستعطيني لو ذهبتُ وتحدثتُ إليه؟» إنها تفعل ما تفعله الآن، وشعرها قصير. تنفثه إلى الأعلى، بينما

ينظر إليها الصبيان ويضحكون. «أنت مجنونة»، يقولون.

كانت كيري قد رأت السيد بيغ مرة واحدة من قبل، لكنها لم تكن تظن أنه سيتذكرها. كانت في هذا المكتب، حيث تعمل أحياناً، وقد استضافها مرة برنامج (طبعة الداخل) حول موضوع كتبته عن «تشيهواهواس». عندئذٍ دخل السيد بيغ وبدأ يتحدث لمصوّر الكاميرا كيف أن «تشيهواهواس» منتشرة في كلّ أرجاء باريس، وعندها انحنت كيري، وشدّت شريط حذائها.

في الحفلة، كان السيد بيغ يجلس على أنابيب التدفئة في غرفة الطعام. «هاي»، قالت كيري. «هل تتذكرني؟» كانت تستطيع أن تعرف من عينيه أنه ليس لديه أدنى فكرة عمن تكون، وتساءلت إن كان سوف يُصاب بالذعر.

دوّر السيجار بين شفتيه، ثم أخرجه من فمه. أشاح بنظره لكي ينفض رماده، ثم عاد ونظر إليها. «اللعنة! بالتأكيد».

سيد بيغ آخر (في محالّ إلين)

لم تصادف كيري السيد بيغ ثانيةً لبضعة أيام. في غضون ذلك كان ثمة شيء يحدث بالتأكيد. التقت مصادفة بأحد أصدقائها الكتاب، ولم تكن قد رأته منذ شهرين، وقال، «ماذا دهاكِ؟ تبدين مختلفةً تماماً».

«حقاً؟».

«تبدين مثل هيثر ليكلير. هل أصلحتِ أسنانك؟».

إذاً هي في محالّ إلين، ومع كاتب كبير، مع أحد الكبار، كاتب لم يسبق لها أن رأته، أشار لها بإصبعه، ثم جلس بقربها، وقال، «لستِ صلبةً كما تحسبين».

«عفواً؟».

«تتجوّلين كأنك، في السرير، في غاية الروعة».

أرادت أن تقول، «حقاً؟» لكن عوضاً عن ذلك، ضحكت وقالت، «ربما كنت كذلك».

أشعل سيجاره. «إذا أردت أن أبدأ علاقة معك، يجب أن تستمرّ إلى وقت طويل. لن أقبل بليلة واحدة فقط».

«حسناً، يا صغيري»، قالت، «لم تلتقِ بالفتاة المناسبة».

ثم ذهبت إلى حفلة، بعد حضورها واحدة من افتتاحيات أفلام بيغي سيغال، والتقت مصادفةً بأحد المنتجين السينمائيين الكبار، أي بكبير آخر،

أوصلها بسيارته إلى حانة بويري. ولكن السيد بيغ كان هناك.

انسلّ السيد بيغ، وجلس بقربها على الكرسي، وتلامس جسداهما.

قال السيد بيغ، «إذاً، ما الذي كنتِ تفعلينه مؤخراً؟».

«بالإضافة إلى الخروج كلّ ليلة؟».

«نعم- ماهو عملكِ؟».

«هذا هو عملي»، قالت. «أجري بحثاً على قضة لإحدى صديقاتي عن النساء اللّواتي يمارسن الجنس كالرّجال. هل تعلم، إنهنّ يمارسن الجنس، ثم لا يشعرن بشيء بعد ذلك».

رمقها السيد بيغ بنظرة.

«لكنكِ لستِ كذلك» قال.

«ألستُ أنا كذلك؟» سألت.

«ليس في قطرة من ذلك». قال.

نظرت كيري إلى السيد بيغ.

«تعاني من مشكلة ما؟».

«الآن، فهمت»، قال السيد بيغ. «لم يسبق أن وقعتِ في غرام أحد».

«أوه، نعم؟».

«نعم».

«وهل أحببتُ أنت؟».

«اللعنة! بالتأكيد».

عادا معاً إلى شقّته. فتح السيد بيغ زجاجةً كريستالية من الشامبانيا. كانت كيري تضحك، وتجاريه، ثم قالت، «ينبغي أن أذهب».

«إنها الرابعة صباحاً». قال. ثم نهض واقفاً. «لن أدعكِ تذهبين إلى البيت الآن».

أعطاها قميص تي شيرت، وبنطلوناً قصيراً للملاكمة. ذهب إلى الحمام بينما راحت تبدّل ملابسها. ذهبت إلى الفراش، واستلقت فوق الوسادة السفلية. أغمضت عينيها. فراشه مريح جداً. إنه أكثر سرير مريح عرفته في حياتها.

حين عاد إلى غرفة النوم، وجدها تغطّ في نوم عميق.

إذا كنت محظوظاً (أو منحوساً، وهذا يتوقف على كيفية نظرك للأمر) يمكن أن ترميك المصادفة بين يدي نمط معين من النساء في نيويورك. امرأة مثل طائر جميل ملون باهر الريش، ومهاجر باستمرار، تجدها في ارتحال دائم. لايتم هذا بطريقة عادية، يومية. هذه المرأة تسافر من بقعة دولية متيرة إلى أخرى. وحين تتعب من موسم الحفلات في لندن، وتشبع من التزلج في آسبن وغستاد، وتشعر بالمرض من جميع الحفلات الليلية في أميركا الجنوبية، يمكن أن تعود إلى عشها - آنياً، ليكن هذا في حسبانك - في نيويورك.

ذات ظهيرة ماطرة من كانون الثاني، وصلت امرأة، سوف نطلق عليها اسم أماليتا أمالفي، إلى مطار جون كينيدي الدولي، قادمةً من لندن. كانت ترتدي معطف فرو أبيض اصطناعي (غوتشي)، وبنطلوناً جلدياً أسود، مصنوعاً في شركة نيويورك للجلود، («البنطلون الأخير من نوعية هذا الجلد - وتشاجرت عليه مع إيل ماكفرسون»، قالت) ونظارة شمسية. كان يحوزتها عشر حقائب من ماركة (تي أنتوني)، وقد بدت مثل نجمة سينمائية. كان الشيء الوحيد الغائب هو سيارة الليموزين، لكنها عوضت عن ذلك بالتعامل مع رجل أعمال، يبدو عليه الثراء، ساعدها في نقل حقائبها. لم يستطع أن يقاوم - إذ لا أحد من الرجال قادر عملياً على مقاومة إغراء أماليتا - وقبل أن يدرك الصاعقة التي ضربته، كان هو، وأماليتا، وعشر حقائب تي أنتوني، يزحفون باتجاه المدينة، برفقة سيارة ليموزين، مدفوعة الأجرة، وقد حاول أن يصطحبها إلى العشاء، في تلك الليلة.

«أتمنى ذلك، يا عزيزي»، قالت بصوت خفيض، تشوبه لكنةٌ خفيفة، تشي بالدراسة في مدارس سويسرية أو حفلات رقص القصور، «لكنني متعبة جداً. لقد أتيت توّاً إلى نيويورك، طلباً للراحة، ألا ترى؟ يمكن أن نحتسي الشاي غداً، مع ذلك. في «الفصول الأربعة»؟ وبعد ذلك، ربما نقوم بجولة تسوق قصيرة. ثمة بعض الأشياء التي أود الحصول عليها من غوتشي».

وافق رجل الأعمال. أنزلها قبالة مبنى شقتها في جادة بيكمان، وأخذ رقمها، ووعد بالاتصال بها لاحقاً.

داخل شقتها، في الأعلى، اتصلت أماليتا بمحال غوتشي، مستعيرة نبرة إنكليزية متكبرة، وقالت، «هذه هي الليدي كارولين بيفرز. لديكم معطف محجوز لي. لقد وصلت توّاً إلى المدينة، وسوف أذهب لإحضاره غداً».

«جيد جداً، مدام بيفرز». قال موظف البيع. وضعت أماليتا السماعة في مكانها وضحكت.

في اليوم التالي، كانت كيري على الهاتف مع صديق قديم اسمه روبرت. «لقد عادت أماليتا»، قالت. «أنا في طريقي لتناول الغداء معها».

«أماليتا!» قال روبرت. «هل ما تزال على قيد الحياة؟ هل ما تزال جميلة؟ إنها امرأة خطيرة. ولكن إذا كنت رجلاً ونمت معها، فهذا يعني أنك أصبحت عضواً في نادٍ خاص. هل تعلمين، لقد كانت مع جيك وكابوت دونكان ... وجميع نجوم الروك، وأصحاب المليارات. إنها مسألة علاقات. تعلمين، يقول الرجل في نفسه، أنا وجيك».

«الرجال»، قالت كيري، «بشرٌ سخفاء».

لم يكن روبرت يصغي إليها. «ليس هناك الكثير من الفتيات على شاكلة أماليتا» قال. «غابرييلا واحدة منهن. وماريت أيضاً. وساندرا. أماليتا جميلة جداً، كما تعلمين، ومريحة، وجريئة جداً، أقصد، لا تُضاهى. يمكن أن يلتقي المرء بهؤلاء الفتيات في باريس، مرتديات ألبسة شفافة، تسلب اللب، ويرى صورهن في المراحيض، وأمكنة مشابهة، ويستمز سحرهن بالتنامي. قدرتهن الجنسية مذهلة، وهي قوة هائلة يمكن أن تغير حياتك إذا لمستها، ولكنك غير قادر على لمسها، لأنها ...».

أقفلت كيري السماعة في وجهه.

في الثانية ظهراً من ذلك اليوم، كانت كيري تجلس في الحانة في هاري سيبرياني، تنتظر وصول أماليتا. وكالعادة تأخرت نصف ساعة. كان في الحانة رجل أعمال ومرافقته وزيونهما يتحدثون عن الجنس. «أعتقد أن الرجال ينفرون من النساء اللواتي يمارسن الجنس معهم في الليلة الأولى»، قالت المرأة. كانت ترتدي بزة بحرية زرقاء. «ينبغي أن تنتظري ثلاثة مواعيد على الأقل إذا أردت أن يأخذك الرجل على محمل الجد».

«هذا يتوقف على المرأة»، قال الزبون. رجل في أواخر الثلاثين من عمره، ويبدو ألمانياً، لكنه يتكلم بلكنة إسبانية- أرجنتيني.

«لا أفهم هذا»، قالت المرأة.

نظر الأرجنتيني إليها. «أنتن نساء الطبقة الوسطى الأميركيات، اللواتي يردن دائماً الإيقاع برجل، يجب أن تحترمن القواعد. ليس من مصلحتكن

ارتكاب الأخطاء. لكن هناك نمط معين من النساء - جميلات جداً ومن طبقة معينة - يستطعن أن يفعلن ما يشأن».

في هذه الأثناء دخلت أماليثا. حدثت جلبةٌ حين عانقها النادل على الباب - «انظز إلى نفسك!» قالت. «نحيل جداً. هل ما زلت تركض خمسة أميال في اليوم؟» - وسرعان ما نُقلت رزمها ومعطفها بعيداً. كانت ترتدي طقماً صوفياً من ماركة جيل ساندر (التنورة وحدها تكلّف أكثر من ألف دولار) وشالاً من الكشمير الأخضر. «هل الجو حارّ هنا؟» قالت، مستخدمة قفازيها كمروحة. خلعت سترتها. المطعم بأكمله افتزّ ثغره دهشةً. «أيتها الحلوة»، قالت بعد أن رمقت كيري في الحانة.

«طاولتك جاهزة»، قال النادل.

«لدي الكثير من الأشياء التي أريد أن أقولها لك»، قالت أماليثا. «بالكاد نجوتُ بحياتي».

كانت أماليثا، في شهر نيسان، قد ذهبت إلى لندن لتحضر حفلة زفاف، والتقت اللورد سكانكي بو - ليس اسمه الحقيقي - «لكنه لورد حقيقي، يا عزيزتي»، قالت، «وتربطه صلة قربى مع العائلة الملكية، ويملك قلعة وكلاباً للصيد. قال إنه وقع في حبي على الفور، هذا المعتوه، منذ اللحظة التي رآني فيها في الكنيسة: عزيزتي، أنا أعبدك، قال لي، مقترباً نحوي في صالة الاستقبال. ثم أردف: لكنني أعبد قبعتك، على وجه الخصوص. كان يجب أن تكون تلك الملاحظة نقطة عبوره الحاسمة. لكنني لم أكن صافية الذهن في تلك اللحظة. كنتُ أمكث مع كاثرين جونسون-بيتس، في لندن، وكانت على وشك دفعي إلى شفير الجنون، وظلت تتأفف من أمتعتي المبعثرة في أرجاء حجرتها اللعينة ... حسناً، إنها من برج العذراء، فماذا تتوقعين؟ على أي حال، كلّ ما كان بإمكاني التفكير به هو العثور على مكان جديد أمكث فيه. وكنتُ أعرف أن كاثرين تضع عينها على اللورد سكانكي. اعتادت أن تحوك له الشالات من أسوأ أنواع الضوف، ولم يكن يمنحها وقتاً خلال اليوم، وبالتالي، وبشكل طبيعي، لم أستطع أن أقاوم. أضف إلى ذلك، كنتُ أحتاج إلى مكان أمكث فيه».

في تلك الليلة، بعد انتهاء حفلة الزفاف،انتقلت أماليثا، عملياً، إلى منزل في ساحة إيتون سكوير. وسارت الأمور على أحسن ما يُرام في الأسبوعين الأولين. «كنتُ أقوم بروتين الخليلة أو الفيشا»، قالت أماليثا. «تدليك الظهر، وإحضار الشاي له، وقراءة الجرائد قبله كي أشير له إلى ما يستحق القراءة من الأخبار». مرةً اصطحبها لشراء بعض الأشياء. استمتعا كثيراً، وحضرا حفلة رماية في القلعة. ساعدته أماليثا بتنظيم قائمة

الضيوف، ودعت من يستحق من الناس، وسلبت خيال الخدم، وتركت انطباعاً هائلاً لديه. حين عادا أدراجهما إلى لندن، بدأت المشاكل.

«تعلمين، أليس كذلك؟ ألم أحتفظ بجميع ملابسي الداخلية التي جمعتها خلال السنوات الماضية؟» سألت أماليثا. هزت كيري رأسها موافقة. كانت كيري تعرف كل شيء متعلق بملابس أماليثا، وتصاميمها المتنوعة، التي عملت على تجميعها خلال السنوات الخمس عشرة الماضية - تعرفها جيداً، في الحقيقة، لأنها ساعدت أماليثا في تغليفها بمنسوجات خاصة، وتخزينها، وقد استغرق هذا العمل ثلاثة أيام. «حسناً، ذات يوم دخل علي وأنا أرتدي ملابسي»، قالت. «عزيزتي»، قال، «لطالما تساءلت كيف يبدو الأمر إذا ارتديت أحد تلك القساتين الجميلة للأرامل. هل تمانعين إذا... جربت أحدها؟ عندئذ سأحس بإحساسك، وماذا يعني أن أكون أنت».

«حسناً. ولكن، في اليوم التالي، كان يريدني أن أضربه... بجريدة ملفوفة. لكنني سألته: ألن تأخذ فائدة أكبر من الحياة لو أنك تقرأها! أجاب: كلا، أريدك أن تجلديني جيداً. وهكذا أطعته. خطأ آخر. ووصلت به الأمور إلى حد إيقاظي صباحاً، وارتداء ملابسي، ورفض مغادرة المنزل. واستمرت الأمور على هذا المنوال بضعة أيام. ثم أصر على ارتداء مجوهراتي من ماركة شانيل».

«كيف بدا فيها؟» سألت كيري.

«ليس سيئاً»، قالت أماليثا. «إنه من تلك الأنماط الإنكليزية الجميلة، كما تعلمين، التي لا تعرفين أبداً، في الواقع، إن كانت مثلية أم غيرية. لكن المشهد بدا مثيراً للشفقة. راح يزحف على يديه وقدميه، عارضاً مؤخرته. ولك أن تتخيلي كيف كنت أفكر بالزواج به، قبل ذلك».

«على أي حال. قلت له إني مغادرة. لكنه اعترض طريقي. أقفل علي باب غرفة النوم، ولم أجد منفذاً سوى الهرب من النافذة. كنت أرتدي، بكل غباء، حذاء مانولو، له كعب عالٍ، عوضاً عن حذاء غوتشي الأكثر راحةً، لأني سمحت له العبث بأحذيتي، وماركة مانولو هي الوحيدة التي لم يكن يحبها - كان يقول إنها من ماركة العام الفائت. ثم قرر أن لا يسمح لي بالعودة إلى المنزل. قال إنه يحتجز ملابسي كفدية بسبب فاتورة هاتفية غبية. ألفا جنيه استرليني. قلت: حبيبي، ماذا يُفترض بي أن أفعل الآن؟ ينبغي أن أتصل بوالدتي وابنتي».

«كان بحوزتي بطاقة هاتفية. أخذت هاتفه الخليوي. اتصلت به من الشارع. قلت له: عزيزي. أنا ذاهبة للقاء كاترين على الشاي. حين أعود،

أتوقع أن أرى جميع حقائبي، محكمة بأناقة، وجاهزة، على العتبة الأمامية. ثم سأتفقدها جميعاً. إذا وجدتُ أن ثمة قطعة مفقودة - قرطاً صغيراً، سلكاً صغيراً، المطاط على كاحل الحذاء - فسأتصل بنايجل ديمبستر».

«هل قام بذلك؟» سألت كيري بشيء من السخط.

«بالطبع!» قالت أماليا. «الإنكليز يخافون من الصحافة إلى درجة الموت. إذا أردتِ أن تجبري أحدهم على الركوع على قدميه، فهددِيه فقط بالجرائد».

في تلك اللحظة، اقترب الشاب الأرجنتيني من الطاولة، «أماليتا»، قال، ماداً يده، بانحناءة خفيفة.

«أوه كريس، كيف الحال؟» سألت، ثم تبادلا بعض الجمل بالإسبانية التي لم تفهمها كيري، ثم قال كريس، «أنا في نيويورك لمدة أسبوع. يجب أن نلتقي».

«بالطبع، يا عزيزي»، قالت أماليا، ناظرةً نحو الأعلى، باتجاهه. كانت لديها طريقة في تحريك عينيها حين تبتسم، توحي للآخر بأن عليه أن يغادر حالاً.

«أوه. أرجنتيني تري». قالت. «مكثتُ في مزرعته ذات مرة. ركبنا خيول البولو على طول الباحة. كانت زوجته حاملاً، وكان لذيذاً جداً، وقد نمتُ معه، واكتشفت هي الأمر. وكانت لديها الجرأة للتعبير عن سخطها. كان شخصاً كسولاً. ولا بد أنها كانت سعيدة لتجد من يخطفه من بين يديها».

«آنسة أمالفي؟» سأل النادل. «لديك مكالمة هاتفية».

«إنه رايتي»، قالت بنبرةٍ مظفرة، ثم عادت إلى الطاولة بعد بضع دقائق. رايتي عازف الغيتار الرئيسي في فرقة روك مشهورة. «يريدني أن أرافقه في جولة. إلى البرازيل. وسنفافورة. قلتُ له سوف أفكر بالموضوع. هؤلاء الرجال معتادون كثيراً على نساء يسقطن راكعات أمام أقدامهم. يجب أن تُبدي بعض التحفظ. هذا يجعلك تحتفظين بمسافة ما».

فجأةً، سمعت جلبةً خلف الباب من جديد. نظرت كيري إلى الأعلى ثم خفضت رأسها، متظاهرةً بتفحص أظافرها. «لا تنظري الآن»، قالت. «لكن راي هنا».

«راي؟ أوه، أعرف راي». قالت أماليا. ثم ضاقت عيناها.

لم يكن راي رجلاً بل امرأة. امرأة يمكن تصنيفها، ولو بشكلٍ فضفاض، على أية حال، في الخانة ذاتها مثل أماليا. هي أيضاً حسناء دولية، ولا يمكن أن يقاومها الرجال، لكنها تمثل حالةً مؤزقة. عارضة أزياء من أواخر

السبعينيات، كانت قد انتقلت إلى لوس أنجلس سعياً، في الظاهر، وراء مهنة التمثيل. لكنها لم تحظ بأي دور، بل ارتبطت بعلاقات مختلفة مع عدد من الممثلين المعروفين. ومثل أماليتا، لديها طفل من علاقة عشق، ويُشاع أنه من صلب أحد الممثلين السوبر ستار.

تفحصت راي أرجاء المطعم. كانت قد اشتهرت - من بين أشياء أخرى كثيرة - بعينيها الواسعتين، الكبيرتين، ولونهما الأزرق الخفيف، حتى إنهما تبدوان مائلتين للبياض. توقفت نظراتها عند أماليتا. لوحت بيدها، واتجهت نحوها.

«ما الذي تفعلينه هنا؟» سألت، سعيدة في الظاهر، رغم أنه يُحكى بأن المرأتين كانتا عدوتين لدودتين في لوس أنجلس.

«وصلتُ توّاً»، قالت أماليتا، «من لندن».

«هل ذهبتِ إلى حفلة الزفاف تلك؟».

«الليدي بياترس؟» سألت أماليتا. «نعم. رائع. بحضور جميع الأوروبيين المرموقين».

«عزيزتي»، قالت راي. كانت تتحدث بلكنة جنوبية خفيفة، ربما مستعارة، بما أنها من ولاية أيوا. «كان يجب أن أذهب. لكنني توزطتُ مع سنيك»، قالت، مشيرةً إلى اسم ممثل معروف جيداً بأفلام الأكشن - في أواخر الستين من عمره، لكنه ما يزال يؤدي أدواراً فيها - «وكما تعلمين، لم أستطع أن أتملّص».

«فهمت»، قالت أماليتا، ورمقتها بنظرة مستغربة.

يبدو أن راي لم تلحظ نظرتها. «كان من المفترض أن أقابل صديقة لي، لكنني أخبرتُ سنيك أنني سوف أراه في الفندق في الساعة الثالثة، حيث إنه يقوم هنا ببعض الترويج، والساعة الآن الثانية وخمس عشرة دقيقة. تعلمين، سنيك ينزعج من التأخير وأنا لا ألتزم بموعد».

«إنها مسألة التعامل مع الرجال بالطريقة المناسبة»، قالت أماليتا. «لكنني أتذكّر أن سنيك يكره الانتظار. بلّغيه تحياتي، نيابةً عني، يا عزيزتي. ولكن إذا نسيتِ، فلا عليكِ. سوف أراه في غضون شهر، في كل الأحوال. دعاني للذهاب في رحلة تزلج. فقط كصديقين، بالطبع».

«بالطبع»، قالت راي. تخلّل ذلك صمتٌ مريبٌ. نظرت راي مباشرةً إلى كيري، التي تمنّت أن تخفي رأسها بمنديل ورقي. من فضلكِ، همست في سرّها، من فضلكِ لا تسأليها عن اسمي.

«حسناً، ربما اتصلتُ بها»، قالت راي.

«لماذا لا تفعلين ذلك حالاً؟» سألت أماليتا. «الهاتف هناك».

غادرت راي، آنياً على الأقل. «نامت مع الجميع»، قالت كيري. «بما في ذلك السيد بيغ».

«أوه، من فضلك، يا حلوة. لا يهمني الأمر البتة»، قالت أماليتا. «إذا أرادت امرأة أن تنام مع رجل، فهذا خيارها، وهذا عملها. لكنها ليست شخصاً سوياً. سمعتُ بأنها كانت تريد أن تصبح واحدةً من فتيات مدام أليكس، لكن حتى أليكس نفسها رأت أنها مجنونة أكثر مما ينبغي».

«كيف تعيش إذاً؟».

رفعت أماليتا حاجبها الأيمن. ظلّت صامتة لدقيقة-في النهاية، كانت سيدةً من رأسها حتى أخمص قدميها، فهي ترنت في «الجادة الخامسة» الشهيرة، في جوّ السهر والحفلات. لكنّ كيري كانت حقاً تريدُ أن تعرف. «إنها تتلقى الهدايا. ساعة من ماركة بولغاري. قلادة عنق من ماركة هاري وينستون. ملابس، سيارات، بيت ريفي صغير في مزرعة أحدهم، شخص يريد أن يساعدها. والمال يُدفع نقداً. لها طفل. ثمة العديد من الرجال الأثرياء الذين يشعرون بالشفقة. هؤلاء الممتلون بملايينهم التي يتقاضونها. إنهم مستعدون لتحرير شيك بقيمة خمسين ألف دولار. أحياناً لمجرد المضي قدماً».

«أوه، من فضلك»، قالت، ونظرت إلى كيري. «لا تكوني مصدومةً هكذا. أنت دائماً تلك الحلوة البريئة، الساذجة. ولكنكِ امرأة لديها دائماً مهنة تعيش من خلالها. نساء مثلي ومثل راي لا يحبذن العمل. كنتُ دائماً أريد أن أعيش، وكفى».

«ولكن هذا لا يعني أن الأمر سهل». كانت أماليتا قد أقلعت عن التدخين، لكنها سحبت سيجارة من علبة تبغ كيري وانتظرت النادل لكي يشعلها لها. «كم مرة اتصلتُ بكِ وأنا أبكي، بلا نقود، حائرةً ماذا أفعل، أو أين سأذهب. الرجال يعدون بأشياء، لكنهم لا يفون بوعودهم. لو كنتُ فتاةً تعمل حسب الطلب، لكان الأمر أكثر سهولة. ليس الجنس هو المشكلة - إذا أحببتُ رجلاً، فسوف أمارس الجنس معه في كل الأحوال - ولكن حقيقة أنكِ لن ترتقي إلى مستواهم قط. أنتِ مجرد موظفة. ولكن، على الأقل يمكن أن تغادري، وفي جيبك بعض النقود».

رفعت حاجبيها، وهزت بكتفيها. «أسأل، دائماً، هل ثمة من مستقبل؟ ينبغي أن تظلّ المرأة مثابرة. في الملابس واللّياقة. تمارس التمارين الرياضية. التدليك ومستحضرات الوجه، وعمليات التجميل. هذه كلّها باهظة الثمن. انظري إلى راي. أجرت عمليات تجميل لثدييها وشفتيها

ومؤخرتها؛ إنها ليست صغيرة في السن، يا عزيزتي، وقد تجاوزت الأربعين. ما ترينه هو كلّ ما تملكه».

هرست سيجارتها في المنفضة. «لماذا أدخن؟ هذا مضرّ جداً للبشرة. أتمنى أن تقلعي عنه، يا حلوتي. ولكن هل تذكرين؟ حين كنتُ حاملاً بابنتي؟ كنتُ مريضة. محظمة نهائياً. أشارك أحد الطلبة شقةً صغيرة رديئة لأنني لم أكن قادرة على الأفضل. منة وخمسون دولاراً في الشهر. كان يجب أن أستفيد من الضمان الاجتماعي للحصول على عناية طبية من أجل إنجاب الطفلة. وكان عليّ أن أستقلّ الباص إلى مشفى الضاحية. حين احتجتُ حقاً لمساعدة، يا حلوتي، لم يكن ثمة من رجال حولي. كنتُ وحيدةً تماماً، باستثناء بعض صديقاتي المخلصات».

في تلك اللحظة بانت راي، على الطاولة، تعضّ شفتها السفلى. «هل تسمحون لي؟» قالت. «ستصل الفتاة بعد قليل، ولكن في غضون ذلك، أرغب ببعض الشراب المنوّع. أيها النادل، أحضر لي الفودكا. على الفور». ثم أخذت مكانها. لكنها لم تنظر إلى كيري.

«اسمعي، أريد أن أتحدث إليك عن سنيك»، قالت راي لأماليثا. «أخبرتني أنه كان معك».

«هل أخبرك حقاً؟» سألت أماليثا. «حسناً، أنتِ تعرفين، تربطني بسنيك علاقة فكرية».

«هل ما زلتِ حتى الآن؟ كنت أظن أنه يمتعني جنسياً ويحسن معاملة طفلي»، قالت راي. «لستُ قلقة بشأن ذلك. لكنني أظن أنني لا أستطيع أن أثق به، وهذا كلّ ما في الأمر».

«ظننتُ أنه عقد خطوبته على إحداهن»، قالت أماليثا. «امرأة لها شعر أسود فاحم ستنجبُ له طفلاً».

«اللعنة. كارميليتا أو ما شابه. إنها تشبه عاملة ميكانيك سيارات، أتت من لامكان. ربما من يوتا. كان سنيك في رحلة تزلّج، وتعطلت سيارته، فأخذها إلى المرأب، وهناك وجدها، تحمل مفتاح الزانش. ومحرومة. الآن، هو يحاول التخلّص منها».

«العملية بسيطة جداً، إذاً»، قالت أماليثا. «يكفي أن تضعي بعض الجواسيس. لديّ خادمي وخادمتي. أرسلي له خادمك أو سائقك، واطلبي أن يخبروك بكل شيء».

«اللعنة». صرخت راي. فتحت فمها الكبير، المتلألئ بأحمر الشفاه، وأسندت ظهرها إلى الكرسي، وراحت تضحك بهستيرية. شعرها الأشقر

يميل إلى البياض تقريباً، وهو سبل تماماً. بدت غريبة الأطوار تماماً، لكنها جذابة بشكل مدهش.

«أعرف أنني أحبك»، قالت. كاد الكرسي يلامس الأرض، وأوشكت راي على الانهيار خلف الطاولة. لم يبق أحد في المطعم إلاّ نظر إليها. كانت أماليثا تضحك هي الأخرى، بل وتختنق، بين الحين والحين. «لماذا لسنا أصدقاء أفضل؟» سألت راي. «هذا ما أريد أن أعرفه».

«أوه! ليست لدي أدنى فكرة، يا راي». قالت أماليثا. واكتفت بالابتسام الآن. «ربما يعود السبب إلى بروستر».

«هذا الممثل القذر اللعين»، قالت راي. «تقصدين تلك الأكاذيب التي أخبرته بها عنك لأنني كنتُ أريد امتلاكه بمفردي؟ حسناً، اللّعنة، يا عزيزتي، هل يمكن أن تُلقي عليّ اللّوم؟ كان يملك أكبر عضوٍ في لوس أنجلس، حين رأيتُ ذاك الشيء - خرجنا معاً إلى العشاء في مطعم، وأمسك يدي، ووضعها على عضوه، تحت الطاولة، فشعرتُ بإثارة رهيبة، فأخرجته من بنطلونه وبدأتُ أمسده، ورأته إحدى النادلات فدبّ الخوف في قلبها، لأنه كان كبيراً جداً، وحين رموا بنا إلى الخارج - قلتُ ذاك الشيء هو لي. لن أتشارك به مع أية امرأةٍ أخرى».

«أجل كان كبيراً جداً»، قالت أماليثا.

«أتقولين كبيرٌ جداً؟ حبيبتي، إنه يشبه الحصان»، قالت راي. «كما تعرفين، أنا خبيرة في الفراش، وأفضلُ امرأةٍ يمكن أن يمتطيها رجل. ولكن حين تصلين إلى مستواي، يبدأ يحدث شيءٌ ما. العضو العادي لا يفعل شيئاً لك. آه، أجل، أنا مستعدة لأن أنام مع هؤلاء الرجال، لكنني أخبرهم بكلّ شيء، لأنني أبحث عن متعتي، عن إشباع رغباتي».

لم تكن راي قد أنهت ثلاثة أرباع كأسها من الفودكا، حتى بدأ شيء ما يحدث لها. إنه يشبه إنارة الأضواء العالية، ولكن لا أحد يقود السيارة. «أوه، نعم»، قالت. «أحبّ شعور الامتلاء. أعطني إياه أعمق، فأعمق، يا حبيبي. خُذني». وبدأت تهزّ حوضها مقابل الكرسي. وكادت ترفع ذراعها اليمنى، ثم أغمضت عينيها. «أوه نعم، حبيبي، أوه نعم، حبيبي، أوه!» وأنهت، بصرخة قصيرة، ثم فتحت عينيها. وقع بصرها على كيري فراحت تحدق بها مباشرةً، وكأنها انتبهت فجأةً لوجودها. «ما اسمك، يا حبيبتي؟» سألت. وتذكرت كيري فجأة قصة كيف أن كابوت دونكان مارس الجنس مع راي، على الأريكة، وسط حفلة عامة، وعلى مرأى من الجميع.

«كيري»، قالت.

«كيري...؟» سألت راي. «هل سبق أن تقابلنا؟».

«كلا»، قالت أماليتا. «إنها فتاة عظيمة. واحدة منا. لكنها مثقفة. كاتبة».

«ينبغي أن تكتبي لي قصة»، قالت راي. «أقول لك إن حياتي قصة تستحق أن تتصدر قائمة المبيعات. لقد حدث لي، ومعي، الكثير. أنا من الناجيات». ونظرت إلى أماليثا، للمزيد من التأكيد. «انظري إلينا، نحن كلتانا من الناجيات. الفتيات الأخريات... مثل ساندرا...».

«إنها تستحق درجة الممتاز وتعمل طوال الوقت، ولا تخرج أبداً»، قالت أماليثا.

«غابرييلاً...».

«فتاة حسب الطلب».

«ماريت...».

«ذهبت. أولاً إلى ديتوكس ثم إلى سيلفر هيل».

«أخبريني عن هذا»، قالت راي. «سمعتُ أنها أصيبت بانهيارٍ عصبي على أريكتك، ولم يكن أمامك سوى أخذها إلى مشفى المجانين».

«لقد خرجت الآن. ولها عمل. علاقات عامة».

«أسفي ذلك علاقات فقيرة»، قالت راي. «يريدون أن يستعملوها من أجل علاقاتها الاجتماعية، لكن عينيها هائمتان، وبالكاد تستطيعين الحديث معها. إنها تكتفي بالجلوس هناك، مثل مجنونة، بينما يقومون باستغلالها».

لم تستطع كيري تمالك نفسها. وضحكت.

نظرت إليها راي باستغراب. «حسناً، هذا غير مضحك. أتعلمين؟».

أتناول العشاء مع رجل الآن. بدأنا بالزجاجة الثانية من شاتو لاتور، 1982. ربما كان هذا هو موعدنا الغرامي الثالث. ربما هو العاشر. هذا لا يهم. لأن هذا ما ستنتهي إليه الأمور دائماً. المحتوم، الذي لا مفر منه.

«إررررر»، يبدأ.

«نعم؟» أسأله، مائلةً بجذعي نحو الأمام. يريح يده حول خصري. ربما هو على وشك «طرح السؤال». ليس على الأرجح، ولكن، مزةً ثانية، ما الأمر؟

يبدأ ثانيةً. «هل سبق لكِ...».

«نعم؟».

«هل سبق لكِ... وأردتِ...».

«ماذا؟».

«هل سبق لكِ أن أردتِ... ممارسة الجنس مع امرأةٍ أخرى؟» يسأل، مظفراً.

ما زلتُ أبتسم. هو ذا جالسٌ على الطاولة، مثل بركة من القيء. عرفتُ للتو ما سيأتي في ما بعد.

«معي، بالطبع»، يقول. «تعرفين، علاقة ثلاثية». ثم أتت ضربةُ البداية. «يمكن، ربما، أن نطلب من إحدى صديقاتكِ».

«لماذا ينبغي أن أفعل ذلك؟» أسأل. لا أكلّف نفسي حتى مشقّة سؤاله لماذا يظن أن إحدى صديقاتي يمكن أن تكون مهتمة بذلك.

«حسناً. أظن أنني سأحب ذلك»، يقول. «فضلاً عن أنه يمكن أن يستهويكِ أنتِ، أيضاً».

لا أظن ذلك.

«تنويع جنسي»

نيويورك هي المكان الذي يأتي فيه الناس لإشباع تخيلاتهم الفانتازية. مال. نفوذ. بقعة ضوء في برنامج ديفيد ليترمان. وإذ تكون وسط كلّ هذا، لماذا لا ترتبط بامرأتين في وقت واحد؟ (ولم لا تسأل؟). ربما على كلّ شخص أن يجرّبها مزةً واحدةً على الأقل.

«من بين جميع التخيلات، تتفوق هذه على غيرها»، قال المصوّر الذي أعرفه. «الحياة، في الأغلب الأعم، سلسلة من خيبات الأمل. ولكن امرأتان؟ بغض النظر عما يمكن أن يحدث، لا يمكن أن تخرجي خاسرة».

هذا ليس صحيحاً تماماً، مثلما اكتشفت لاحقاً. فالعلاقة الثلاثية هي الفانتازيا التي يبدو أن أهل نيويورك يبرعون فيها. ومثلما أخبرني أحد أصدقائي: «إنها تنويعٌ جنسي يقف على النقيض من الشذوذ الجنسي». خيارٌ آخر في مدينة الخيارات، أم ثمة جانب قاتم للعلاقة الثلاثية؟ وهل هي من تلك الأعراض التي تعكس العطب الذي انتهت إليه مدينة نيويورك، ونتاج ذاك المزيج من اليأس والرغبة، الخاص بمانهاتن؟

في كلتا الحالتين، لكلّ امرئٍ قضيته. إما أنه جرّبها، أو يعرف شخصاً جرّبها أو رأى ثلاثة أشخاص على وشك فعلها - مثل تينك «العارضتين المرموقتين» اللّتين استدرجتا أخيراً، عارض أزياء مرموقاً، إلى حمّام الرجال، في حانة «النفق»، وأجبرتاه على استهلاك جميع المخدّرات التي بحوزته، ثم أخذتاه إلى المنزل.

الحفلة الثلاثية تتضمن أكثر الأرقام إشكالية في العلاقات: ثلاثة. مهما كنتَ تتوهم بأنك مثقّف ومعقّد، حقيقة، فهل يمكنك فهم هذا؟ من يتألّم هنا؟ هل ثلاثة أفضل من اثنين حقاً؟

مشدودين، ربّما، إلى إغراء المشروب المجّاني، واللّحم المشوي المجّاني، والفستق المجّاني، المغطّس بالعسل، التحق بي سبعة رجال، في إحدى أمسيات الاثنين، في قبو أحد استديوهات الرّسم في حي سوهو، للحديث عن العلاقات الثلاثية. هناك التقينا المصوّر ورجل السيّدات لعام 1980، بيتر بيرد، ووجدناه منهمكاً في عمله من قمّة رأسه حتى أخمص قدميه. كان يصنع «كولاجاً»: يرسم أشكالاً على بعض صور الحيوانات التي التقطها بالأبيض والأسود. وبدت على بعض الصور بقع مائلة للون الضدأ، وكنت قد سمعت بأن بيتر يستخدم دمه في التلوين. كان يرتدي بنطلون جينز، وقميصاً رياضياً.

بيتر رجل من «النوع البزي» الذي يسمع عنه المرء قصصاً كثيرة. على سبيل المثال: يُقال إنه تزوّج حسناء السّبعينيات، تشيرل تايغرز (صحيح)؛ أو أنه فُيِد من قدميه، ذات مرّة، في أفريقيا، وكاد يُطعم للحيوانات المفترسة (ربّما غير صحيح). قال لنا إنه سوف يستمرّ في العمل، بينما نحن نتبادل أطراف الحديث. «أنا أعمل طوال الوقت»، قال بيتر. «ربما لكي أطرد الضّجر».

جهز كلّ منا كأسه بنفسه ثم أوقدنا شريحة اللّحم المشوي الأولى. وباستثناء بيتر، طلب مني الجميع تغيير أسمائهم في هذه المقالة. «استخدام أسمائنا الحقيقية قد لا يكون مفيداً لنا في علاقتنا مع القاعدة العريضة لزبائننا»، قال أحدهم.

وبدأنا بموضوع المناقشة.

«إنه أشبه بالانهيار الجليدي في هذه الآونة»، قال بيتر. «أعرف بعض الفتيات، وسأقابل إحداهنّ هذه الليلة، وهذه تقول إنّ تسعين بالمئة من صديقاتها عرضن عليها إقامة علاقة. هذه بالتأكيد ظاهرة جديدة».

غطس بيتر فرشاته في الذهان الأحمر. صناعة عروض الأزياء، يقول بيتر، تغري النساء بالانخراط في علاقات ثلاثية. «يستغلّ الوكلاء والوسطاء الفتيات ويطلبون منهنّ تنازلات كثيرة، مقابل حجز أمكنة لهنّ». ثم أضاف، «جميع عارضات الأزياء يجدن طريقهنّ إلى المرحاض».

ظلّ تاد، الرجل الأشقر، والمهندس البالغ من العمر الثانية والأربعين، مرتاباً. «أعتقد أنّ الأرقام يملكها مكتب الإحصاء الحكومي فقط». لكنه تابع يقول، «تمثل النساء، جسدياً، الكثير من الشهوانية، والكثير من الجمال»، قال. «وبالتالي من السّهل الاحتلام بامرأتين معاً. رجلان معاً يمثلان نوعاً من الفانتازيا الجافة».

نظر بيتر إلى الأعلى، من الفسحة التي يشغلها على الأرض. «يمكن للنساء أن ينفن في سريرٍ واحد، ولا يظنّ أحدٌ بهنّ سوءاً»، قال.

«نهلّل لذلك»، قال سيمون، وهو في الثامنة والأربعين، ومالك شركة حواسيب. «ليس وارداً أبداً أن ينام أحدٌ منا مع الآخر في سرير واحد. أنا على الأقلّ لا أفعلها»، قال جونسي، في الثامنة والأربعين، مدير تنفيذي لشركة تسجيلات على الساحل الشرقي. ثم نظر حوله.

«السبب أنّ الرجال لا يفعلونها هو أن معظمهم يشخرون في نومهم»، قال بيتر. «فضلاً عن أنّ هذا ليس صحياً للجهاز العصبي».

«يوقظ كلّ أنواع المخاوف الهاجعة والمتأصلة»، قال سيمون. سادت لحظة من الصمت، ونظرنا حولنا في أرجاء الغرفة.

كسر بيتر التوتر. «الحقيقة السفلية لهذا هي دراسات الجرذان البيولوجية»، قال. «الكثافة، الضغط، والاكتظاظ في البنى التحتية. الظاهرة الأولى للجرذان المكتظة هي فصل الأجناس. وفي هذه المدينة، ومع كل هؤلاء المحامين والأحياء المكتظة، أنت أمام ضغوط هائلة. الضغط يعبث بالهرمونات. وحين تُصاب الهرمونات بالخلل تكثر حالات الشذوذ المثلي. والمثلية هي الطريقة التي تعتمدها الطبيعة لتقليص عدد

السكان. هكذا تتفاقم وتكبر جميع هذه الأشياء غير الطبيعية التي نتحدث عنها».

«هذا يلخص المسألة كاملةً»، قال تاد بنبرة جافة.

«إننا نعيش حياةً مشبعة بالحسية»، قال بيتر. «اكتظاظ كبير. توتر شديد. ملايين المواعيد الغرامية. ملايين المواعيد مع المحامين. حتى الشيء البسيط لم يعد سهل المنال. الآن ينبغي أن تتعرف على فتاتين أو ثلاث، أو تذهب لترى العاريات المثيرات في نادي (بيور بلاتينوم)».

«من جهة أخرى، قد يكون السبب وراء التعرف على شركاء جنسيين بأدوار متعددة هو الفضول»، قال تاد. «دون الاستغراق في التحليلات».

لكنّ قريحة بيتر كانت متدفّقة. «ماذا عن قلّة الإخلاص؟» قال متسائلاً. «ثمة إخلاص أقلّ، ووفاء أقلّ. إذا انجذبت حقاً إلى فتاة، فإنك لن تفكّر بأخرى. ولكن، في هذه الأيام، انحسر الإخلاص كثيراً».

«قد يكون هذا هو السبب»، قال جونسي بحذر.

«حين تقابل أناساً في نيويورك، فإن كلّ ما تحصده هو قذاراتهم»، قال بيتر، غير منتبه إلى أنّ فرشاة الرسم بدأت تجفّ. «تسمع جميع مشاكلهم التي يخبرونك بها في الحفلات. ينالك الشيء اللّعين ذاته أثناء حفلات العشاء، حتى تقرر عدم الذهاب نهائياً».

«تخفف الذهاب كثيراً»، قال جونسي موافقاً.

«تذهب إلى المرحاض، وتحصل على تمرين جنسي، من إحدى العاملات في صناعة الأزياء»، قال بيتر. ساد صمتٌ قصير، وإذا لم أكن مخطئة، صمت مخيف. يتابع بيتر، «هذا ليس بواقع. هذا ليس تواصلاً. هذا ليس إخلاصاً. إنها مجرّد لحظة في حياتهم المثقلة بالضغوط».

«فكّرت أنه ينبغي أن أترك عملي»، قال تاد.

خب لا طائل منه تحت تأثير حبوب- E

سيطرت تلك الحالة الذهنية على تاد قبل ثلاث سنوات، حين جرّب أكثر أشكال الحسية بدائيةً: ما سماه «الجنس الجماعي تحت تأثير المخدر».

كان قد انفصل لتوّه عن عشيقته، التي أمضى معها خمس سنوات. وجد نفسه في حفلة، ورأى فتاةً جذابة لا يتجاوز عمرها عشرين عاماً. لحق بها ورآها تصعد في سيارة أجرة. استقلّ سيارته المرسيدس. حين توقّفت

السيارة على الإشارة الضوئية، توقّف قربها. اتفقا على اللّقاء ليلاً في النادي، في اليوم التالي.

جاءت وبرفقتها صديقة اسمها آندي. «لحسن الحظّ»، قال تاد، «تبين أن آندي فتاة مجنونة». وصلت بالطائرة للتو من إيطاليا، وبدأت تتجوّل من مكانٍ لآخر، مرتديةً معطفاً من فرو الفعالب. بعد استهلاك حبوب- E، عاد الثلاثة أدراجهم إلى شقّة تاد، واحتسوا الشامبانيا، وهشموا الكؤوس على الأرض، ثم ناموا معاً. خلدت ابنة العشرين ربيعاً إلى النوم، فانفرد تاد وآندي ببعضهما، وابنة العشرين ترقد بقربهما على السرير.

قاطع بيتر الحكاية. «المزيد من التجارب، يومياً، وبالتالي العمل باستمرار، وبإيقاع أسرع! المزيد!» قال. «هذا يتجاوز قدرتنا على التحمّل، ما يجعلنا ندفع حظوظنا قدماً، ونتعرّف على بينات جديدة، فضلاً عن التوسّع...».

«الأمر يشبه شخصاً يمشي، حاملاً صينية من البسكويت، فتأخذ كمشة منها»، قال غاريك، وهو في الثلاثين من العمر، وعازف غيتار، وصاحب فرقة محلية.

بدأ تاد يتّفق مع بيتر. «إنّها فكرة طلب المزيد»، قال تاد. «هذه أربعة نهود بدل اثنين».

وصل سام، المستثمر المصرفي، وكنا فرحين لذلك. سام، في الحادية والأربعين، وهو من النمط الذي يقول دائماً إنه يريد أن يتزوّج لكنه غالباً «ما ينسى» رزم المكالمات الهاتفية للنساء اللّواتي يخرج معهن. ولهذا ما يزال عازباً. سام قال إنه جرّب العلاقة الثلاثية.

«لماذا فعلتها؟» سألنا.

هزّ سام كتفيه. «مجرّد تنويع. تشعر بالإرهاق من ارتباطك بشخص واحد، بعد فترة قصيرة».

قال سام: ثمة ثلاث حالات أساسية قد تؤدي إلى العلاقات الثلاثية. الأولى: الرجل يسعى، منذ زمن، إلى اصطحاب عشيقته إلى الفراش بصحبة امرأة أخرى. قد يكون السّبب ملاً أصابه، أو أنه يريد أن ينام سرّاً مع صديقتها.

ثانياً: العشيقة تريد سرّاً أن تنام مع امرأة أخرى، وتريد أن تقنع عشيقها بأن يجعل الأمر أكثر سهولةً لها في التعامل مع الأمر.

ثالثاً: امرأتان متناغمتان تخطّطان لاستدراج رجل إلى الفراش.

قال سام إنّه كان لديه عشيقة، اسمها ليبي، استمرّت علاقته بها ستة أشهر، وأقنع نفسه خلالها بأنها ترغب في ممارسة الجنس مع أفضل

صديقاتها، أماندا. بالطبع، كانت الحقيقة، التي يعترف بها الآن، هي أنه هو الذي كان يريد ممارسة الجنس مع أماندا.

تحت الضغط، وافقت ليبي أخيراً على هندسة الأمسية. جاءت أماندا. شربوا النبيذ. جلسوا على الأريكة. طلب سام من المرأتين خلع ملابسهما. بعدئذٍ؟ «فشلتُ فشلاً ذريعاً»، قال سام. وبينما بقيت ليبي على الأريكة، تحتسي النبيذ، أخذ سام أماندا إلى السرير. «كنتُ منجذباً إليها وحدها. المشكلة هي أنك تفضل، في نهاية المطاف، فتاةً على أخرى، وبالتالي ستظلّ واحدة منهن خارج اللعبة»، قال. أخيراً، أتت ليبي إلى السرير. «أظن أنهما كانتا تنتظران مني أن أقول لهما ماذا تفعلان، وأن أسيطر على الحالة. لكنني كنتُ منجذباً إلى أماندا وحدها، ولم أستطع فعل أي شيء»، قال سام. لم تستطع ليبي أبداً نسيان ما حدث. بعد شهرين، انفصل سام وليبي. وانقطع الكلام بين ليبي وأماندا لفترة قصيرة.

اعترف سام بأنه كان يدرك أن ثمة «نتائج» سوف تتمخض عن العلاقة الثلاثية، لكنك «تمضي قدماً، بغض النظر عن أي شيء آخر، لأنك رجل».

القاعدة الأولى في العلاقة الثلاثية: «لا تفعلها البتة مع عشيقتك»، قال غاريك. «إنها دائماً كارثة».

القاعدة الثانية: «لا يمكنك التخطيط لها. ثمة دائماً خلل يحدث»، قال سيمون الذي أشار إلى أنه جرّب العلاقة الثلاثية ست مرات أو سبعاً. «يجب أن تكون تلقائية».

قبل أن نصل إلى القاعدة الثالثة، رنّ جرس الباب. وصل كل من جيم، ابن الواحدة والعشرين، ويعمل مشعوذاً، وأيان، ابن الخامسة والعشرين، ويعمل منتجاً تلفزيونياً. أعلن جيم أنه مرّ بعلاقة ثلاثية قبل أسبوع فقط. «ينبغي أن تخبر أصدقاءك عنها، في ما بعد»، قال.

«كانت تجربةً سيئة»، قال، «لأن ثلاثتنا كنا قد شاهدنا للتو فيلم (علاقة ثلاثية)».

ولكن، قبل أن ينهي كلامه، رنّ جرس الباب ثانية. نظر كلّ منا إلى الآخر. «من هناك؟» جميع الأشخاص الذين من المفترض أن يحضروا كانوا قد وصلوا.

رفع بيتر بصره عن لوحته. «إنها امرأة أخرى»، قال بهدوء.

صعدت الدرج لأفتح لها الباب. كانت امرأة أخرى، حقاً. حدقت كلّ منا بالأخرى، والدهشة المتبادلة تعلو وجهينا. «ما الذي تفعلينه هنا؟» سألتُ.

«كنتُ على وشك طرح السؤال نفسه عليك»، قلت. ثم تصرفنا كما تتصرف جميع النساء في نيويورك، بغض النظر عما يشعرن به حقيقةً:

قبلنا بعضنا على الوجنتين.

«مرحباً، شلو»، قلتُ.

كانت ترتدي سترة عليها طبعة جلد الفهد، وشالاً قرمزياً. إنها فتاة معروفة، نوعاً ما، في المدينة، وواحدة من تلك النساء الفاتنات، لكنك لا يمكن أن تتكهن بما ستفعله.

راقبنا الرجال ونحن ننزل الدرج. أسند جيم ظهره إلى مسند الكرسي. «الآن يمكن أن نشاهد حدثاً ما»، قال.

نظرنا، أنا وشلو، كلٌ إلى الأخرى. «لا أظن ذلك»، قلنا معاً.

تفحصت شلو الغرفة. «هذا يبدو تدخلاً»، قالت. أحدهم جهز لها كأساً من الفودكا. أخبرتها عما كنا نتحدث عنه.

«أظن أن آخر ما تفضله الفتاة هو علاقة ثلاثية»، قالت شلو. قالت هذا، وكأنها تتحدث عن ملحقات زينتها. «الفتيات يحبذن علاقة واحد إلى واحد»، قالت. «إنهن مغرمات بجذب الإنتباه».

أخذت رشفة فودكا. «سبق لي أن وجدتُ نفسي في هذا الوضع اللعين مرات عديدة، حيث كان الرجل يشتهي الثلاثية. كنتُ مع هذا العشيق. وكنا مع هذين الزوجين. جميعهم أرادوا أن يلعبوا ما يشبه ألعاب نوادي (S&M) . وضعتُ في غرفة النوم، مع زوج المرأة الأخرى، الذي كنتُ أعرفه منذ سنوات. نظرنا، الواحد إلى الآخر، وقلتُ: هذا لن ينجح أبداً، لأن كلينا مذعن. إنها مزحة. إن واحدنا يلغي الآخر».

أردتُ أن أعرف ماذا يمكن أن يحدث إذا تجاهلت المرأتان في العلاقة الثلاثية الرجل.

«أرجو هذا الأمر»، قال سيمون.

«هذا ما نريده جميعاً»، قال تاد. «إنه الشيء الحقيقي. الأمر يشبه فيلماً حياً فوق سريرك. أنت تقوم بعملك لكي تجمع المرأتين معاً».

بدا جونسي مقتنعاً بأن العلاقة يمكن أن تحدث بطريقة مختلفة قليلاً. وظلّ يستخدم مفردة «محترفة». لم نكن متأكدين أنه كان يقصد مومساً حقيقية، متخصصة في فن الثلاثيات، أم شيئاً آخر.

«عادةً ما تحدث هذه الأشياء لأن المحترفة تريد حقاً النوم مع امرأة أخرى»، قال جونسي. «تكون سحاقيةً في الأصل، لكنها تنام مع رجلٍ آخر لكي تحصل على المرأة. المحترفة تتعامل معك على أكمل وجه، وتُبقيك مهتماً أطول مدة ممكنة، وتحتاط بأن لا تُشعر المرأة الأخرى، التي تريدها حقاً، بأن الرجل باعها بطريقة فجة. تستحوذ المحترفة على اهتمامك،

أطول فترة ممكنة، حتى توصلك إلى الزمق الأخير. ثم تنقض على المرأة الأخرى».

«أرفض ذلك»، قال سيمون. «تجربة جونسي محدودة في هذا الشأن».

«تخيل أنك تقول لا»

«إحدى الفتيات في علاقتي الثلاثية أحبت أن تمارس الجنس»، قال جيم. «مارست الجنس مع جميع الرجال الذين نعرفهم».

«انتظر لحظة»، قاطعته شلو. «كيف تعرف أنها حقاً نامت معهم جميعاً؟».

«لأن أيان مارس الجنس معها»، قال جيم. «أيان مارس الجنس معها، وقال إنها تحب أن تمارس الجنس مع كلّ رجل».

«ولكن كيف له أن يعرف؟» قالت شلو، غاضبةً. «ربما كانت تحب ممارسة الجنس معه وحده. هذا هو الخلل فيكم، أيها الرجال».

«فكرتها هي أنها يمكن أن تتصرف كالرجال»، شرح أيان. «فكرتها هي التالية: لماذا ينبغي على المرأة أن تكون مختلفة عن الرجل؟ إذا كان بإمكان الرجل أن يمارس الجنس مع أي امرأة يريد، فلماذا لا تستطيع هي ممارسة الجنس مع أي رجلٍ تريد؟».

«انظري إلى سيمون»، قال جونسي. «يريد اسمها ورقم هاتفها في هذه اللحظة».

تابع جيم. «الفتاة الأخرى هي نقيض الأولى. إنها من النوع المتعفف. عرفت عشيقين اثنين طوال حياتها كاملةً. على أية حال، انتقلت هاتان الفتاتان لتعيشا معاً. المرأة المجنونة غيرت حياة المرأة المتعففة، ذلك أنه، بعد مضي أسبوع واحد فقط، صارت المرأة المتعففة مستعدة للنوم مع أي رجل». «نحن جميعاً أصدقاء هنا»، قال جيم. «نمت مع الفتاة المجنونة، والفتاة المتعففة هي التي كنت أتعقبها منذ سنة. ذهبنا لرؤية فيلم، واشترينا زجاجة نبيذ وذهبنا إلى شقتهما. شربنا زجاجة النبيذ بأكملها».

«ولكن هذا لا يتعدى ثلاث كؤوس ونصف كأس»، اعترضت شلو.

«مضى وقتٌ، يا شلو، كنت تسكرين فيه من ثلاث كؤوس ونصف من النبيذ»، قال تاد.

«أوكي»، قال جيم. «هكذا ذهبنا إلى شقتهما، وشربنا بعض النبيذ الذي كان بحوزتنا، وبعد ذلك، ذهبنا، أنا والفتاة المجنونة، إلى غرفة النوم - وكانت من نوعية غرف النوم التي يحتلّ فيها السرير كامل المساحة،

وبالتالي المكان الوحيد للجلوس هو السرير أيضاً. هكذا بدأنا، أنا والفتاة المجنونة، نتمازح. أرادت أن تأتي الفتاة الأخرى. وأنا أردتُ الفتاة الأخرى. كان كلانا ينظر إليها. كانت تتجول في الغرفة، وتقوم بما يجب عليها القيام به. تدخل الحمام ثم المطبخ. ذهاباً وإياباً».

«ماذا كانت ترتدي؟» سأل سيمون.

« لا أتذكر»، قال جيم. «لكننا أخيراً قبضنا على يدها، وسحبناها إلى غرفة النوم».

«ثم اغتصبتها»، قال سيمون.

هزّ جيم رأسه بالنفي. «لا. أجلسناها على السرير، وبدأنا نلمسها. ورحنا نمسد ظهرها. ثم سحبناها باتجاه الفراش. كانت الفتاتان متباعدتين، وبدأتُ وضع يد إحداهما على نهدي الأخرى. ثم انطلقنا. كنتُ ما أزال في الصورة، لكنني كنت أحاول الزحف بعيداً، والاكتفاء بالمراقبة. بعد ذلك، صارتا تفعلانها مع كلّ رجلٍ تقابلانه في نيويورك. وربما فعلتاها مع عشرين رجلاً في حانة بوذا وحدها».

أيان أيضاً كانت لديه قصة. «ذات مرة كنت أمارس الجنس مع فتاة، وكانت هناك فتاة أخرى في السرير»، قال. «في لحظة ما، نظرت إلى تلك الفتاة الأخرى، وتقابلت عيوننا. وخلال الدقائق الخمس التالية، كنا ما نزال نحدق، كلانا بالآخر. كانت تلك هي ضربة البداية. وكانت تلك بداية عظيمة. كانت لحظة حميمة».

بيتر بيرد، الذي ظلّ كعادته هادئاً، تحدث فجأة. «تخيل أنك تقول لا لعلاقة ثلاثية»، قال. «أي غبي أحمق ستكون».

«إنها رياضة»

«لكنك لا تريد حقاً أن تفعلها مع فتاة يهمك أمرها حقاً»، قال تاد.

«الأفضل أن تفعلها مع فتاة تكون صديقة رائعة ولعوباً في آن»، قال أيان.

«هذا هو السبب الذي يفسر لماذا يريد الرجال أن يمارسوا الثلاثية معك»، قال تاد لشلو. «إنك صديقة عظيمة».

تحملق شلو.

ثم، من دون سابق إنذار، أطلق أيان إعلاناً. «وجدتُ نفسي أكثر في حالات يكون فيها رجلان وامرأة واحدة». ثم أسرع وأضاف: «لم أشارك في ممارسة الجنس مع الرجل الآخر».

سادت لحظةٌ من الصمت الصاعق. لم أكن متأكدة تماماً أنني سمعتُ ما قيل على نحو صحيح.

«إنها الطريقة الأسهل لفعلها»، هز أيان كتفيه. «إنها رياضة. لا يهفك أمر الفتاة. وإلاّ لما سمحت لصاحبك بممارسة الجنس معها. أي إنها لا تعني لك شيئاً البتة».

«وهذا أرخص بكثير»، تدخل سام، المستثمر المصرفي.

فكرتُ ببعض صديقاتي اللّواتي كن قد اعترفن لي بأنهن سبق أن انتابتهن فانتازيا آنية للنوم مع رجلين. قررتُ أن أخبرهن أن من الأفضل إبقاء ذلك كفانتازيا.

كانت شلو ما تزال مرتابة. «لم يسبق لي أن عرفت رجلين يريدان أن يفعلا ذلك»، قالت. «أضف إلى ذلك، الرجال تنافسيون بدرجة عالية، حتى إننا نظن أنهم لن يستطيعوا التعامل مع هذه العلاقة».

«لا أظن أنني أريد أن أمارس الجنس مع امرأة بعدما نام معها رجلٌ آخر»، قال بيتر.

لم يوافقه تاد. «إذا كان هذا الزجل من أعز أصدقائي، كلّ الأمور مسموح بها».

«كلّياً»، قال أيان.

«قد أهتم بمن يبدأ أولاً، أو ماذا يمكن أن يحدث»، قال تاد.

«إنها مؤامرة بين رجلين»، قال أيان. «إنها حالة الواحد مقابل واحد مع أعز أصدقائك. تتساءل مع هذا الصاحب إذا كنتما قادرين على القيام بهذا الفعل. وحين تنجحان، تقولان أخيراً- نعم».

كان جيم يهز رأسه بعنف. «أنا لا أوافق».

«جيم، كيف يمكنك أن تقول إنك لا توافق؟» سأل أيان.

«نعم»، قال تاد. «فعلتها مزةً مع أيان».

«أنا لا أحب الفكرة بحد ذاتها»، قال جيم.

أشار أيان إلى جيم. «لكنه كان يدفع بي نحو الفتاة»، قال أيان.

«ارتعاشات سينة»

ارتفع صوت غاريك. قال إنه مز بعشر علاقات ثلاثية - «اسمعوا، أنا في الخامسة والثلاثين، وقد حدث لي الكثير» - والعديد منها برفقة رجلٍ آخر. «كان يحدث هذا دائماً برفقة أعز أصدقائي، بيل»، قال.

بيل عارض أزياء، وقد التقى غاريك في نادي الجمباز وسط المدينة حين طلب بيل من غاريك أن يزوره في مكان عمله. «معظم الأشخاص الذين يعملون هناك من المثليين»، قال غاريك. «بعد تلك الزيارة، صرنا نبالغ في تصرفاتنا لكي نبرهن أننا لسنا مثليين. والثلاثية كانت بمثابة تأكيد ميلنا للجنس المغاير. إنك تؤكد ذكورتك أمام الزجل الآخر».

«بالنسبة لي ولبيل المسألة دائماً مرتبطة بالإثارة المتأتية من مشهد غريب»، قال غاريك. «أحياناً كنا نمارس الجنس مع الفتاة في وقتٍ واحد. ما إن توافقُ الفتاة على فعل ذلك مع رجلين، حتى تكون مستعدة لفعل أي شيء».

مال غاريك بجذعه نحو الأمام على كرسيه، وأخذ نفثةً من سيجارته. «بيل فعلها مرةً مع أحد الرجال»، قال، وضحك. «دائماً أمازحه حول تلك الحادثة. كان هناك تفاعل بينهما. لا أعرف. هذا يمثل، بالنسبة لي، نوايا مثلية دفينة. هل لديّ مثل هذه النوايا؟ لا أعلم. ربما ليس بيل من النمط نفسه».

مال الشبان الأصغر سناً إلى الهدوء نوعاً ما.

عوضاً عن ذلك، تحدث بيتر. «أنا لستُ من المتعصبين جنسياً - حدث ووجدتُ نفسي مزة مع صديقي الحميم بصحبة امرأة أخرى. كانا ينامان معاً في سرير مزدوج، في الغرفة نفسها. وأتذكر ارتعاشات الجنس. وحين انتهى كلّ شيء، كانت يده محروقة. ورغم أنه من أعز أصدقائي، وجدتُ أنه شخص قائض عن المشهد، وكانت تلك بمثابة ارتعاشات سيئة. أتذكر فقط دفع يده المحروقة بعيداً. يا لها من ارتعاشات سيئة».

جميعنا أسندنا ظهورَنا إلى الكراسي لبعض الوقت. صار الوقت متأخراً. وحان موعد العشاء تقريباً.

«أوه، لا أعلم»، قال غاريك. «أنا مقتنع بأن العلاقة الثلاثية مفيدة للأنا عاطفياً. إنها تجربة جنسية غير نمطية، حتى إنها لا تُحسب تجربة تقريباً. ما إن تنتهي، لا تفكر بها مطلقاً. إذا خدعتْ زوجتك أو عشيقتك، تشعر عادةً بالذنب. ولكن مع هذه، من غير المرجح أنك ستبني علاقة مستمرة، وبالتالي لن تشكل تهديداً».

«أضف إلى ذلك»، تابع غاريك، «تقزبك أكثر من الزجل. توطد العلاقة أكثر. ما هو الشيء الآخر الذي يمكن أن تفعله ليقزبكما أكثر؟ أن تشاركه في أكثر التجارب حميمية».

وماذا عنا بعد؟ الصباح التالي؟

«أوه، لا مشكلة. أتذكر أننا ذهبنا جميعاً، ذات مرة، لتناول الفطور»، قال غاريك. «أتذكر ذلك لأني دفعت الحساب».

9 ما الشيء الذي له دولابان، ويرتدي بلوزة قطنية مخططة، ويجعل مني مغفلة؟ فتى الدراجة الهوائية

قبل بضعة أسابيع جمعني لقاء بفتى الدراجة الهوائية. حدث ذلك أثناء حفلة للكتب نُظمت في قاعة رخامية ضخمة على شارع تصطف الأشجار على جانبيه. وبينما كنت أعفر وجهي بسمك السلمون المدخن، هرع أحد أصدقائي الكتاب نحوي وقال، «كنتُ أتحدث للتو مع أكثر الأشخاص إمتاعاً على الإطلاق».

«آه، حقاً؟ أين؟» ونظرتُ حولي، في الغرفة، مرتابة.

«عالِم آثار سابق، لكنه يؤلف الآن كتباً علمية... مدهشة».

«لا تقل المزيد»، قلتُ. كنتُ قد لمحت هذا الرجل منذ هنيهة- كان يرتدي، كما تخيلت، نسخةً مدنية من بزة الضيد: بنطلون كاكي، وقميص بني، وسترة صوفية باهتة، وعتيقة نوعاً ما. شعره البني والأشقر مرفوغ إلى الخلف، عن جبهته، كاشفاً عن ملامح وسيمة متناسقة. ومضيت أدور، باحثةً عنه في أرجاء الغرفة، منتعلةً صندلاً، ذا كعب عالٍ. وجدته منهمكاً في حديث عميق مع رجل في منتصف العمر، لكنني سرعان ما تعاملتُ مع الوضع. «أنت»، قلتُ. «قال لي أحدهم للتو إنك مدهش. آمل أن لا تخيب أملي». اصطحبته إلى نافذة مفتوحة، وأغريته بسيجارة ونبيذ أحمر رخيص. بعد عشرين دقيقة، تركته للقاء بعض الأصدقاء على العشاء.

في الصباح التالي، اتصل بي، بينما كنتُ ما أزالُ في الفراش، وعلى ملامحي آثار سهرة أمس. دعونا نسفيه هوارس إكليس. كان يحدثني عن الرومانس. من الممتع أن أرقد في الفراش، مستندةً رأسي هكذا، بينما شاب وسيم يهمس في أذني. رتبنا موعداً للقاء على العشاء.

بدأت المشاكل تقريباً على الفور. أولاً اتصل بي ليقول إنه سيصل قبل ساعة من الموعد. ثم عاد واتصل ليقول إنه غير رأيه. ثم اتصل ليقول إنه سيتأخر نصف ساعة. ثم اتصل ليقول إنه اقترب من زاوية الشارع. ووصل، حقاً، متأخراً لمدة خمس وأربعين دقيقة.

كان يركب دراجته الهوائية.

لم أدرك هذا في البداية. كل ما لاحظته هيئة شعثاء أكثر من المعتاد (بالنسبة لكاتب) ولهاث خفيف، فسرته أنه بسبب وجوده في حضرتي.

«أين تريدين أن نتناول العشاء؟» سأل.

«رتبتها للتو»، قلتُ، «في مطعم إيلين».

انقلبت ملامح وجهه. «لكنني كنت أظن أننا سنتناول العشاء في أحد الأماكن القريبة في الحي».

رمقته بنظرة حادة، وقلت، «أنا لا أتناول العشاء في أماكن قريبة في الحي». بدا الأمر، للحظة، نوعاً من التحدي. أخيراً نطق قائلاً، «لكنني أتيت على دراجتي الهوائية، كما ترين».

أشحت ببصري، ثم حملقت بتلك القطعة المعدنية المزعجة، المركونة إلى عمود كهرباء.

«لا أظن ذلك»، قلت.

السيد نيويوركر وسرعته الثلاثية

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي ألتقي فيها كائنات أدبية رومانسية، في مانهاتن، اعتدت تسميتها فتيان الدراجات الهوائية. قبل فترة وجيزة، كنت على العشاء مع أحد أكثر فتيان الدراجات شهرة، سوف نكتفي بتسميته السيد نيويوركر. والسيد نيويوركر الذي يعمل محرراً في تلك المجلة، يبدو في الخامسة والثلاثين (رغم أنه أكبر سناً بقليل)، بشعر بني سبل وابتسامة مدفرة. حين يقرر الخروج، يقع اختياره على النسوة العازبات، ليس لأن هؤلاء النسوة يردن النشر في مجلة «نيويوركر». إنه رجل ناعم وسلس. يجلس بالقرب منك ويتحدث إليك في السياسة، ويطلب سماع رأيك. يجعلك تشعرين بأنك نبيهة ومثقفة. ثم، قبل أن تدركي ذلك، يختفي، ويمضي وشأنه. «أنتم هناك، أين هو السيد نيويوركر؟» تسمع الجميع يسألون في الحادية عشرة. «أجرى اتصالاً هاتفياً»، قالت إحدى النسوة، «ثم انطلق على دراجته الهوائية. إنه في صدد اللقاء بإحداهن».

صورة السيد نيويوركر، منطلقاً تحت جناح الليل، مرتدياً سترة صوفية، وراكباً كالمجنون دراجته الهواء، ذات السرعة الثلاثية، استحوذت كلياً على مخيلتي. تصورته ذاهباً إلى أحد أرصفة الطرف الشرقي الأعلى من المدينة - أو ربما شقة في منطقة سوهو - حانياً ظهره فوق المقود، ثم، لاهثاً لهاثاً خفيفاً، قبل أن يدخل، دافعاً دراجته فوق الدرج. سوف يُفتح له الباب، ويغرق في ضحك خافت مع عشيقته، حائرين أين سيضعان الدراجة. بعدها يغرقان في عناق يتصبب عرقاً، ينتهي، من دون شك، باستلقاء على الأرض.

والحقيقة أن لفتى الدراجة الهوائية تقليداً اجتماعياً وأدبياً طويلاً في نيويورك. ومن بين القديسين الحامين لفتيان الدراجات، ثمة ذاك الكاتب صاحب الشعر الأبيض، جورج بليمبتون، الذي اعتاد أن يعلّق دراجته فوق رؤوس موظفيه في مجلة (باريس ريفيو)، وكاتب العمود في صحيفة (نيوزداي)، صاحب الشعر الأبيض موري كيمبتون. مضت عليهما سنوات طويلة وهما يركبان الدراجات الهوائية، وألهما الأجيال القادمة من فتيان الدراجات، مثل السيد نيويوركر، الرجل الذي ذكرناه آنفاً، وعدداً من محرري وكتاب الصحف والمجلات الشبان، ممن يصرون على انتهاك الأفق الرومانسي والماذي لمانهاتن، كمجذفين وحيدين. وفتيان الدراجات هم نسلٌ غريب من عازبي نيويورك: بارعون، يمتازون بخفة الظل، ونحيلون، وجذابون تماماً، وهم من المادة التي تُصنع منها أحلام البالغين. ثمة هالة من السحر، قد لا تُصدق، تحيط برجل يرتدي سترةً مفتوحة، ويركب دراجة - وخاصة إذا كان يضع نظّارة جذّابة.

وتميلُ النساء إلى الشعور بمزيج من العاطفة والأمومة. لكن ثمة جانباً قاتماً أيضاً: معظم صبيان الدراجات ليسوا متزوجين، وربما لن يتزوجوا قط، إلاّ إذا تخلّوا عن دراجاتهم.

لماذا جون إف. كينيدي جونيور ليس فتى دراجة

«إن ركوب دراجة هوائية ليس بالضرورة حركة قوة»، قال السيد إكليس. «من الأفضل أن يقوم بها أناس يمتلكون نفوذاً مثل جورج بلمبتون. وإلاّ كان ينبغي عليك أن تُخفي دراجتك خلف المنعطف، وتنزع، خرافياً، بنطلونك من جواربك». لا يركب فتيان الدراجة دراجاتهم من أجل الرياضة، مثل أولئك السخفاء الذين تشاهدهم يقودونها في أرجاء الحديقة العامة. إنهم يستخدمونها، من جهة، كواسطة نقل، ومن جهة أخرى، وهذا هو الأهم، للحفاظ على يفاعة أدبية. فكّر بالشفق في أكسفورد، راكباً فوق حصى الأرصفة، بينما امرأةٌ تنتظر بالقرب من نهر تشيرويل، ترتدي فستاناً فضفاضاً، وتتأبط ديوان شعر لبيتس. هكذا يفكّر صبيان الدراجات، وهم يقودون دراجاتهم عبر مدينة مانهاتن، متفادين السائقين والأخاديد. وحيث إن جون إف كينيدي جونيور هو بالتأكيد أشهر فتى دراجة في نيويورك، والعازب الأكثر جاذبيةً، إلاّ أن مهاراته الرياضية المتفاوتة لا تؤهله للانضمام إلى مملكة فتيان الدراجات. لأن فتى الدراجة يفضّل الركوب عبر المدينة، مرتدياً بزة من النسيج القطني المخطّط، لا بنطلوناً قصيراً، وبلوزة

تتخذ شكل الصدر. وفتيان الدراجات ينبذون ملابس ركوب الدراجات الضيقة، التي تُخاط على مؤخرتها لبادات خاصة. فتيان الدراجات لا يكرهون الألم المطهر لمقعد الزكوب القاسي - هذا يُغني الأدب. «لا أملك بنطلوناً رياضياً»، قال السيد نيويوركر، الذي أضاف أنه يرتدي سترةً طويلةً، في الشتاء، اتقاءً للبرد.

وقد يكون هذا سبباً في أن فتيان الدراجات أكثر عرضةً للهجوم، جسدياً، من أقرانهم الرياضيين. السبب الآخر هو أنهم يركبون دراجاتهم في أية ساعة، (كلّما تأخر الوقت كان هذا أفضل - أكثر رومانسية)، وفي أي ظرفٍ خارجي، وفي أي مكان.

«يزأر السكارى من نوافذهم ليلاً حتى يتسببوا لك بانهيار أو سقطة مفاجئة»، قال السيد إكليس. وأسوأ من ذلك.

في أحد أيام «هالاوين»، كان السيد نيويوركر يرتدي معطفاً بريطانياً، ليس له أكمام، حين دخل بين جمهرةٍ من الأولاد في عمر الثانية عشرة، الذين سحبوه عن ظهر دراجته. «قلتُ: لا أستطيع أن أقاتلكم جميعاً في وقتٍ واحد. يمكن أن أقاتل واحداً بينكم». جميعهم تراجعوا إلى الخلف، باستثناء أكبرهم سناً. «فجأة أدركتُ أنني لا أريد أن أقاتله، هو الآخر». هاجم أفراد العصابة جميعاً السيد نيويوركر، وبدأوا يضربونه ضرباً مبرّحاً، حتى بدأ بعض المارّة الأبرياء يصرخون، ما أدى إلى تفرّق العصابة، وفرارها هاربةً. «كنتُ محظوظاً»، قال السيد نيويوركر. «لم يأخذوا دراجتي، لكنهم سرقوا بعض التسجيلات التي كانت في سلّتي». (لاحظ أن السيد نيويوركر يحمل «تسجيلات»، كما في ألبومات الفينيل، لا أقراصاً مدمجة « C.D »- علامة أخرى تميز فتى الدراجة الحقيقي).

تذكّر السيد إكليس قصةً مشابهة. «منذ يومين كنتُ أقود دراجتي عبر حديقة سنترال بارك، في العاشرة ليلاً، حين أحاطت بي عصابةٌ «شرسة» من راكبي الزلاّجات الأرضية. حاولوا الإمساك بي، بمناورة جانبية، لكنني استطعتُ الفرار منهم، والركوب بعيداً، وسريعاً».

غير أن خطراً أكبر يحيق بهم هو الجنس، كما اكتشف أحد المراسلين الذي سنطلق عليه اسم تشستر. هذا المراسل، تشستر، لا يركب دراجته كثيراً، كما اعتاد أن يفعل في الماضي، والسبب أنه، قبل سنة، وقع له حادث دراجة خطر بعد فاصلٍ رومانسي. كان يكتب قصةً عن الراقصات العاريات، حين ارتبط بعلاقة مع فتاة اسمها لولا. ربما كانت لولا تتخيل نفسها مارلين مونرو في عيني آرثر ميللر. من يعلم. كل ما يعرفه تشستر هو أنه ذات مساء، اتصلت به، وقالت إنها تستلقي في سريرها في «بالاس

ترامب»، وسألته إن كان يريد أن يأتي إليها. ركب دراجته، وخلال ربع ساعة، وصل إلى هناك. انهمكا في لعبتهما لمدة ثلاث ساعات. بعدئذٍ قال إنه يريد أن يغادر لأنها كانت تعيش مع شخص آخر، وهذا الرجل عائد إلى المنزل، في أية لحظة.

خرج تشستر، راكضاً من المبنى، وقفز على صهوة دراجته، ولكن صادفته مشكلة. كانت قدماه ترتعشان بعد ممارسته الجنس، وبدأتا تعانيان من شد عضلي، بينما كان ينحدر على طريق موري هيل، اصطدم بحاجز حجري، وانزلق على الرصيف. «كان حادثاً مؤلماً حقاً»، قال. «حين يُكشط الجلد على هذا النحو، فإن هذا يشبه حرقاً من الدرجة الأولى». لحسن الحظ، نبتت حلمتاه، وعادتا إلى وضعهما السابق.

«شيء فولاذي ضخم بين ساقي»

ركوب الدراجة في مانهاتن رياضة خطرة حقاً. ولو أن هؤلاء الكتاب عاشوا في غرب البلاد، لكانوا، ربما، حملوا أسلحة، مثل شخوص في روايات لاري مكمورتي أو توم مكغوين أو غورماك مكارثي. ولكن بما أنهم يعيشون في نيويورك، فإن فتيان الدراجات هم أكثر شبهاً بنماذج كلارك كِنت. في النهار هم مراسلون وديعون، يجب عليهم خوض المخاطر، وفي الليل يصبحون خطراً داهماً على المجتمع. ومن يستطيع إلقاء اللوم عليهم؟ «يركب أحدنا دراجته أثناء الإشارات الحمراء، ويمشي عكس السير. يمكن أن تصبح مجرماً»، قال تشستر. «أشعر بأن شيئاً فولاذياً ضخماً بين ساقي، يرتجف أمامي»، قال أحد فتيان الدراجات، الذي طلب عدم ذكر اسمه. «يدي على دراجتي في هذه اللحظة»، قال كيب، الذي يعمل وكيلاً أدبياً، متحدثاً على الهاتف من مكتبه. «ثمة شعور بالحرية وأنت تركب دراجتك في المدينة. تشعر بأنك تطفو فوق الحشود. لا ينتابني خوف البتة وأنا أقود دراجتي، وهذا لا يشبه حالات كثيرة في حياتي. أشعر بأنني الأفضل على دراجتي الهوائية، والأكثر تآلفاً مع نفسي ومع المدينة».

ويضمر فتيان الدراجات الهوائية مشاعر خاصة تجاه دراجاتهم - هم لا يركبون دراجات حديثة، متطورة، خاصة بصعود الجبال. ولا يقتنون ماركات باذخة مثل الشيمانو (XT)، ولا يستخدمون دواسات وفرامل خاصة. والسيد نيويوركر خير من يمثلهم، إذ إنه يركب دراجة متواضعة، بسرعة ثلاثية، مع سلة في الخلف، وسياج واقٍ في الأمام. ينبغي أن يشع

الحنين من الدازجة. «ينبغي أن يكون لديك سلّة لأغراض السمانة»، قال السيد نيويوركر، «حاسوبك المحمول وأدوات العمل». «دراجتي هي قطعاً مثل كلبي أو طفلي»، قال كيب. «أعتني به وأدلله».

ولكن حين يتحدث فتيان الدزاجات عن دراجاتهم، من الصعب أن لا تظن أنهم يتحدثون عن النساء.

«أحب دزاجتي، ويمكن بسهولة الارتباط عاطفياً بدراجة»، قال أحدهم، واسمه ب.ب، «لكن الحقيقة هي أن كلّ دزاجة تشبه الأخرى إلى حد كبير».

«كنت أملك دزاجة دلّلتها حتى أقصى درجة»، قال كيب. «كان لها إطار من الألمنيوم، نزعته وصقلته ولفعته. بعض الشيء. ثم سرقت. ذُعرت عاطفياً. ولم أستطع تجاوز الأزمة حتى اشتريت دزاجة جديدة، وجعلتها تبدو حقاً جميلة».

تتعرض الدرجات، مثل العشيقات، في نيويورك، للسرقة دائماً. «إذا ذهبت إلى متجر للكتب لمدة عشر دقائق، تعود لتجد أن دراجتك اختفت»، قال السيد إكليس. هذا، على أية حال، ليست مشكلةً، بالضرورة، كما أشار السيد نيويوركر.

«تسدد الدراجة نفقاتها خلال ثلاثة أشهر، إذا ما قورنت بأجور قطار الأنفاق، السابوي»، قال. «وخلال شهر، إذا كنت ممن يستخدمون تاكسي الأجرة».

ويمكن للدزاجة أن تكون أداة مفيدة حين يتعلّق الأمر بلقاء امرأة. «إنها طريقة حسنة للبدء بحديث»، قال تاد، وهو كاتب. «كما أنها تساعد في رفع مستوى وعيك الذاتي».

وهي طريقة حسنة، بالطبع، لتدلّك إن كنت ستُرفض من امرأة أم لا. «ذات مزة ظُن جنون إحداهن لأنني اقترحت أن أركب الدزاجة إلى بيتها»، قال تاد. «من جهة أخرى، إذا قالت لك امرأةٌ: أحضِر دازجتك إلى الداخل، تكون هذه بمثابة إشارة لإغراء جنسي».

«سواء سمحت لك امرأةٌ بإحضار دزاجتك إلى بيتها أم لا، فإنها يدلّ هذا على الحدّ الذي تشعر فيه هي بالاستقرار»، قال السيد إكليس. «إذا كانت تفكّر كثيراً بشرجها، فلن تسمح بالدزاجة أن تكون قريبةً منها».

لكن الدارجة، في بعض الأحيان، ليست دزاجة فقط. ويبدو أن النساء يعرفن ذلك. «قد يُنظر لأحدنا كشخصية تثير الريبة، لأنك تبدو مستقلاً جداً، ودائم الحركة»، قال السيد إكليس. «وأحياناً، تفتقر لشيء من الكرامة، في نهاية المطاف».

«ثمة وصمة ما تحيط بها»، قال كيب. «هذا جزء من السبب الذي يجعلني لا أصطحبها معي إلى كلّ مكان».

«توحي بشيء من الأنانية»، وافق السيد إكليس. «لا تستطيع أن تُوصل أحداً معك. كما أن ثمة حرية مبالغاً فيها، شيئاً ما، مرتبطة بالشخص الذي يركب دزاجة». وأضاف السيد إكليس إن ثمة حوالى عشرة أسباب تفسر عدم إقدامه على الزواج بعد، بما أنه في أوائل الخمسين من عمره، «ليس بينها سببٌ واحد مقنع».

كذلك قد توحي الدزاجة بزخص ما. إحدى النساء التي تعمل مساعدة محرر في مجلة رجالية تذكّرت موعداً غرامياً مع أحد فتيان الدزاجات، كانت قد قابلته خلال حفل توقيع كتاب. بعد دردشة معها، حدد فتى الدزاجة موعداً لمقابلتها في مطعم أنيق، يقع في الشطر الغربي الأعلى من المدينة. حضر على دراجته، متأخراً عن الموعد، (كانت تنتظره في الخارج، وتدخّن بتوتر) وبعد أن جلسا معاً، وتفحصا قائمة الطعام، قال، «انظري، هل لديك مانع؟ أدركتُ توا أنني أشتهي البيتزا. أنت لا تمانعين، أليس كذلك؟» ثم نهض واقفاً.

«ولكن ألا ينبغي أن...» قالت، ناظرةً إلى النادل. أمسكها من ذراعها وهرع راكضاً إلى الخارج. «كلّ ما حصلت عليه هو بضع رشفات من الماء. لا بل إنني لم ألمس كأسي. هم لا يطلبون حساباً على هذا».

عادا معاً إلى منزلها وأكلا البيتزا، ثم قام بتحزكه. التقيا بضع مرات، بعد ذلك، ولكن في كلّ مرة كان يأتي إلى منزلها في العاشرة ليلاً، ويتناول طعاماً سريعاً أحضره من المطعم. سئمت منه أخيراً، وتركته، وبدأت تخرج مع مصرفي.

مشكلة سائقين منفرجتين

غالباً ما يرتكب فتيان الدراجات الخطأ في محاولة تحويل عشيقاتهن إلى فتيات دراجات. جوانا، المرأة التي ترعرعت في الجادة الخامسة، وتعمل الآن مصففةً داخلية، تزوجت في الواقع من فتى دزاجة. «كلانا يركب الدراجة»، قالت، «في البداية لم يكن هذا بمثابة مشكلة. لكنني بدأت ألحظ الخلل حين قدم لي مقعد دراجة كهدية في عيد ميلادي. وفي عيد الميلاد، أهداني رفراف دراجة. حين طلّقنا بعضنا، استرجع الرفراف، واحتفظ به لنفسه. هل يمكن أن تصدّقي ذلك؟».

«فتيان على دزاجات؟ يا إلهي! لا»، قالت ماجدة، الروائية. «هل يمكن أن تتصوري نتن سيقانهم المنفرجة؟ كلا، شكراً. لطالما أغراني فتيان على دزاجات. لكنهم جميعاً أوغاد أنانيون. إذا مارسوا الجنس بالطريقة التي يركبون بها دراجاتهم، شكراً جزيلاً، فالسرعة ليست مهمة».

«لا ترى النساء أن ركوب الدراجة جذاب جنسياً»، قال ثاد. «إنهن يرين أن ذلك صبياني. ولكن عند نقطة ما، تقزز أنك لا تستطيع أن تكمل حياتك وأنت تعطي النساء انطباعاً مزيفاً عمن تكون».

معظم نساء مانهاتن قمن بالرحلة إلى الصديقة المقيمة حديثاً في الضواحي، ولكن قلّة منهن استمتعن بها حقاً. في الحقيقة، الأغلبية منهن كنا يرجعن إلى المدينة في حالة عاطفية تراوح بين الذهول والانسحاق. وتلك واحدة من تلك الحكايات.

سبق لجولي بيرنارد أن عملت وكيلةً لإحدى فرق الروك الموسيقية في مؤسسة «الإشراف الإبداعي الدولية». قبل خمس سنوات، حين لم تكن تتجول في أصقاع الأرض، منتعلةً حذاءها الكاوبوي، وترافق نجوم الروك، وأحياناً تنام معهم أيضاً، كانت تعيش في نيويورك، في شقة مؤلفة من غرفة نوم واحدة، مزينة بآرائك من الجلد الأسود، ونظام ستريو عملاق للصوت. شعرها طويل أشقر، وجسدها صغير مشدود، مع حلمتين كبيرتين، وحين تعود إلى شقتها، تجد ملايين الرسائل على آلة التسجيل، وحين تخرج، يكون جزدانها محشواً بالنقود وحبوب المخدرات. ويمكن القول إنها كانت مشهورة.

ثم فجأة حدث شيء ما. لم يتوقع أحد أنه سيحدث لها، لكنه حدث، وهذا ما يُظهر أنك لا يمكن أن تتكهن أبداً كيف يمكن أن تنتهي إليه الأمور. كانت قد بلغت الخامسة والثلاثين حين التقت بمستثمر مصرفي، يعمل لدى شركة الإخوة سالامون، وفي لمحة عين، تزوجا، وأضحت هي حاملاً، لينتقلا معاً إلى ضاحية غرينتش.

«لا شيء سوف يتغير»، قالت. «سوف نبقى نجتمع معاً طوال الوقت، ويمكنكم أن تأتوا وتزورونا، ويمكن أن نقيم حفلة أكل جماعية خلال الصيف».

جميعنا قلنا، نعم، نعم، نعم.

انقضت سنتان. سمعنا أنها أنجبت جرذاً صغيراً، أتبعته بآخر. لم نكن نتذكر اسميهما، وهل هما صبيان أم بنتان.

«مرحبا، كيف حال جولي؟» كنتُ أسأل ميراندا، التي كانت في وقتٍ من الأوقات صديقة جولي المفضلة.

«اللعنة»، كانت ميراندا تقول، «في كل مرة أتصل بها، أجدها لا تستطيع الحديث. إما أنها تنتظر السمكري، أو أنها وجدت الشغالة تدخن في غرفة الغسيل، أو أن أحد طفليها يصرخ».

«هذا مخيف. مخيف حقاً»، كنا نقول، ثم ننسى الموضوع نهائياً.

بعدئذ، ومنذ شهر فقط، حدث المحتوم: وصلت دعوات صغيرة بيضاء، ملفوفة بزهور أرجوانية صغيرة، تدعو أربعاً من صديقات جولي في المدينة، إلى حفل تقيمه في منزلها. وتقرر أن يكون نهار السبت، الساعة الواحدة بعد الظهر - أكثر الأوقات إزعاجاً، كما أشارت ميراندا، وآخر شيء يمكن أن يتمناه المرء لقضاء ظهيرة يوم السبت. السفر إلى كونيكتيكت.

«جولي اتصلت بي وتوسلت»، قالت ميراندا. «قالت إنها تريد بعضاً من صديقات المدينة أن يأتين كي لا تكون المناسبة مملة جداً».

«قبلةُ الموت»، قلت.

مع ذلك، اتفقت النساء الأربع على الذهاب - ميراندا، في الثانية والثلاثين، وتعمل مديرة تنفيذية، وسارة، في الثامنة والثلاثين، تدير شركتها الخاصة في العلاقات العامة، وكيري، في الرابعة والثلاثين، وهي صحافية بشكلٍ أو بآخر، وأخيراً بيلي، في الرابعة والثلاثين، وتعمل مصرفية، وهي المرأة الوحيدة المتزوجة في المجموعة.

غرينتش القديمة، أعداء جدد

بالطبع، كان نهار السبت هو الأجمل بين أيام السنة حتى الآن. مشمس، ودرجة الحرارة سبعون فهرنهايت. حين التقت النسوة في غراند سنترال، بدأت كل منهن تتناوب الأدوار في الشكوى من وجودهن في منزل جولي خلال أكثر أيام السنة جمالاً، رغم أنهن من قاطنات المدينة، المحفورات على صوف جدرانها، واللّواتي يتجنبن دائماً مغادرتها إذا أتيح لهن ذلك.

بدأت المشاكل على متن القطار. كالعادة، كانت كيري قد ذهبت إلى سريرها في الرابعة صباحاً، وانتابها قلق شديد، وظنت أنها تريد أن تتقيأ. بيلي دخلت في جدال مع المرأة التي أمامها، حيث ظلّ طفلها يُخرج رأسه من فوق أعلى المقعد، ويمد لها لسانه.

وكشفت سارة النقاب عن أن جولي تتقاضى معونات اجتماعية - منذ ثلاثة أشهر - وهذا يعني أنه قد لا تكون لديها مشروبات متنوعة أثناء الحفلة.

كيري وميراندا قررتا على الفور النزول من القطار في المحطة التالية، والعودة إلى المدينة، لكنّ بيلي وسارة اعترضتا طريقهما، ثم قالت سارة لكيري إنها ينبغي ربما أن تنضم إلى هيئة المعونات الاجتماعية.

توقّف القطار في غرينتش القديمة، وحشرت النسوة الأربع أنفسهن في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة، البيضاء والخضراء اللّون.

«لماذا نقوم، نحن، بذلك؟» سألت سارة.

«لأنه ينبغي علينا أن نفعل ذلك»، قالت كيري.

«من الأفضل أن لا يكون لديهم جزازات عشب حديثة خاصة بالحدائق»، قالت ميراندا. «إذا رأيت جزازات عشب الحدائق، فسأصرخ من فوري».

«إذا رأيت أطفالاً، فسأصرخ».

«انظرن. العشب. الأشجار. تنفسن عبق العشب المقصوص حديثاً»، قالت كيري، التي بدأت تشعر بمعنويات أفضل، على نحو غامض. جميعهن نظرن إليها بارتياب.

توقفت سيارة الأجرة قبالة منزل أبيض، يمتاز بطراز معماري كولونيالي، ارتفع سعره، بالتأكيد، من خلال إضافة سقوف مائلة من الآجر، وشرفات جديدة في الطبقة الثانية. بدا المرج شديد الخضرة، والشجيرات التي أحاطت بالباحة محاطة بزهور قرمزية حول جذوعها السفلية.

«أوه، يا له من كلب وسيم»، قالت كيري، حين خرج كلب صغير، وبدأ ينبح فوق المرج. ولكن ما إن وصل الكلب إلى حافة الباحة، حتى قفل راجعاً، وكأن رسناً لامرئياً شده من عنقه.

أشعلت ميراندا سيجارة دنهيل زرقاء. «سياج كهربائي لامرئي»، قالت. «الجميع يضعونه، وأراهنكن أننا سنسمع عنه الكثير».

للحظة، وقفت النسوة الأربع في المدخل، يحدقن في الكلب، الذي كان يجلس الآن، مستكيناً، لكنه يهز ذيله بشجاعة، وسط الباحة.

«هل يمكننا أن نعود إلى المدينة الآن من فضلكن؟» سألت سارة.

داخل المنزل، كانت قد حضرت للتو نصف دزينة من النساء الجالسات في غرفة الجلوس، متصالبات الأرجل، مع فناجين القهوة والشاي على ركبهن. وفُرشت طاولة مفتوحة: سندويش خيار، ومقبلات مع الصلصة. كانت هناك أيضاً زجاجة نبيذ أبيض، غير مفتوحة، ولم يمسها أحد، وأحيطت جوانبها بهالةٍ من الغبش. بدت العروس، لوسي، التي على وشك الزواج، مذعورةً، شيئاً ما، لوصول نساء المدينة.

وبدأ الجميع بواجب التعريف، وتقديم النسوة.

امرأة اسمها بريجيد تشالمرز، ترتدي ماركة «هيرميس» من رأسها حتى أخمص قدميها، بدت كأنها ترتشف نبيذاً أحمر. «تأخرتم يا صبايا. ظننت جولي أنكن، ربما، لن تأتين»، قالت بنبرة خفية من اللؤم وحدهن النساء يستطعن إظهارها بعضهن تجاه بعض.

«حسناً! الأمر متعلق بجدول مواعيد القطار»، هزت سارة رأسها معتذرة.

«عفواً، ولكن هل نعرف من أنت؟» همست ميراندا في أذن كيري. وكان هذا يعني، بالنسبة لميراندا، أنها بمثابة حرب مع بريجيد من الآن فصاعداً.

«هل هذا نبيذ أحمر؟» سألت كيري.

تبادلت بريجيد النظرات مع إحدى النساء.

«في الواقع، إنه نبيذ (مريم العذراء)»، قالت. التمعت عيناها وهي تنظر باتجاه جولي لثانية واحدة. «أمضيتُ عمراً وأنا أحضر هذا خلال السنوات الماضية. كلّ هذا الشراب والاحتفالات. ثم، لا أعلم، يبدأ الملل بالتسلّل. تنتقلين إلى أشياء أخرى أكثر أهمية».

«الشيء الوحيد المهم بالنسبة لي الآن هو الفودكا»، قالت كيري، واضعةً يديها على رأسها. «أعاني من آثار ليلة البارحة. إذا لم أحصل على بعض الفودكا...».

«رالي!» قالت إحدى النساء الجالسات على الأريكة، وهي تنحني بجذعها ناظرةً باتجاه الغرف الأخرى. «رالي! اذهب إلى الخارج والعب».

ميراندا انحنت باتجاه كيري: «هل تتحدث إلى كلبها أم طفلها؟».

«جنس الزواج»

التفتت ميراندا إلى بريجيد. «الآن، أخبريني، يا بريجيد»، قالت. «ما هو عملُكِ بالضبط؟».

فتحت بريجيد فمها، وأدخلت قطعة مثلثة من المقبلات. «أعمل في المنزل. أملك شركة استشارات خاصة».

«فهمت»، قالت ميراندا، هازةً برأسها. «وما هو حقل مشورتك؟».

«الحواسيب».

«إنها بمثابة بيل غيتس حينا»، قالت امرأة أخرى، واسمها مارغريت، تحتسي شراب (إيفيان) من قدح نبيذ. «كلّما واجهتنا مشكلة في الحاسوب، نتصل ببريجيد، فتصلح العطل».

«هذا مهم جداً حين يكون لديك حاسوب»، قالت بيلي. «الحواسيب أجهزة معقّدة. خاصة إذا كنتِ لا تستخدمين الحاسوب كلّ يوم»، ابتسمت. «وماذا عنك، أنتِ، مارغريت؟ هل لديك أطفال؟».

احمرّت وجنتا مارغريت قليلاً، وأشاحت بوجهها. «طفلٌ واحد»، قالت بشيء من الحنين. «ملاك جميل صغير واحد. لكنه لم يعد، بالطبع، صغيراً

الآن. إنه في الثامنة من عمره، ويمر بمرحلة الصبي الحقيقي. لكننا نحاول إنجاب ولد آخر».

«مارغريت تمشي على ما يشبه السكة»، قالت جولي، وأضافت، مخاطبةً الغرفة، «أنا سعيدة جداً أنني أنجبت اثنين باكراً، وانتهيت من الأمر».

لسوء الحظ، اختارت كيري تلك اللحظة، للخروج من المطبخ، وهي ترتشف كأساً كبيرةً من الفودكا مع مكعبين من الثلج، يطفوان على السطح. «على ذكر الجرذان الصغيرة»، قالت، «زوج بيلي يريدها أن تنجب له طفلاً، لكنها لا تريد ذلك. ذهبت إلى الصيدلية، واشترت نوعاً من الحبوب، تدلّها على موعد الإباضة، لكن المرأة خلف الطاولة قالت لها: حظاً سعيداً، لكن لسان حال بيلي كان يقول: كلاّ، كلاّ، أنتِ لا تفهمين. أريد أن أستخدم هذه الحبوب لأعرف متى أتجنب ممارسة الجنس. أليس هذا هستيرياً؟».

«لا يمكن أن أكون حاملاً خلال فصل الصيف»، قالت بيلي. «لا أريد أن يراني أحد في ملابس السباحة».

أعادت بريجيد المحادثة إلى نصابها. «وماذا تفعلين، يا ميراندا؟» سألت. «تُقيمين في المدينة، أليس كذلك؟».

«حسناً، في الحقيقة، أنا مديرة تنفيذية في شركة تلفزيونية».

«آه، أحب تلفزيون الكابل المسبق الدفع»، قالت امرأةٌ اسمها ريثا، تضع في عنقها ثلاث قلائد ذهبية ثقيلة، وتلعب بخاتم خطوبة من الياقوت، عياره اثنا عشر قيراطاً، وحول عنقها عقد خطوبة مذهب بالياقوت.

«نعم»، قالت بيلي بابتسامة حلوة. «ننظر إلى ميراندا بوصفها بوب بيتمان الصغير الخاص بنا. إنه مؤسس محطة (MTV)، كما تعلمون».

«أوه، أعرف ذلك»، قالت ريثا. «زوجي يعمل في محطة (CBS) . ينبغي أن أخبره بأنني التقيتك، يا ميراندا. أنا متأكدة أنه- في الحقيقة كنت أعمل مساعدةً له! حتى اكتشف الجميع أننا نلتقي، ونخرج معاً. وخاصة أنه كان متزوجاً في تلك الآونة». تبادلت ريثا النظرات مع نسوة كونيكتيكت.

تعثرت كيري أثناء مرورها بالقرب من ريثا، وأصابتها ببعض رذاذ الفودكا.

«آسفة جداً»، قالت. «أبدو متوترة جداً هذا النهار. مناديل».

«لا مشكلة»، قالت ريثا.

«الأمر يبدو مذهلاً»، قالت كيري. «الاستحواذ على رجلٍ متزوج. لن يكون بمقدوري فعل ذلك أبداً. وعلى الأرجح، سوف ينتهي بي المطاف

كأفضل صديقات زوجته».

«هذا هو السبب وراء الدروس التعليمية في معهد ليرنينغ آنيكس»، قالت سارة بنبرة جافة.

«أجل، ولكن لا أريد ان آخذ دروساً مع مجموعة من الفاشلين»، قالت كيري.

«أعرف العديد من الناس الذين خضعوا لهذه الدروس في معهد ليرنينغ آنيكس. وهم أناس جيدون»، قالت بريجيد.

«ما المفضل بالنسبة لنا؟» سألت ريثا. «درس (S&M) . كيف تكونين الطرف المهيمن».

«حسناً، الضرب بالسوط هو الطريقة الوحيدة التي تُبقي زوجي مستيقظاً»، قالت بريجيد. «جنس الزواج».

ضحكت لوسي بحبور.

مفاجأة الضواحي: حوض استحمام

نهضت كيري عن كرسيها وتثاءبت. «هلاّ يدلّني أحدٌ هنا على الحمام؟».

لم تذهب كيري إلى الحمام. ولم تكن ثملةً، مثلما بدت من الخارج. بل تسلّلت على رؤوس أصابعها، وصعدت الدرج المغطى بسجاد شرقي، وخطر لها لو أنها كانت جولي، لعرفت، على الأرجح، أي نوع السجاد الشرقي كان ذاك، لأنه هو نوع الأثاث الذي يُفترض أن تعرفه المرأة إذا كانت متزوجة بموظف مصرفي ثري، وتسكن معه في منزل في الضواحي.

دخلت إلى غرفة نوم جولي. وجدت سجادة بيضاء سميكة تغطي الأرض، وصوراً فوتوغرافية في كلّ مكان، محاطة بإطارات فضية، وبعض اللقطات الاحترافية لجولي في ملابس السباحة، وشعرها الأشقر الطويل المنسدل على كتفيها.

حدقت جولي بهذه الصور لوقت طويل. ماذا يعني أن تكون جولي؟ كيف حدث هذا؟ كيف وجدت شخصاً وقع في غرامها، وأعطاها كلّ هذا؟ هي في الرابعة والثلاثين، لكنها لا تحلم بالاقتراب، ولو مجرّد اقتراب، من هذا الوضع وثمة فرصة قوية أنها لن تحقق ذلك أبداً.

وهذا هو نمط الحياة الذي شبت على التفكير به، وعلى الإيمان بأنها ستفوز به يوماً، لأنها ببساطة تريد ذلك. لكن الرجال الذين تريدهم لا يريدون ذلك، أو لا يريدونك؛ والرجال الذين يريدونه، غالباً ما يكونون مملّين ومضجرين. اتّجهت إلى الحمام. رخامٌ أدكن يمتد من الأرض حتى

السقف. حوض استحمام. ربما لا يلعب أزواج الضواحي الدحل - لا يمارسون الجنس - إلا إذا كانت زوجاتهم مستحمات توأ، على نقيض الرجال في المدينة. ثم كادت تُطلق صرخة.

رأت صورة لجولي، قياس أربعة عشر بسبعة عشر، على غرار أسلوب ديمي مور، عارية تماماً، ما عدا ثوب شفاف، مفتوح على الصدر، لإظهار حلمتين حانيتين، وبطن كبير. الصورة تُظهر جولي وهي تحدق بكبرياء إلى الكاميرا، يدها مسترخيةً على صرتها التي برزت إلى الأمام مثل سويقة نبات صغيرة. ضغطت كيري على فواشة المرحاض، وهرعت إلى الخارج، تهبط الدرج، مقطوعة الأنفاس.

«سوف نفتح الهدايا»، قالت بريجيد متهكّمة.

جلست كيري على كرسي بالقرب من ميراندا. «ماذا دهاك؟» سألت ميراندا. «صورة فوتوغرافية. تحتل صدر الحفام. اذهبي وألقي نظرة»، قالت كيري.

«عفواً»، قالت ميراندا، وغادرت الغرفة.

«ما الذي تفعلانه أنتما الاثنتين؟» قالت جولي.

«لا شيء»، قالت كيري. نظرت إلى العروس، التي على وشك الزواج، ترتدي بنطلوناً ضيقاً من الحرير الأحمر، المطرز بتخريمات سوداء، على الأطراف. الجميع يضحك. وهذا ما تفعلينه، عادةً، في حفلات الزفاف.

«أنا أرتجف»

«هل يمكن أن تصدقي تلك الصورة؟» سألت ميراندا. كان الجميع قد استقلّ القطار، في طريق العودة إلى المدينة.

«إذا حدث وحملتُ بطفلٍ يوماً»، قالت بيلي، «سوف أمكث في الداخل تسعة أشهر. ولن أرى أحداً أبداً».

«أعتقد أنني أستطيع تحمل ذلك»، قالت سارة بمزاجية وهي تحدق خارج النافذة. «لديهن البيوت والسيارات والخادمات. وتبدو حياتهن قابلة للعيش. أنا أشعر بالغيرة».

«ماذا يفعلن طوال اليوم؟ هذا ما أريد أن أعرفه»، قالت ميراندا.

«إنهن لا يمارسن حتى الجنس»، قالت كيري. وفكّرت بعشيقها الجديد، السيد بيغ. في الوقت الراهن، كل شيء يبدو عظيماً، ولكن بعد سنة، أو سنتين - هذا إذا استمرت العلاقة كل تلك المدة - ماذا يمكن أن يحدث؟

«لن تصدقوا القصة التي سمعتها عن بريجيد»، قالت بيلي. «حين كنتما في الأعلى، سحبتني جولي من يدي إلى المطبخ وقالت لي: كوني لطيفة مع بريجيد. لقد اكتشفت للتو أن زوجها مرتبط بعلاقة مع امرأة أخرى».

تلك المرأة الأخرى كانت جارة بريجيد، الملاصقة لها، واسمها سوزان.

سوزان وتاد يعملان في المدينة معاً، وخلال السنة الأخيرة، اعتادا أن يستقلا القطار، ذهاباً وإياباً، كلّ يوم. حين اكتشفت بريجيد أمرهما، كانت الساعة العاشرة مساءً، وكان كلاهما ثملاً في السيارة، المتوقفة في نهاية الشارع. كانت بريجيد قد خرجت لتنزّه كلبها.

فتحت باب السيارة، ورنّت مؤخرة تاد العارية. «ابنك، وبتون، يعاني من نزلة برد، ويريد أن يقول للبابا طابت ليلتك»، قالت، ثم عادت أدارجها إلى منزلها.

على مدى الأسبوع التالي، ظلّت تتجاهل الحادثة، بينما أصبح تاد أكثر قلقاً، وصار يتصل بها من مكتبه أكثر من عشر مرات في اليوم. وكلّما كان يحاول إثارة الموضوع، كانت تبذل الحديث، وتأتي بشيء يخص طفليهما. أخيراً، وفي إحدى أماسي السبت، حين كان تاد يسكر، ويخلط مشروب المارغريتا، أخبرته عن وضعها. «أنا حامل من جديد. في الشهر الثالث. وبالتالي لن نقلق هذه المرة حول إجراء عملية الإجهاض. ألست سعيداً، يا عزيزي؟» ثم حملت قنينة المارغريتا، وسكبتها فوق رأسه.

«قصة نمطية»، قالت كيري وهي تنظّف أسفل أظافرها بواسطة حافة علبة كبريت مسطحة.

«أنا سعيدة جداً لأنني أثق بزوجي»، قالت بيلي.

«أنا أرتجف»، قالت ميراندا. رأين المدينة مغبرة ورمادية، مثلما بدت من بعيد، أثناء عبور القطار أعلى الجسر. «أريد كأس نبيذ. هل ستأتي معي إحداكن؟».

بعد ثلاث كؤوس كوكتيل، في حانة آيسي، اتصلت كيري بالسيد بيغ.

«أنتِ، أنتِ»، قال. «ما الأمر؟».

«الأمر مرعب»، ضحكت ضحكةً خفيفةً. «أنت تدرك كم أكره هذا النوع من الأشياء. إنّ كلّ ما يتحدثون عنه هو الأطفال، والمدارس الخاصة، وكيف أن أحد أصدقائهن طُرد من أحد نوادي الزيف، وكيف أن إحدى خادماتهن حطّمت سيارة المرسيدس الجديدة أثناء حادث سير».

كان بمقدورها أن تسمع السيد بيغ ينفث دخان سيجاره بعيداً. «لا تقلقي، يا طفلتي. سوف تعتادين هذا الأمر»، قال.

«لا أظن ذلك»، قالت.

التفتت ونظرت إلى طاولتهن. كانت ميراندا قد استدرجت شابين من طاولة أخرى، أحدهما اندمج توأ في محادثة عميقة مع سارة.

«أعطني ملجأ - في حانة بويري»، قالت، ثم أقفلت السفاعة.

أشياء سيئة كثيرة يمكن أن تحدث لبنات المدينة، حين يرجعن أدراجهن من زيارة صديقاتهن المتزوجات، حديثاً، في الضواحي، واللّواتي ززقن بأطفال.

الصباح الذي تلى عودة كيري وميراندا وبيلي وسارة من حفلة الفتاة التي على وشك الزفاف في غرينتش، كانت ثمة اتصالات هاتفية.

سارة كسرت كاحلها وهي تقود مزلجتها في الرابعة صباحاً. وميراندا مارست الجنس مع أحد الرجال، في مخبأ أثناء حفلة، ولم يستخدما الواقي الذكري. كيري ارتكبت فعلاً أحمق جداً حتى إنها باتت متأكدة بأن علاقتها القصيرة مع السيد بيغ قد انتهت. أما بيلي فلم يكن أحد قادراً على العثور عليها.

الجريء

لم تكن ميراندا تنوي فقدان أعصابها خلال الحفلة، والوقوع في ما كانت تسفيه «محاكاتي لنسخة غلين كلوس».

«كنتُ فقط أريد العودة إلى البيت، وأخذ قسط من النوم، والاستيقاظ، للانصراف إلى العمل، نهار الأحد». هذا هو الشيء العظيم حين لا تكون متزوجاً، ولا أطفال لديك، وتكون وحيداً تماماً. يمكنك أن تعمل يوم الأحد.

لكن سارة أقنعتها بالذهاب إلى الحفلة. «يمكن أن نحظى ببعض نقاط اتصال جيدة»، قالت سارة. سارة، بحكم شركتها المختصة في العلاقات العامة، كانت دائماً في طور البحث عن نقاط «اتصال»، يمكن أن تُترجمها أيضاً إلى «مواعيد غرامية». كانت الحفلة تقام في الشطر الشرقي من المدينة، الواقع على الشارع الرابع والستين، في أحد المنازل القديمة لأحد الأغنياء. هنا النسوة في الثلاثين من أعمارهن، يرتدين ملابسهن السوداء، وجميعهن، عملياً، لهن اللون الأشقر الواحد للشعر. هذا النمط من النساء دائماً يذهبن إلى حفلات في بيوت قديمة، يملكها رجال أغنياء، وهن دائماً يُحضرن صديقاتهن معهن، وهكذا تجد أسراباً منهن يبحثن عن رجال، لكنهن يتظاهرن بعكس ذلك.

اختفت سارة بين الحشود. وتركت ميراندا واقفةً قرب البار. شعرها أسود متموج، وترتدي ملابس داخلية، مع حذائها نصف المرتوق، وظلّت مسفرةً هناك.

مزت فتاتان بالقرب منها، وأقسمت ميراندا - ربما كانت تعيش حالة انفصام - أنها سمعت إحداهن تقول «تلك هي الفتاة ميراندا هوبز. إنها فحبة خالصة».

عندئذٍ قالت ميراندا، بأعلى صوتها، مع حرصها على أن لا يسمعها أحد، «هذا صحيح، أنا فحبة، حبيبتي، لكنني أشكر الله على أنني لستُ مثلك». وتذكّرت كيف أنه في نهاية ظهيرة طويلة في الضواحي، كانت قد فُدمت كعكة الجزر، ذات السعرات الحرارية المنخفضة، مع طبقة قشدة متجمدة، منخفضة السعرات الحرارية أيضاً، مع العديد من الشوك الصغيرة، ذات الأسنان الحادة، التي يمكن أن تخدش الجلد.

اقترب منها رجل يرتدي طقماً باهظ الثمن. حسناً، لم يكن رجلاً بالغاً تماماً لأنه لم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره، لكنه يحاول أن يكون كذلك. كانت تطلب من رجل البار إحضار كأس فودكا مضاعفة لها، وقال لها الرجل، «ظمآنة، هه؟».

«كلاّ. كل ما أريده شريحة من لحم السمك. أوكي!».

«سأحضر لك واحدة»، قال الرجل، واتضح أنه يتكلّم بلكنة فرنسية.

«سوف أعلمك»، قالت، وحاولت أن تمشي بعيداً. لم تكن تريدُ أن ترتبط، بأي شكلٍ من الأشكال، بهذه الحفلة. لقد تعبت من الشعور بأنها مجزد نشاز، ودائماً في المكان غير المناسب، لكنها لم تكن تريد العودة إلى المنزل لأنها مرهقة من الوحدة، فضلاً عن أنها ثملة قليلاً.

«اسمي غاي»، قال. «أملك معرضاً يقع على الشارع التاسع والسبعين».

«هذا صحيح»، قالت.

«ربما سبق أن سمعت به».

«اسمع، يا غاي ... »، قالت.

«نعم؟» سأل بلهفة.

«هل يمكن أن تلمس ثقب مؤخرتك بقضيبك؟».

ابتسم غاي ابتسامةً ماكرة. اقترب منها أكثر. وضع يده على كتفها. «بالطبع».

«إذاً اذهب ومارس الجنس مع نفسك».

«هيا، تعالي»، قال غاي، وتساءلت ميراندا إن كان حقاً بهذه الحماقة، أم هو بدا أحمق فقط لأنه فرنسي. أمسك يدها وبدأ يسحبها إلى الطبقة

العلوية، فطاوعته، لأنه خيل لها أن شخصاً يتعرض للإهانة، ويظل محافظاً على برودة أعصابه، لن يكون بذاك السوء. انتهى بهما المطاف في غرفة نوم الزجل العجوز الثري، حيث السرير مغطى بشرشف من الحرير الأحمر، فضلاً عن أن غاي كان يحمل بعض الكوكايين. وتطورت الأمور، بشكلٍ ما، وصارا يتبادلان القبل. لكن الناس استمزوا بالدخول إلى غرفة النوم، والخروج منها.

لسبب ما، توجها إلى أحد المخازن الداخلية. ثمة ألواح من خشب الصنوبر، وعلاقات ملابس للسترات والبنطلونات، ورفوف خاصة بكنزات وأحذية من كشمير. سافيل رو- مضجر. ثم التفتت حولها، ووجدت غاي يقف هناك، قبالتها. تعانقا وتمايلا. وتساقطت الملابس الداخلية. واندفع ثالثنا الجريء.

«أتقولين كبيرٌ جداً؟» سألتها كيري على الهاتف.

«كبير. وفرنسي»، قالت ميراندا. (كيف تُخبرها؟)

لاحقاً، قال لها، «أنت، عزيزتي، إياكِ أن تُخبري عشيقتي بذلك». وأخرج لسانه من فمها للمزة الأخيرة.

لكن افتضح الأمر، وخرج إلى العلن: سمعت عشيقته، التي عاش معها مدة سنتين، وكانا مخطوبين، بشكلٍ ما، لكنه لم يكن يعرف حقاً إن كان يريد أن يتزوجها أصلاً، وكانت تسكن معه، فماذا بإمكانه أن يفعل؟

ثم إنه غلين كلوس، ولكن من دون الأرنب.

في اليوم التالي، عثر غاي على رقم ميراندا، واتصل بها، معبراً عن رغبته في رؤيتها ثانيةً. «وعلينا أن نختار بين هذا وذاك»، قالت ميراندا.

نيوبرت يتملكه القلق

في وقت الظهر، اتصل زوج بيلي، واسمه نيوبرت، بكيري، وسألها إن كانت قد رأت بيلي.

«إذا كانت ميتة، فسوف أسمع الخبر»، قالت كيري.

فتاة ساذجة فوق مزلجة أرضية

ثم هناك سارة، التي انصرفت إلى مزلجتها الأرضية في قبوها، في الرابعة صباحاً، بحسب ما أوردت ميراندا. ثملة تماماً. في الثامنة والثلاثين

من عمرها. امرأةٌ ناضجةٌ تؤدي دور فتاة على مزلجة. هل ثمة ما هو أقلّ جاذبيةً من هذا؟ لا أظن ذلك.

ولكن ماذا يمكن لشخص مثل سارة أن يفعل؟ إنها في الثامنة والثلاثين، وغير متزوجة، وتريد أن تكون بصحبة أحدٍ ما. والرجال، كما نعلم من هذا العمود، ينجذبون إلى فتيات أصغر سناً. حتى النسوة في حفلة ما قبل الزفاف، وهنّ الآن أكبر من سارة، كنّ أصغر سناً حين تزوجن. لم يعد الأمر متعلّقاً بخيار تقوم به. وهكذا تمارس التزلج مع شاب في الخامسة والعشرين في قبوها. عوضاً عن ممارسة الجنس معه. هو يرغب بذلك، لكن هي تخاف أن يجد جسدها متقدماً في السن.

«أو.. أنت»، قالت سارة، حين اتصلت بها كيري بعد الظهر. كانت تستلقي على الأريكة، في شقتها الصغيرة، المكتملة، المؤلّفة من غرفة واحدة في بناء شاهق غرب الجادة الثانية. «أوه... أنا بخير. هل يمكن أن تصدّقي؟» تبدو سعيدةً بطريقة غير طبيعية. «مجزّز كسرٍ صغيرٍ في الكاحل. ثمة أجمل الدكاترة في غرفة الاسعاف. ولوك لازمني طوال الوقت».

«لوك؟».

«اسمه لوكاس، في الواقع. أجمل شاب في الحقيقة. صديقي الصغير». كانت تضحك بحبور. صوتٌ مرعب.

«من أين حصلتِ على المزلجة؟».

«أوه، انتعلهما لوكاس وجاء. إلى الحفلة. أليس هذا جميلاً؟».

ستزيل جبيرة الجفصين خلال ستة أسابيع. في غضون ذلك، كان ينبغي على سارة أن تمشي عرجاء من مكان إلى آخر، لكي تُدير شؤون شركتها، في العلاقات العامة. لم يكن لديها ضمان ضد الإعاقة. وبات عملها كأنه يعتمد على عمل شريط الحذاء.

هل هذا أفضل أم أسوأ من أن تكون متزوجة وتعيش في الضواحي؟ أفضل أم أسوأ؟

من يستطيع أن يقول.

بيلي في نادي كارليل الليلي

تتصل بيلي من نادي كارليل. تذكر شيئاً عن أمين صندوق من ميامي دولفينز، في نادي فريدريك. وتذكر شيئاً عن زوجها نيوبرت، وعن صلصة

السباغيتي. «أستطيع أن أحضر صلصة سباغيتي رائعة»، تقول. «أنا زوجة عظيمة». توافق كيري.

مهما يكن الأمر، بعد عودتها من حفلة ما قبل الزفاف، دخلت مع نيوبرت في شجار. هربت بيلي، وتوجهت إلى نادي كارليل الليلي. كان أمين الصندوق ينتظرها هناك. ظلّ يقول لها إن زوجها لا يحبها كما ينبغي. «بل هو يحبني. أنت لا تفهم هذا»، قالت. «سوف أحبك أكثر»، قال. ضحكت، وهربت ثانيةً، وحجزت لنفسها جناحاً في كارليل. تقول، «يقدمون المشروبات المنوعة. الآن».

تقول إنها تظن أن نيوبرت منزعج لأنها لا تريد أن تنجب أطفالاً. ليس قبل أن يبيع روايته. حين تصبحين حاملاً، سوف ينتهي كلّ شيء. وبالتالي من الأفضل الاستمتاع بالوقت الآن.

كلّ الطرق تؤدي إلى استراحة الذمية الصغيرة

بعد حفلة ما قبل الزفاف، وبعد أن اتصلت بعشيقها الجديد، السيد بيغ، ذهبت كيري إلى حانة بويري. ستكون هناك سامانثا جونز، المنتجة السينمائية. وهي من أفضل صديقات كيري. أحياناً.

على طاولة سامانثا، حشر باركلي، ابن الخامسة والعشرين، والفنان الصاعد، ومطارد عارضات الأزياء، حشر نفسه.

«يسرني جداً أن تزوريني ذات يوم في المرسم»، قال باركلي، رافعاً شعره الأشقر عن عينيه.

كانت سامانثا تدخن سيجاراً كوبياً. أخذت نفثة، ونفخت الدخان الكثيف في وجه باركلي. «أراهن أنك ترغب في ذلك. ولكن ما أدراك أنه يمكن أن أحب لوحاتك الصغيرة».

«حسناً، لا يترتب عليك أن تحبي لوحاتي»، قال باركلي. «يكفي أن تحبيني أنا».

ارتسمت ابتسامةٌ شريرة على وجه سامانثا. «لا أخوض مع رجالٍ تحت سنّ الخامسة والثلاثين. هؤلاء لا يملكون تجربة كافيةً ترتقي بهم إلى مستوى ذائقتي».

«جزيبني»، قال باركلي. «إذا لم أفز، اشتري لي كأساً من النبيذ، على الأقلّ».

«نحن مغادران»، قالت سامانثا. «علينا أن نجد مكاناً آخر».

وجدتا مكاناً آخر. حانة الدمية الصغيرة. جلسة مع العاريات في تريبيكا. لم تستطيعا التخلّص من باركلي، ولذلك سمحتا له بالمجيء معهما. قد يكون أمراً حسناً أن يرافقهن رجل إلى حانة للعاريات. عدا عن

أنه يحمل الماريجوانا. دخنوا في سيارة الأجرة، وحين وصلوا إلى حانة الدمية الصغيرة، أمسكت سامانثا بذراع كيري (لا تفعل سامانثا أشياء كهذه أبداً، تقريباً) وقالت، «أريد حقاً أن أعرف أكثر عن السيد بيغ. لا أظن أنه الرجل المناسب لك».

كان على كيري أن تفكر ما إذا كان عليها أن ترد أم لا، لأن الأمر دائماً يسير على هذا النحو بينها وبين سامانثا. حين تكون سعيدة مع رجل، تأتي سامانثا وتزرع تلك الشكوك، مثل وضع منشار بين قطعتين من الخشب. قالت، «لا أعلم. أظن أنني مجنونة به».

قالت سامانثا، «ولكن هل حقاً يعلم كم أنت عظيمة؟ كم أنت عظيمة كما أظن؟».

قالت كيري في نفسها، «ذات يوم، سوف أنام، أنا وسامانثا، مع الرجل نفسه، في وقت واحد، ولكن ليس في هذه الليلة».

اقتربت منهم نادلة البار وقالت، «جميل أن أرى نساء هنا، من جديد»، وبدأت تسكب لهم شراباً مجانياً. كان ذلك يمثل مشكلة دائماً. ثم حاول باركلي أن يبدأ نقاشاً حول رغبته بأن يصبح مخرجاً، وهذا، بحسب رأيه، ما يفعله جميع الفنانين، على أية حال، فلماذا لا يتجاوز الدور الممل للفنان، ويبدأ بالإخراج؟

كانت هناك فتاتان ترقصان على المنصة. بدتا مثل امرأتين حقيقيتين، ولم يكن مظهرهما حسناً جداً- نهود صغيرة رخوة، ومؤخرات كبيرة. في هذه الآونة، كان باركلي قد بدأ يصرخ صراخاً، «ولكن أنا أفضل من ديفيد سال! أنا عبقري. اللعنة!».

«أوه، نعم؟ تقول من؟» بادلته سامانثا الصراخ.

«جميعنا عباقرة. اللعنة»، قالت كيري، ثم ذهبت إلى الحمام.

عليك أن تسيري عبر ردهة صغيرة بين المنصتين، ثم تنزلي الدرج. للحمام باب خشبي، بني اللون، لا يُغلق جيداً، ومحاط بإطارات محطمة. فكرت كيري بضاحية غرينتش. الزواج. الأطفال.

«أنا لست جاهزة»، قالت في نفسها.

صعدت الدرج، ثم خلعت ملابسها، واعتلت المنصة، وبدأت ترقص. كانت سامانثا تحملق بها، ضاحكةً، ولكن حين اقتربت منها نادلة البار وطلبت منها، بنبرة مهذبة، النزول، توقفت سامانثا عن الضحك.

في الصباح التالي، اتصل السيد بيغ في الثامنة. كان في طريقه للعب الغولف. بدا صوته مثوتراً. «متى عدت إلى المنزل؟» سأل. «وماذا فعلت؟».

«لم أتأخر كثيراً»، قالت. «ذهبت إلى حانة بويري. ثم إلى هذا المكان الآخر. حانة (الدمية الصغيرة)».

«أوه، نعم؟ هل قمت بشيء خاص هناك؟».

«شربت كثيراً»، قالت ضاحكة.

«لا تريدين أن تقولي لي شيئاً آخر؟».

«كلاّ، لا شيء آخر»، قالت كيري بنبرة حانية طالما استخدمتها للتهدئة من روعه. «وماذا عنك أنت؟».

«تلقّيتُ اتصالاً هاتفياً هذا الصباح»، قال. «أحدهم قال إنه رآكِ ترقصين عارية في حانة (الدمية الصغيرة)؟».

«أوه. حقاً؟» قالت. «كيف عرفوا أنه أنا؟».

«عرفوا».

«هل أنت غاضب؟».

«لماذا لم تخبريني؟» سأل.

«هل أنت غاضب؟».

«أنا غاضب لأنكِ لم تخبريني. كيف يمكن أن ترتبطي بعلاقة إذا لم تكوني مخلصة؟».

«ولكن ما أدراني أنني يمكن أن أثق بك؟» سألت.

«صدّقيني»، قال. «أنا الرجل الذي يمكن أن تثقي به».

وأقفل السماعة.

أخرجت كيري صورهما جميعاً التي أخذاها في جامايكا (يظهران سعيدين وهما في بداية اكتشاف أحدهما للآخر)، وقصّت الصورة التي يبدو فيها السيد بيغ يدخن سيجاراً. فكّرت كيف كانت تنام معه، هانئة، وتتكوّر خلف ظهره.

أرادت أن تأخذ الصور، وتلصقها بقصاصة من ورق البناء، وتكتب في الأعلى، «صورة للسيد بيغ مع سيجاره»، وفي الأسفل، مع كثير من القبل، «اشتقتُ إليك».

حدّقت بالصور طويلاً. ثم لم تفعل شيئاً البتة.

12 سكيبر والسيد مارفيلوس يبحثان عن جنس حار في أدغال ساوثامبتون

ربما هي حقيقة لا تقبل الجدل أن معظم الناس يبدون حقاً أفضل مع وجود لون آخر للبشرة. أو ربما هذا برهان آخر على أن دافع الجنس أقوى من الطموح، حتى بالنسبة لأهل نيويورك. في أي حال، ثقة خاصة لدى أهل هامبتون، مرتبطة بالممارسات الجنسية الغوغائية، أي ذاك النوع من الجماع القصير المخجل، الذي لا يريد أحدٌ أن يتذكره في الصباح التالي.

سفه مزيجاً من بشرة الجلد (النساء العاريات على شواطئ ميديا) والجغرافيا (تستغرق وقتاً طويلاً لتصل بسيارتك من ساوثامبتون إلى إيست هامبتون، وخاصة إذا كانت الساعة الرابعة صباحاً) والطبوغرافيا (كل تلك الشجيرات العالية التي تتيح لأزواج العشاق الاختباء والتواري).

لكن أن تعرف كيف تجعل كلّ تلك العناصر تعمل لمصلحتك، وخاصة إذا كنت رجلاً، فإنك تحتاج إلى الكثير من اللّياقة. والشباب ليس بالضرورة لمصلحتك. ينبغي أن تجيد السير على الحبال كلها، وتخرج منها برشاقة. وإلاّ فسيصيبك خلل ما، ولن يكون عطلاً كما تتوقع أبداً. هنا قصة تحذيرية عن ثلاثة عازبين متفائلين، في منطقة هامبتون، خلال عطلة عيد الاستقلال، في الرابع من تموز. ولكن لنقابل أولاً متسابقينا.

العازب رقم واحد: سكيبر جونسون، في الخامسة والعشرين. وسيم. قانون الترفيه. أعجوبة الصبا. خطّط لإدارة أحد الاستديوهات الكبيرة، يقول إنه سيكون في نيويورك. تسليات الشاطئ: سيارة مرسيدس صغيرة، وملابس من شركة الإخوة بروكس، («جسدي يناسب ذائقة الإخوة بروكس»)، وهاتف خلوي، يستخدمه باستمرار. في الآونة الأخيرة، اعتاد أصدقاؤه الشكوى من أن سكيبر يهدر ساعتين من الوقت داخل مرآب السيارات، على الشاطئ، متحدثاً على الهاتف، محاولاً إنجاز صفقة. «الذهاب إلى الشاطئ مضيعةٌ للوقت»، يقول سكيبر. «عدا أنني لا أحب أن أتعفر بالرمل». إنه قلقٌ بشأن افتقاره للنجاح الجنسي منذ وهلة. «هل تظن النساء أنني مثلي؟» يسأل، جاداً.

العازب رقم اثنين: السيد مارفيلوس، في الخامسة والستين، لكنه يقول إن عمره ستون فقط. فك مربّع، وشعر فضي، وعينان زرقاوان صافيتان. رياضي - جميع الأجزاء تعملُ حسب الطلب. متزوج (ومطلّق) خمس مرات. اثنا عشر طفلاً - الزوجات رقم اثنين، وثلاثة، وأربعة، جميعهن

صديقات جيدات. أصحابه يتساءلون عن سره. تسليات الشاطن: لا شيء، لكن يمكنه أن يتحدث عن شقة عتيقة في جادة بارك، ومنزل في بيدفورد، وشقة في بالم بيتش. يمكث مع أصدقاء له، خلال عطلة نهاية الأسبوع، في فيرفر لين، في إيست هامبتون. يفكر بشراء منزل.

العازب رقم ثلاثة: ستانفورد بلاتش، في السابعة والثلاثين. كاتب سيناريو. يأتي بعد جو إيسترهاس من حيث الأهمية. مثلي، لكنه يفضل الرجال الفيريين. شعره طويل، أدكن، أجعد، يرفض أن يقصه، أو يعقده في شكل ذيل الحصان. ربما يتزوج يوماً، وينجب أطفالاً. يقيم في منزل جدته، في هاسلي نيك لين، في ساوثامبتون، جدته تعيش في بالم بيتش. تسليات الشاطن: لا يعرف قيادة السيارة، وبالتالي يقنع سائق العائلة بالمجيء في نهاية عطلة الأسبوع، ليتنقل به من مكانٍ إلى آخر. أفضل تسليات الشاطن: استطاع التعرف على كلّ من يستحق المعرفة، منذ كان طفلاً، وبالتالي لم يكن يحتاج لإثبات شيء.

حفام سكيبر البارد

ليلة الجمعة. يقود سكيبر جونسون سيارته إلى ساوثامبتون، حيث هيأ نفسه للقاء صديقات له في باسيليكو: أربع نساء، جميعهن في أواخر العشرينيات، ويعملن في رالف لورين، حيث لا يمكن تمييزهن، الواحدة عن الأخرى، بالعين المجردة. ويجد سكيبر جمالهن المتماثل مريحاً، وخاصة أن هناك قطيعاً صغيراً منهن. هذا يعني أنه لن يقع على كاهله عبء محاولة تسلية إحداهن دون الأخرى في ذلك المساء.

يشربون باين هامبتونز خلف طاولة البار. سكيبر يدفع الحساب. في الحادية عشرة، يذهبون إلى (M-80) . ثمة حشد في الخارج، لكن سكيبر يعرف البواب. يشربون خلائط الشراب بأكواب بلاستيكية. يلتقي سكيبر ببعض أصدقائه - المصففين جورج وتشارلي. «اثنتا عشرة فتاة سيمكثن في شقتي خلال نهاية الأسبوع»، يتبجح جورج أمام سكيبر. جورج يعرف أن سكيبر يتشوق للمجيء إلى بيته، ولذلك يتعقد عدم دعوته. اثنتان من العارضات بدأتا تتراشقان بالمشروب وتضحكان.

في الثانية صباحاً، تُصاب إحدى الفتيات بوعكة. يعرض سكيبر أن يوصل الفتيات بالسيارة إلى المنزل: بيت ريفي، قبل الوصول إلى الجزء الأكبر من ساوثامبتون. صندوق من البيرة في الثلاجة، ولا شيء آخر. يذهب سكيبر إلى إحدى غرف النوم، ويجلس على السرير مع إحدى

الفتيات، ويحتسي البيرة. يستلقي على ظهره، ويغمض عينيه، واضعاً يده حول خصر الفتاة. «أنا تعبان جداً، ولا أستطيع قيادة السيارة، والعودة إلى المنزل»، يقول بصوت جرو صغير.

«أريدُ أن أنام»، تقول الفتاة.

«أوه، من فضلك، دعيني أبيت الليلة هنا. أعدك»، يقول سكيبر.

«حسناً. ولكن يجب أن تنام على الفراش. وأن لا تخلع ملابسك».

يخضع سكيبر لهذا الشرط. وسرعان ما يخلد للنوم، ويبدأ بالشخير. ولم ينقض الكثير من الوقت، بعد منتصف الليل، حتى طردته الفتاة، لينام على الأريكة.

صباح السبت. يقود سكيبر سيارته باتجاه منزله في إيست هامبتون، ويقرر أن يعرّج أولاً للقاء صديقيه، كيري والسيد بيغ، في بريدج هامبتون. كان السيد بيغ يقف في الباحة الخلفية، من دون قميص، يدخن سيجاراً، ويسقي نباتاته، حول حوض السباحة. «أنا في عطلة»، يقول.

«ما الذي تفعله؟ أليس لديك بستاني؟» يسأل سكيبر. كيري تدخن سيجارتها وتقرأ صحيفة (نيويورك بوست). «هو البستاني. ويغسل السيارات أيضاً».

يتعرّى سكيبر إلا من سروال الملاكمة القصير، ويغطس في الماء، مثل شخصية في أفلام الكرتون، ركبتاه مقوّستان، وبارزتان إلى الخارج، بزاوية قائمة. حين يُخرج رأسه لكي يتنشق الهواء، يقول السيد بيغ، «الآن أعرف لماذا لا تُترك وشأنك؟».

«ماذا بوسعي أن أفعل؟» يسأل سكيبر.

«خذ سيجاراً»، يقول السيد بيغ.

السيد بلاتش يقع في الحب

نهار السبت، في هالسي نيك لين. يجلس ستانفورد بلاتش بالقرب من حوض السباحة، يتحدث على الهاتف، ويراقب عشيقة شقيقه، التي يكرهها، وهي تحاول أن تقرأ جريدته (نيويورك أوبزرفر). يتعقد الحديث بصوت عالٍ، على أمل أن تتركه وشأنه. «ولكن ينبغي أن تأتي»، يقول على الهاتف. «هذا سخيف. ما الذي ستفعله؟ تجلس في المدينة طوال عطلة نهاية الأسبوع وتعمل؟ هيا احجز على الطائرة المائية. وسوف أدفع النفقات».

«حسنٌ. أحضِر المخطوطات. أنتم، أيها الوكلاء، تعملون عملاً شاقاً، اللّعنة. بالطبع ثمة مشمع لك. لدي الطبقة الغليا بأكملها».

يقفل ستانفورد السماعة. يثجه إلى عشيقة شقيقه. «هل تعرفين روبرت موريسكين؟» حين تنظر الفتاة إليه نظرة بلهاء، يقول، «لا أظن ذلك. إنه شاب واعد، وأكثر الوكلاء الأدبيين حيوية، ومثيرٌ للإعجاب».

«هل هو كاتب؟» تسأل.

سكيبر يطيح الأمر

ليلة السبت. يذهب سكيبر إلى حفلة عشاء في منزل صديقين له في مقاطعة رابايورتز. زوجان شابان يبدوان دائماً على حافة الطلاق. يسكر ثانيةً، ويجزب من جديد خدعة «شرب البيرة والاستلقاء على السرير»، مع فتاة اسمها سيندي. ظلت الأمور تسير على ما يرام، حتى قال إنه يظن أن جيم كيري عبقري.

«أتدري؟ لدي عشيق»، تقول.

نهار الأحد. يتصل السيد مارفيلوس بأصدقائه، ويخبرهم بأنه سئم من بيدفورد، وهو الآن في صدد القيام برحلة في سيارة الفيراري.

يجلس ستانفورد بلاتش قرب حوض الماء، يرتدي بزة «أرماني». سترة قصيرة الأكمام، وبنطلون ضيق، مناسب.

يتكلم على الهاتف ثانية مع روبرت موريسكين. «لماذا لاتأتي وتزورني الليلة؟ ثمة حفلة عظيمة. لم يعد هناك الكثير من الحفلات العظيمة هنا، كما تعلم. هل سئحضر معك صديقتك؟ أحضر فتاةً إذا أردت. لا أكترث بذلك».

حدث ما لم يكن في الحسبان

ليلة الأحد. حفلة توقيع كتاب كويرتي فليسك في منزل تيد فيلد. لم يكن سكيبر مدعواً، ما جعله يشعر باكتئاب شديد. مع ذلك، هيأ نفسه للذهاب إلى الحفلة من خلال تيزعه بنقل ستانفورد بلاتش بسيارته، والذي لا يعرفه إلا لماماً، لكن هذا الأخير تلقى دعوات من كلّ مكان في الحفلة.

الحفلة تُقام في الخارج. لاحظ سكيبر أن شابة اسمها مارغريت توليه الكثير من الاهتمام. مارغريت قصيرة القامة، شعرها أسود فاحم، ونهداها

كبيران، وتبدو جميلة - لكنها ليست من النوع المفضل لسكيبر. تعمل في سلك العلاقات العامة. يقرر سكيبر ومارغريت أن يذهبا إلى الحمام، وهذا يوجب عليهما السير على طريق فرعية مضاءة بالمشاعل، تلتف كالأفعى حول بعض الشجيرات، قبل الوصول إلى المراحيض. يتجهان إلى بعض الأدغال الكثيفة. ويتبادلان القُبل. ثم حدث ما لم يكن في الحسبان قط.

«أريدُ فقط أن أفعل هذا حقاً»، تقول مارغريت، ثم تركع على ركبتيها، وتفك سحاب بنطلونه. ضعق سكيبر. لم يستغرق الفعل كلّه أكثر من دقيقتين.

«ستقلّني بسيارتك إلى المنزل، أليس كذلك؟» تقول مارغريت، ممسكةً بمرفقه.

«لا أستطيع»، يقول. «وعدتُ بأن أقلّ ستانفورد إلى المنزل، وأنت تسكنين في الجهة المعاكسة».

أوه، أيها السيد مارفيلوس!

حي فريتر لين. يصل السيد مارفيلوس في الوقت المناسب قبل بدء العشاء. مضيفه، تشارلي، طلّق زوجته قبل خمس سنوات. كان قد دعا بعض الرجال وبعض النساء في الثلاثين وأوائل الأربعين من أعمارهم. يجلس السيد مارفيلوس بالقرب من امرأة، اسمها صابرينا: عمرها اثنتان وثلاثون سنة، ونهداها ينفران من خلف سوتيانة سوداء، من ماركة دونا كاران. السيد مارفيلوس هو الذي يحضر لها المشروب، ويشعر بالشفقة تجاه زوجها السابق. في الساعة الحادية عشرة تقول صابرينا ينبغي أن يذهبوا إلى (ستفنز توك هاوس) في (أماغانست) للقاء ببعض الأصدقاء. يتبزع السيد مارفيلوس بقيادة سيارتها، لأنها يمكن أن تكون ثملة قليلاً. ينتهي بهما المطاف في منزل صابرينا، في الثالثة صباحاً.

حين يلج إلى الداخل، تقول عشيقتها، «إذا كان ثمة بعض الأفكار الخبيثة تدور في رأسك، انسها في هذه اللّحظة». ثم تسلتقي على الأريكة، وتشعل الضوء.

لاحقاً، حوالى الساعة الخامسة صباحاً، بدأ السيد مارفيلوس يشعر برهاب الاحتجاز، ومنزل صابرينا صغير جداً. يستطيع أن يسمع صديقتها تشخر على الأريكة، خارج باب غرفة النوم.

«أكاد أفقد صوابي»، قال في نفسه.

نهار الاثنين، يتصل السيد مارفيلوس بصابرينا، التي كان قد غادرها قبل ساعة فقط. آلة حفظ الرسائل تعمل. «هل تريدين المجيء إلى الشاطئ؟» يذهب إلى شاطئ ميديا، ويلتقي بكيري، والسيد بيغ. يلحظ فتاة شقراء جذابة، تجز كلباً صغيراً. يقترب منها ويبدأ بمداعبة كلبها. وينخرطان في الحديث. ظن أنه كان قد وصل إلى نقطة ما، حين وصل صديقها. رجل خشن، كبير الجثة، صدره بارز، وساقاه قصيرتان. يعود السيد مارفيلوس إلى منشفته. سامانثا جونز هناك، تجلس مع كيري والسيد بيغ.

تمضي الفتاة مع عشيقها على الشاطئ. حين مرت الشقراء بالقرب من السيد مارفيلوس، تستدير وتلوح بيدها.

«هل رأيت؟ قلت لك إنها مهتمة. مهتمة حقاً». يقول السيد مارفيلوس.

«بك أنت؟» تسأل سامانثا. وتطلق ضحكة لئيمة.

عطل خلوي

كان سكيبر يلعب التنس حين سمع هاتفه الخلوي يرن.

«مرحباً، حبيبي»، تقول مارغريت. «كنت فقط أتساءل ماذا تفعل؟».

«أنا في منتصف لعبة تنس»، يقول سكيبر.

«هل تريد أن تأتي؟ أود أن أحضر لك العشاء هنا».

«أوه، لا أستطيع».

«ماذا تعني أنك لا تستطيع؟».

«أقصد أنني لا أعلم ماذا سأفعل لاحقاً. أخبرت أناساً آخرين أنني سألتحق بهم على العشاء».

«إذاً، يمكن أن نذهب معاً».

يخفض سكيبر صوته. «لا أظن أنني أستطيع أن أفعل ذلك. إنه نوع من العمل، أتفهمين قصدي؟».

«صغيري المغولي»، تقول مارغريت.

يصل أخيراً روبرت موريسكين على متن طائرة بحرية. شعر ستانفورد بالكآبة لأنه لم يصل في الليلة الماضية، ولذلك يرسل سائقه، بسيارة الفورد العتيقة، عوضاً عن المرسيدس، لإحضاره.

السيد مارفيلوس يعود من الشاطئ. صابرينا اتصلت. يتصل بها مباشرة، لكن آلة التسجيل هي التي ترد عليه.

«هل هذه إيلي؟».

مساء الاثنين. كيري والسيد بيغ والسيد مارفيلوس في طريقهم إلى حفلة شراب. السيد مارفيلوس يقود سيارة المرسيدس الكبيرة ببطء في ميكوس لين، مازاً بمزارع الخيول. الشمس تغرب، وعلى العشب يرين هدوء أخضر خاض. ثمة هضبة صغيرة، وحين وصلت السيارة إلى أعلى قفتها، بانت فتاةٌ تقود مزلجتها الأرضية بطريقة غريبة. إنها ترتدي تي شيرت ضيقة، وسروالاً قصيراً أسود صغيراً. شعرها أسود طويل، مربوط على شكل ذيل الحصان، بيد أن اللافت أكثر هو ساقاها اللتان تسحرانك.

«أنا وقعت في الحب»، يقول السيد مارفيلوس. حين تختار الفتاة طريقاً فرعية، يستمز مارفيلوس في قيادة سيارته على الطريق الرئيسية، لكنه سرعان ما يتوقف ويضع يديه على أعلى المقود. «سأعود أدراجي».

تحاول كيري تبادل النظرات مع السيد بيغ، لكنه يتجاهلها. إنه يضحك، ويتفهم كل ما يحدث.

يسرع السيد مارفيلوس بسيارته خلف الفتاة. «انظروا إليها، إنها لا تعرف حتى كيف تقود عجلاتها. ربما تؤذي نفسها». يتجاوزون الفتاة، ويقول السيد بيغ، «هل هي إيلي؟ إنها تشبه إيلي».

كيري تجلس في المقعد الخلفي تدخن سيجارتها. «صغيرة السن جداً، و لايمكن أن تكون إيلي».

ينزل السيد بيغ زجاج نافذة السيارة ويقول، «هاي».

تقترب الفتاة من السيارة. «هاي»، تقول مبتسمة، وسرعان ما بدا عليها الارتباك. «هل أعرفك؟».

«لا أعرف»، يقول السيد مارفيلوس، منحنياً فوق مقوده، «أنا السيد مارفيلوس».

«أنا أودري»، تقول الفتاة. تنظر إلى السيد بيغ. «تبدو مثل شخص أعرفه».

نزل السيد مارفيلوس من السيارة. «هل تعرفين كيف تتوقفين؟ يجب أن تعرفي كيف تتوقفين. قيادة المزلجة ذات العجلات يمكن أن يكون خطراً».

تضحك الفتاة. «هذا ما ينبغي أن تقومي به»، يقول السيد مارفيلوس، ثم يشرح الحركة بتقديم قدم على أخرى، ماداً ذراعيه بشكل مستقيم إلى الأمام.

«شكراً»، قالت الفتاة. ثم بدأت تتحزك بعيداً. «هل أنتِ عارضة أزياء؟» يقول السيد مارفيلوس.

«كلا»، تقول من فوق كتفها. «كلا، أنا طالبة».

يعود السيد مارفيلوس إلى سيارته. «هناك خاتم حول إصبعها. ماذا يعمل زوجها حتى يتركها تخرج على مزلجتها وحيدة؟ كنتُ أريد أن أطلب يدها للزواج. إنها جميلة حقاً. هل رأيتموها؟ ماذا كان اسمها؟ أودري. اسمها أودري. يبدو اسماً قديم الطراز، نوعاً ما، أليس كذلك؟».

صبي القماش الأزرق

أعدّ ستانفورد عشاءً في مطعم ديلا فيمينا على شرف روبرت. بعد ذلك، ذهبا إلى المنزل في منطقة هالسي نيك، ودخّنا الحشيش. في الثانية صباحاً، يتوسّل روبرت، قائلاً إن عليه التنقيب في كومة من المخطوطات، في الصباح. يوصله ستانفورد إلى غرفته، المزيّنة بقماش تقليدي أزرق. «لطالما أحببتُ هذه الغرفة»، يقول ستانفورد. «لم يعد بالإمكان العثور على هذا القماش الأزرق، في هذه الأيام. آمل أن لا تشعر بحرارة مرتفعة. لكنني ما زلتُ أعتقد بأنها الأفضل للنوم، من دون شراشف، خلال فصل الصيف. اعتدنا أن نفعل ذلك حين كنّا صغاراً. ذلك قبل أن تكتشف جدّتي نظام التكييف».

يجلس ستانفورد على الكرسي بينما يخلع روبرت ملابسه. لم يبدُ على روبرت أنه يأبه لذلك، وظلّ ستانفورد يستحضر أحاديث من هنا وهناك. ثم يستلقي روبرت في السرير، ويغمض عينيه. «هل أنتَ متعب؟» يقول ستانفورد. يمشي إلى السرير وينظر إلى روبرت، الذي أغمض عينيه. «هل أنتَ نائم؟».

يوم عيد الاستقلال

الثلاثاء، الرابع من تموز. الهاتف الخلوي: إنها مارغريت. «هاي، حبيبي. الجميع عادوا باكراً، وأنا لا أريد ذلك. متى ستعود؟ هل يمكن أن أركب قليلاً؟».

«لن أعود حتى صباح الغد»، يقول سكيبر.

«أوه. حسناً، يمكن أن أعود صباح الغد. سأتصل بمكتبي».

«بالتأكيد»، يقول سكيبر، غير سعيد.

«هل تحب نهاية عطلة نهاية الأسبوع حين يغادر الجميع، وتبقى هنا؟ دعنا نذهب إلى العشاء».

«لا أظن أنني أستطيع ذلك. لقد وعدتُ أصدقاء...».

«لا مشكلة»، تقول مارغريت بخفة. «سنرى بالتأكيد بعضنا خلال عطلة نهاية الأسبوع المقبل. يمكن أن نخطط للأمر في السيارة، غداً صباحاً».

الثلاثاء، بداية المساء. يتوجه السيد مارفيلوس بسيارته المرسيدس نحو الطريق التي رأى فيها أودري للمرة الأخيرة. يخرج، ويفتح صندوق السيارة، وبعد صراع لا بأس به ارتدى مزلجة القدمين. يأخذ عدة أشواط على الطريق. ثم يتكئ على سيارته وينتظر.

اجتمعت، ظهراً، منذ فترة ليست بالبعيدة، أربع نساء في مطعم، يقع في الشطر الشرقي الأعلى من المدينة لمناقشة ماذا يعني أن تكون المرأة شابة وجميلة جداً في مدينة نيويورك. وماذا يعني أن تكون محط أنظار الشبان، الذين يطاردونها، ويدفعون عنها الحساب، ويضايقونها، ويحسدونها، ويسيئون فهمها، وماذا يعني أن تكون بكل بساطة أخاذة- فتيات جميعهن في سن دون الخامسة والعشرين.

كانت كاميلا أولى الواصلات. خمسة أقدام وعشرة إنشات. بشرتها بيضاء شاحبة، وشفتاها مكتنزتان، وعظام ذقنها مستديرة، وأنفها صغير - كاميلا في الخامسة والعشرين لكنها تقول «إنها تشعر بأنها كبيرة». بدأت العمل عارضة أزياء في سن السادسة عشرة. حين قابلتها لأول مرة، قبل عدة أشهر في وسط المدينة، كانت تقوم بواجبها «كعشيقة» لمنتج تلفزيوني معروف، وهذا يعني أنها كانت تبتسم وتجيب من يوجه إليها سؤالاً. باستثناء ذلك، كانت تقوم بجهد ضئيل لا يتعدى إشعالها لسيجارتها.

نساء مثل كاميلا لسن بحاجة إلى بذل جهد كبير، وخاصة مع الرجال. ففي الوقت الذي تستميث فيه بعض النساء من أجل تدبير موعد غرامي مع سكوتي، المنتج التلفزيوني، أخبرتني كاميلا بأنها تشعر بالملل. «إنه ليس النموذج الذي أبحث عنه»، قالت. إنه كبير جداً في السن (أوائل الأربعين)، وغير جذاب، بما يكفي، أو غني، بما يكفي. قالت إنها عادت أخيراً من رحلة إلى سانت موريتز، برفقة شاب أوروبي مرموق - هذا، كما قالت، يجسد فكرتها عن الاستمتاع بالوقت. وحقيقة أن سكوتي هو أحد أكثر العازبين جاذبية في نيويورك، لا تعني لها شيئاً أبداً. إذ هي الجائزة، وليس سكوتي. النسوة الثلاث الأخريات تأخرن في الوصول، ما جعل كاميلا تستمر في الحديث. «أنا لستُ عاهرة»، قالت، ثم نظرت حولها في أرجاء المطعم، «لكن معظم الفتيات في نيويورك حمقاوات. رؤوسهن فارغة. إنهن غير قادرات حقاً على إدارة حوار. لا يعرفن شوكة الطعام التي يجب أن يستخدمنها. لا يعرفن كيف يدفعن البخشيش لخادمة في بيت ريفي».

ثمة عدد لا بأس به من الفتيات على شاكلة كاميلا في نيويورك. وجميعهن جزء مما يشبه نادياً سرياً، أو جمعية مدنية، تتطلب بضعة شروط فقط للانتساب إليها: جمال خارق، وفتوة، (بين عمر السابعة عشرة

والخامسة والعشرين، أو على الأقل عدم الاعتراف بأن المرأة تجاوزت الخامسة والعشرين)، وثقافة، وقدرة على الجلوس في مطاعم جديدة لمدة ساعات.

قد يكون الجانب المتعلق بالثقافة نسبياً نوعاً ما. وكما قالت إحدى صديقات كاميلا، واسمها أليكسيس، «أنا ميالة للأدب. أقرأ. أجلس وأقرأ مجلةً بكاملها، من الغلاف إلى الغلاف».

أجل، هؤلاء هن الفتيات الجميلات، اللواتي يكشفن عن الخط البياني في علاقة الرجل بالمرأة في نيويورك، واللواتي يحظين، أكثر، باهتمام بالغ، مثل جذب الانتباه، والدعوات، والهدايا، وعروض الملابس، والمال، ورحلات الطيران المجانية، وحفلات العشاء على متن اليخوت في جنوب فرنسا. هن الفتيات اللّواتي يرافقن الرجال العازبين من أصحاب الأسماء اللامعة إلى أفضل الحفلات ونشاطات الأعمال الخيرية. النسوة اللواتي يسرقن الاهتمام - بدلاً منك. متنفذات. ونيويورك يجب أن تكون مرتعهن الخصب. ولكن هل هي حقاً كذلك؟

«دعونا نتحدث عن الحثالات»

وصلت النسوة الأخريات، بالإضافة إلى كاميلا، التي قالت إنها «عملياً عازبة لكنها تعمل على استمالة» شاب من عائلة تسكن في جادة بارك، ضفت المجموعة كيتي، ابنة الخامسة والعشرين، وهي ممثلة طموحة، تسكن حالياً مع هوبيرت، ابن الخامسة والخمسين، الممثل الذي ما زال مشهوراً، لكنه لا يعمل حالياً، والفتاة شيلوه، ابنة السبعة عشر عاماً، التي عانت ما يشبه انهياراً قبل ثلاثة أشهر، ولا تخرج إلا قليلاً، ثم تيسي، وعمرها اثنان وعشرون، وهي عارضة أزياء انتقلت منذ فترة وجيزة إلى نيويورك، وقد طلبت منها الشركة التي تعمل فيها أن تقول إن عمرها تسعة عشر.

هؤلاء الفتيات جميعهن «صديقات»، وقد تقابلن مرات عديدة، خلال خروجهن في الأمسيات، بل وسبق أن ارتبطن «بغراميات مع الحثالات نفسها»، على حد تعبير كيتي.

«دعونا نتحدث عن الحثالات»، قالت إحداهن.

«هل تعرفون هذا الشخص المسفي (S.P) ؟» سألت كيتي. لها شعر سبل طويل، بني اللون، وعينان خضراوان، وصوت طفلي ناعم. «إنه شخص عجوز، أشيب، وجهه يشبه اليقطينة، وتجدينه في كل مكان.

حسناً. ذات يوم كنتُ في حانة بويري، أتى إليّ وقال: أنتِ صغيرة جداً لكي تدركي أنك ترغبين بالنوم معي، ولكن حين تصبحين كبيرة، ستكونين كبيرة جداً لكي أرغب في النوم معكِ».

«الرجال دائماً يحاولون شراءكِ»، قالت كاميلا. «ذات مرة قال لي هذا الرجل: من فضلكِ، تعالي معي إلى سانت بارتز، لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. ليس من الضروري أن ننام معاً، أعدكِ بذلك. أريد فقط أن أضفكِ. هذا كل ما في الأمر. حين عاد، قال: لماذا لم تذهبي معي؟ قلتُ لكِ إننا لن ننام معاً. قلتُ له: ألا تدرك أنني إذا خرجتُ مع رجل، فهذا يعني أنني أريد أن أنام معه؟».

«حاولت إحداهن في الشركة التي أعمل فيها أن تبيعني، ذات مرة، لرجل غني»، قالت تيسي. ملامحها ناعمة جداً، ولها رقبة بجعة طويلة. «هذا الرجل كان صديقاً لإحدى موظفات التصميم، وقد وعدته بأنه سيحصل عليّ». بدا الحنق العارم بادياً على وجه تيسي، ثم سرعان ما التفتت إلى النادل، «ولكن، عفواً، ثمة بقعة في كأسي».

شيلوه، التي شعرت ربما بالتنافس، حاولت أن تدلو بدلوها. «عرفت رجالاً أرادوا أن يتبرعوا لي ببطاقات طيران، وآخرين طلبوا مني مرافقتهم على متن طائراتهم الخاصة. كنتُ أكتفي بالابتسامة، ولا أتحدث إليهم ثانيةً».

مدت كيتي جذعها نحو الأمام، وقالت، «عرفتُ رجلاً عرض عليّ عملاً وشقة. قال لي: أنا أهتم بعشيقاتي، حتى بعد أن أنفصل عنهن. كان رجلاً أوسترالياً، أصلع الشعر، قصير القامة».

داش في فندق مارك

«لماذا يحمل جميع هؤلاء الرجال، غير الجذابين، تلك الأفكار عما يريدون أن يفعلوه؟» سألت تيسي.

«جميع الرجال يعطون الانطباع بأنهم متعجرفون جداً»، قالت شيلوه. لون بشرتها يشبه اللوز المحفص، وشعرها أسود طويل، وعيناها قاتمتان كبيرتان. كانت ترتدي بلوزة ضيقة، مع تنورة فضفاضة. «هذا كثير جداً عليّ. التقيتُ أخيراً رجلاً واحداً لا يشبه ذلك، لكنه الآن يعيش في الهند. لم أشعر بأنه يهذدني. ولم يحاول أن يلمسني أو يجزبني».

«ثمة نوعان من الرجال»، قالت كاميلا.«الحمقى الذين يخرجون على الملأ لكي نرفضهم، أو أولئك الذي يقعون في غرامك على الفور. هذا يدعو

للشفقة».

«ما نوعية الرجال الذين يقعون في الغرام على الفور؟» تساءلت كيتي.

«أوه، أنتِ تعرفين»، قالت كاميلا. «سكوتي. كابوت دونكان. داش بيترز». كابوت دونكان كاتب جنوبي، في الثلاثين من العمر، يقضي وقته مع الفتيات. داش بيترز وكيل معروف من هوليوود، ارتبط بعلاقات غرامية كثيرة، وحطم قلوب العذارى، اللّواتي في الثلاثين من أعمارهن، الناجحات في أعمالهن، الجميلات في ملامحهن.

«سبق أن أقمتُ علاقة مع داش بيترز أيضاً»، قالت تيسي. لمستْ ظاهر شعرها الأسود القصير. «ظلّ يصرّ على قضاء اللّيل معه في فندق مارك. أرسل لي سلال الورد، كلّها بيضاء اللون. كان يتوسّل إليّ للمجيء إليه، وأخذ السونا معه. ثم أرادني أن أذهب معه إلى حفلة غيبية، في الهامبتون، لكنني رفضت ذلك».

«التقيتُ به في جنوب فرنسا»، قالت كاميلا. أحياناً، كانت كاميلا تتحدّث بلكنة أوروبية مصطنعة، غريبة، وكانت تستخدمها الآن.

«هل اشترى لكِ أي شيء؟» سألت تيسي، محاولةً أن تبدو عفوية.

«ليس الشيء الكثير»، قالت كاميلا. ثم أومأت بيدها للتادل. «هل تُحضر لي، من فضلك، كأس مارغريتا أخرى مثلّجة؟» سألت. «هذه الكأس ليست باردة كما ينبغي». عادت ونظرت إلى تيسي. «بعض ماركات شانيل».

«ملابس أم أكسسوارت؟».

«ملابس». قالت كاميلا. «أملك للتو العديد من حقائب شانيل. بث أضجر منها».

ساد صمتٌ للحظات، ثم تكلّمت شيلوه.

«لم أعد أخرج إلاّ نادراً. لم أعد أستطيع التحمّل. بث روحانيةً جداً». قطعة رقيقة من جلد غير مدبوغ تتدلّى من رقبتها، مربوطة حول زمزدة صغيرة من الكريستال. ما أوصلها إلى حافة الانهيار لقاء مع ممثل سينمائي مشهور، في أوائل الثلاثين من عمره، كان قد رأى صورتها في مجلّة، وتحرّى الوكالة التي تعمل لها. أوصلوا لها رقم هاتفه، ولأنها كانت قد رأت للتو فيلماً له، وظنّت أنه جذّاب، اتّصلت به. دعاها لقضاء أسبوعين معه، في منزله في لوس أنجلس. ثم أتى إلى نيويورك، وبدأ سلوكه يميل للغرابة. كان يرفض الخروج، إلاّ إلى نوادي العاريات، حيث كان يحاول أن يجعل النساء هناك يفعلن له أشياء بالمجّان، «لأنه كان مشهوراً»، كما قالت شيلوه.

وضعت كيتي مرفقيها على المنضدة. «قبل بضع سنوات قلتُ لنفسي تعرضتُ للاستغلال مرات عديدة. لذلك قررتُ أن أنزع عذرية رجل ثم أتركه. تصرفت بطريقة سيئة جداً. لكنه كان في الحادية والعشرين، وهذا يعني أنه لا يمكن أن يكون محتفظاً بعذريته، فاستحق ذلك. كنت عذبةً معه في البداية، ثم قررتُ أن لا أتحدث إليه أبداً. لايهم كم أنت جميلة. إذا كان بإمكانك تحديد الشخص الذي يرغب بك، تستطيعين الوصول إلى غايتك».

«إذا جاء رجل وقال لي: أحب جوارب الشبك وأحمر الشفاه الأحمر، أرى ذلك بمثابة إشارة إلى غمري بالاكسسوارت»، قالت تيسي.

«لو كان هوبرت فتاة، لكان أكثرهن رخصاً وابتذالاً»، قالت كيتي. «قلتُ نعم، سوف أرتدي تنانير ضيقة، لكنني سوف أرتدي تحتها ملابس داخلية. في إحدى المرات، وجب علي صده كلّياً. لكنه استمز بمضايقتي، ودفعي للنوم معه، ومع امرأة أخرى. في نهاية المطاف، كان لي صديق مِثلي، اسمه جورج، وكنا نتبادل القبل أحياناً، ولكن كما يفعل الأطفال. قلت له: حبيبي، جورج قادم، وسوف يقضي الليلة هنا. وكان لسان حال هوبرت يقول: أين سوف ينام؟ قلتُ: أوه، أظن في السرير، معنا. ويجب أن تؤدي دور المتلقي. شعر بالانسحاق تماماً. قلتُ: حبيبي، إذا كنت حقاً تحبني، يجب أن تفعل ذلك من أجلي. لأن هذا ما أريده بالضبط. حسناً»، قالت، بعد أن طلبت كأساً أخرى. «لا بد أن يحدث هذا، خاصة أننا وصلنا إلى مستوى ما من المساواة».

«مرحباً، كيتي»

«الرجال المسنون فظّون» قالت كاميلا. «لن أخرج البتة معهم، بعد الآن. قبل بضع سنوات، أدركتُ ذلك، وقلتُ لماذا علي أن أخرج مع هؤلاء الرجال المسنين الأغنياء القبيحين، إذا كان بمقدوري أن أخرج مع شبان أغنياء رائعين؟ فضلاً عن أن هؤلاء المسنين لا يفهمونك. مهما ظننت أنهم يفهمونك. إنهم من جيل آخر».

«لا أعتقد أن الرجال الكبار في السن سيئون إلى هذا الحد»، قالت كيتي، «بالطبع، حين اتصل بي هوبرت، وقال إنه يريدني أن أخرج معه، خطر لي أن أقول له: كم عمرك، وكم من الشعر بقي على رأسك؟ كان عليه حقاً أن يستميلني. حين جاء أول مرة للقائي، خرجتُ من دون مكياج، وكان شعري قذراً. كان لسان حالي يقول إذا كنت تريدني بهذه الاستماتة،

فانظر إلي، على حقيقتي. بعد ذلك، في الليلة الأولى التي أمضيتها معه، استيقظت في الصباح التالي، ووجدت أنه أحضر إلى كلّ غرفة باقة من الزهور البيضاء المفضلة لي. واكتشف مؤلفي المفضل، وأحضر جميع الكتب». على المرآة، كتب برغوة الحلاقة، «مرحباً، كيتي».

صرخت النسوة. «هذا رائع»، قالت تيسي. «إلي أحب الرجال».

«أحب الرجال أيضاً، لكنني أحتاج أحياناً لاستراحة، بعيداً عنهم»، قالت شيلوه.

«يحب هوبرت سلوكي حين يكون فوضوياً»، قالت كيتي. «يحبه حين أشتري الكثير من الملابس، ولا أستطيع أن أدفع الفاتورة. يحب أن يتدخل ويعتني بكلّ شيء».

«الرجال محرومون، ونحن نمثل آلهات العطاء»، قالت كيتي بنبرة منتصرة. كانت على وشك إنهاء كأسها الثانية. «من جهة أخرى الرجال... أكثر كبراً، أكثر اتساعاً. هم السلوى».

«يعطونك أشياء لا تستطيع النساء أن يعطينها» قالت شيلوه، موافقة. «ينبغي على الرجل التكفل بعشيقته».

«يجعلني هوبرت أشعر حقاً بالأمان. يتيح لي أن أعيش طفولةً لم أعشها أبداً»، قالت كيتي. «أنا لا أوافق أبداً على هذه الفكرة النسوية كلياً. يحتاج الرجال لأن يكونوا مهيمنين - ليكن لهم ذلك. تمسكي بأنوثتك».

«أعتقد يمكن أن يصبح الرجال معقّدين، لكنني أعرف دائماً أن ثقة رجلاً آخر في مكان ما، إذا فشلت علاقتي مع غيره»، قالت تيسي. «لا يوفر الرجال حصانة عالية».

«النساء الأخريات هن المشكلة»، قالت كاميلا.

«رغم أنني قد أتعرض للذم، لكن أن تكوني جميلة، يمنح قوة لا شك فيها، حتى إنك تستطيعين الحصول على كل ما تريدين»، قالت كيتي. «والنساء الأخريات يعرفن ذلك، وهن لا يضمرن لك المحبة بسبب ذلك، وخاصة النسوة الأكبر سناً. يظنن أنك تقومين بغزو أراضيهن».

«بالنسبة للكثير من النساء، حين يبلغن الثلاثين، يبدأن الشعور بأعمارهن»، قالت كاميلا. «الرجال هم الذين أسبغوا هذا الوشم على النساء. بالطبع، المرأة التي تشبه كريستي برينكلي لن تواجهها أية مشكلة».

«لكن يصبحن حقاً لئيمات»، قالت كيتي. «تسمعين تعليقاتهن. النساء يحسبن أنني مجرد معتوهة، وأنني لا أعرف شيئاً، وأنني غبية، وأنني

أرافق هوبرت بسبب أمواله. هذا يزيدني حقداً، ويدفعني إلى ارتداء تنانير أقصر ووضع المزيد من الماكياج».

«لا أحد يكلّف نفسه عناء السؤال. هن فقط يفترضن الأمور»، قالت تيمي.

«النسوة حسودات عموماً»، قالت شيلوه. «هذا لا علاقة له بأعمارهن. إنه أمر مثير للقرف. ما إن يشاهدن فتاة جميلة، حتى يأخذن موقفاً. هذا محزن جداً، وصادم حقاً. هذا ينبئ بالكثير عن المرحلة التي وصلتها النساء في حياتهن. إنهن لا يشعرن بالأمان أو السعادة حيال محيطهن، ولا يستطعن التحفل إذا كانت الأخريات أفضل منهن».

«هذا هو السبب في أن معظم أصدقائي هم من الرجال». النسوة الثلاث الأخريات على الطاولة، نظرن حولهن، وأومأن بالموافقة.

ماذا عن الجنس؟ سألت إحداهن.

«أقول لكل رجل أقابله إنه يملك أكبر عضو رأيته في حياتي»، قالت كيتي. ضحكت الأخريات، ببعض العصبية. ارتشفت كيتي الرشفة الأخيرة من المارغريتا مستخدمةً القشة. «إنها مسألة بقاء»، قالت.

14 صورة ناتئة لعارض أزياء الملابس الداخلية: «العظم» يبرز من لوحة الإعلانات العملاقة

باب يُفتح أعلى الدرج، ويظهر، واقفاً، في ردهة شقته، الشاب الملقب بـ «العظم»، وهو ممثل صاعد، وعارض أزياء للملابس الداخلية. كان يرفع إحدى ذراعيه، عالياً، ويستند بظهره إلى إطار الباب، بينما شعره البني الأدكن ينسدل فوق وجهه. يضحك وهو يشاهدك تلهثين، صاعدة الدرج الشاهق.

«إنك دائماً في حالة حركة»، يقول، وكأن كل ما يريد أن يفعله هو أن يستلقي في الفراش، طوال اليوم. تتذكرين ما يقوله دائماً صديقه، كاتب السيناريو، ستانفورد بلاتش: «يبدو العظم كأنه يسافر دائماً مع مخرج إضاءته». بعدئذٍ، تصبح الأمور مبالغاً فيها: ينبغي أن تشيحي ببصرك.

«العظم هو المعادل الإنساني لمعطف فرو السمور»، يقول ستانفورد. في الآونة الأخيرة، ثابر ستانفورد على الحديث عن العظم. يرن الهاتف، وترفعي السماعة، إنه ستانفورد. «من هو الأكثر جاذبية؟ العظم أم كينو ريفز؟» تتنهدين. ورغم أنك لا تعرفين حقاً من يكون العظم، ولا تكترثين لذلك، تقولين، «العظم».

ربما كان هذا، جزئياً، بسبب شعورك بالذنب. تدركين أنه يجب عليك أن تعرفي من يكون: إنه ذاك الرجل المرسوم - صاحب العضلات، العاري تقريباً - على تلك اللوحة العملاقة، في ساحة تايم سكوير، وصورته منتشرة على جميع الباصات. لكنك لا تذهبين أبداً إلى تايم سكوير، ولا تعيرين انتباهاً للباصات، إلا عندما تكون على وشك أن تدهسك.

لكن ستانفورد يظل يلح عليك. «كنت أنا والعظم، نمشي بمحاذاة لوحته الإعلانية منذ أيام»، يقول، «وأراد العظم أن يأخذ قطعة منها ويحتفظ بها في شقته، ولنقل أنفه مثلاً. لكنني قلت له إن عليه أن يأخذ ذاك النتوء البارز على بنطلونه. بهذا، حين تسأله النساء كم طوله، يمكن أن يقول أربعة عشر قدماً».

«فعل العظم أجمل شيء اليوم»، يقول ستانفورد، «حاول أن يأخذني معه إلى العشاء. قال: ستانفورد، لقد فعلت الكثير من أجلي، وأريد أن أفعل شيئاً من أجلك. قلت: لا تكن أحمق. ولكنه، كما تعرفين، هو الشخص الوحيد الذي دعاني إلى العشاء في حياتي كلها. هل يمكن أن تصدقي أن يكون شخص بهذا الجمال، مهذباً هكذا؟».

توافقين على لقاء العظم.

«سوف تصبح نجماً»

حين قابلت العظم للمرة الأولى في حانة بويري، وستانفورد إلى جانبه، وددت أن تكرهيه. إنه في الثانية والعشرين. وعارض أزياء. إلخ. ينتابك شعور قوي بأنه يريد أن يكرهك هو، أيضاً. هل يريد أن يكون غبياً حقاً؟ إضافة إلى ذلك، لا تعتقدين بأن رموز الجنس هم جذابون حقاً، في الواقع. آخر هؤلاء الذين التقيت بهم كان يشبه الدودة. حرفياً.

ولكن ليس هذا الرجل. إنه ليس بالضبط كما يبدو عليه.

«لدي شخصيات مختلفة مع أناس مختلفين»، يقول.

ثم تفقدينه في الزحام.

بعد شهرين آخرين، تجدين نفسك في حفلة عيد ميلاد عارض الأزياء ذاك، في حانة باروكو، وهناك تلتقين بالعظم. كان يقف وسط الغرفة، متكئاً على البار، ويبتسم لك. ويلوح بيده. تتوجهين نحوه. يضرّ على عناقك، ويصرّ المصوّرون على التقاط صورة لك. بعدئذ، ولسبب ما، تجدين نفسك تجلسين قبالته على الطاولة. أنت وصديقك تنخرطان في جدل عميق، حامي الوطيس، لا نهاية له.

يستمر العظم في الانحناء، وسؤالك هل أنت بخير. وتقولين نعم، ظناً منك أنه لا يفهم أنك أنت وصديقك دائماً تتحدثان معاً بتلك الطريقة.

ستانفورد، الذي يعرف كلّ شخص في هوليوود، يرسل العظم إلى لوس أنجلس، للتمرّن على أدوار صغيرة في الأفلام. «الجميع يتحدثون عنك»، يقول. «أنت عظيمٌ جداً. سوف تصبح نجماً. هل قلتُ هذا ما يكفي من المرات؟ أنت نجمٌ، أنت نجمٌ، أنت نجم».

يضحك ستانفورد. «إنه يقلّدني»، يقول.

أنت والعظم تسكران معاً في حانة بويري.

علامة ممتاز سهلة

يسكن العظم في شقة صغيرة، يغلّفها البياض في كلّ شيء: ستائر بيضاء، وشراشف بيضاء، ولحاف أبيض، وكرسي طويل أبيض. حين

تكونين في الحمام، تنظرين لترى ما إذا كان يستخدم مراهم خاصة للتجميل. لا يستخدم.

شب العظم وترعرع في دي موين، ولاية أيوا. والده كان معلّم مدرسة. ووالدته ناظرة المدرسة. في المدرسة الثانوية، لم يكن العظم يخرج مع الصبيان المشاغبين. اعتاد الحصول على علامات ممتاز دائماً، وكان يعلّم الأطفال الصغار، بعد انتهاء دوام المدرسة. كانوا جميعاً يرون فيه المثل الأعلى.

لم يخطر في بال العظم أبداً أن يصبح عارض أزياء، ولكن حين كان في الصف الثامن، انتخب كأكثر الشبان وسامةً. أراد في السرّ أن يفعل شيئاً مثيراً، مثل أن يصبح مفتشاً. لكنه ذهب إلى جامعة أيوا ودرس الأدب لمدة سنتين. هذا ما كان يرغب به والده. أحد أساتذته كان شاباً وسيماً، وحين طلب العظم لاجتماع، جلس بالقرب منه، ووضع يده على ساقه. مرّر يده على الفخذ فوق بنطلون العظم. «هذا يمكن أن يكون علامة ممتاز سهلة لك»، قال. لم يرجع العظم إلى صفه أبداً. بعد ثلاثة اشهر أخرى، غادر الكلّية نهائياً.

منذ فترة ليست بالبعيدة، اعتاد أحدهم الاتصال بشقّة العظم وترك رسائل لا تتضمن سوى الموسيقى. في البداية، كان يستمع للأغاني، لأنه كان يظنّ أن الأغاني ستتوقّف وسيبدأ أحد أصدقائه الحديث. الآن، يستمع إلى الأغاني بحثاً عن إشارة ما. «أعتقد أنه رجل»، يقول.

طفولة في أيوا

تستلقين على السرير مع العظم كأنكما في الثانية عشرة من العمر (تنبطحان على معدتكما، وترفعان ساقيكما فوق الحافة)، وتقولين، «احك لي قصة». يقول، «القصة التي أفكّر بها، والتي تلخ علي كثيراً في الآونة الأخيرة، تتعلّق بصديقتي، ما قبل السابقة».

حدث ذلك في صيف عام 1986، وكان العظم في الرابعة عشرة. إنه أحد أيام الصيف في أيوا، حيث السماء صافية، وحقول الذرة خضراء جداً. وأينما تجوّلت بسيارتك مع أصدقائك، ترى أعواد الذرة تكبر وتنمو.

ذهب العظم مع عائلته إلى مهرجان الولاية. كان يتجول في معرض المواشي مع صديقه حين رآها. كانت تمشط عجلةً صغيرةً، فأمسك بيد صديقه وقال له: «تلك ستكون زوجتي!».

لم يرها ثانية طوال عام كامل. بعدئذ، ذات مساء، وبينما كان يحضر إحدى حفلات الرقص الشبابية التي تقام في البلدات لإبعاد الشبان عن المشاكل، رأى الفتاة هناك. تشاكل معها في إحدى أماسي عيد الميلاد. «وجدتُ نفسي مرفوضاً، ومنبوذاً منها»، يقول. «هذا يؤلم حقاً بطريقة غريبة».

بعد مضي عام ونصف، حين قررت أن تعود إليه، رفض أن يتنازل. «رغم أنني كنت أتوق بشدة للعودة إليها»، يقول. «لكنني، ذات يوم، تنازلت».

ظل العظم يخرج معها، بين الحين والحين، على مدى سنوات. هي تعمل مبرمجة للحواسيب في مدينة أيوا. ولكنهما ما زالا يتحدثان معاً. ربما يتزوجها ذات يوم؟ يبتسم، وحين يفعل ذلك، تتجعد أرنبة أنفه. «يمكن أن أفعل ذلك»، يقول. «لطالما حسبتُ أنها قصة جميلة في رأسي. وتفقدني صوابي».

«العظم يقول دائماً إنه يريد أن يرجع إلى أيوا، وينجب أطفالاً، ويعمل شرطياً»، يقول ستانفورد.

«كم يبدو الأمر جميلاً ما دام لم يرجع بعد»، تقولينها، وتشعرين بالندم لأنك قلتِ ذلك.

«أعرف أنني غضابي»

أنتِ والعظم جائعان، لذا تذهبان إلى مطعم باجيلز في الساعة السادسة من مساء الأحد. شرطيتان تجلسان على زاوية الشارع، تدخنان. الناس يرتدون ملابس رياضية وسخة. العظم يأكل نصف سندويتشك من المرتديلا والجبن. «أستطيع أن آكل أربعاً من هذه السندويتشات»، يقول. «لكنني لا أفعل ذلك. حين آكل سندويتشة همبرغر، أشعر بالندم لاحقاً».

يهتم العظم لمظهره كثيراً. «أبدل ملابسي كل خمس دقائق في اليوم»، يقول. «من لا ينظر في المرآة مئات المرات قبل الخروج؟ أتنقل بين المرآتين في شقتي، ذهاباً وإياباً، كأنني سأبدو مختلفاً في كل واحدة على حدة. لسان حالي يقول، نعم، أبدو وسيماً في هذه المرآة، فهل أبدو بالوسامة نفسها في المرآة الأخرى؟».

«أحياناً أجد نفسي مشتتاً»، يقول. «تتبعثر الأفكار في رأسي كثيراً. تتزاحم، وتصبح بلا معنى».

«ما الذي يشتتك الآن؟» تسألين.

«أنفك».

«شكراً جزيلاً. إني أكره أنفي».

«إني أكره أنفي أنا أيضاً»، يقول. «إنه كبير جداً. لكنني أظن أن شكله يتوقف كثيراً على قصة شعري. منذ أيام قال ستانفورد: أحب شعرك على هذا النحو. إنه كثيف وممتلئ. إنه يجعل أنفك يبدو صغيراً». كلاكما تبالغان.

في طريق العودة، ينهرك العظم. «كتبوا أسماء الجراء بطريقة خاطئة»، يقول. تنظرين. رجل يرتدي أفرولاً، يحمل لوحة إعلانية كُتب عليها «جراء للبيع».

«هه؟» يقول الرجل. ثمة شاحنة متسخة، لونها أحمر وأبيض، تقف خلفه.

«كتبتْ كلمة جراء بطريقة خاطئة»، يقول العظم.

ينظر الرجل إلى اللوحة ويبتسم.

«انظر، إنهم يبيعون الجراء نفسها في ذاك الشارع بمئتي دولار عوضاً عن ألفين»، يقول العظم، ثم يضحك الرجل.

في ما بعد، كنتِ تجلسين على حافة السرير ورأسك بين يديك، تحدقين بالعظم الذي كان يستلقي على السرير ويده فوق حزام بنطلون الجينز.

«في لحظة واحدة تجدينني أمشي في الشارع، مطمئناً تماماً، وفي اللحظة التي تليها، يصيبني الاكتئاب من دون أي سبب»، يقول. «أعرف أنني غصابي. أرى ذلك. أشعر به. أميل كثيراً إلى تحليل ذاتي، ونقد ذاتي، ووعي ذاتي. أعي تماماً كل كلمة أقولها».

ثم يقول، «قبل أن أنطق بكلمة، أقولها أولاً في عقلي، كيلا تخرج وتكون خاطئة».

«ألا يبدو هذا نوعاً من هدر الوقت؟» تسألين.

«هذا لا يستغرق أكثر من ثانية».

يتوقف. «إن كنتُ في مكان، واقترب غريبٌ مني وسألني هل أنت عارض أزياء. أقول: كلا، أنا طالب».

«ثم؟».

يضحك العظم. «يفتر اهتمامهم»، يقول، ناظراً إليك وكأنه لا يصدق أنك لا تعرفين ذلك.

يتصل بك ستانفورد. «ترك لي العظم أحلى رسالة»، يقول. ثم يُسمعك إياها، «ستاني، هل توفاك الله؟ هل أنت ميت؟ ينبغي أن تكون ميتاً، لأنك

لا تجيب على هاتفك (ضاحكاً). اتصل بي لاحقاً».

خادم إيفانا ترمب

تحبين أن تكوني بصحبة العظم في شقته. يذكرك بنفسك وأنت في السادسة عشرة، في بلدتك الصغيرة، في كونيكتيكيت، حيث اعتدت الخروج مع ذاك الشاب، الوسيم حقاً، وكنتما تدخنان الحشيشة، وكان أهلكما يظنان أنكما تركبان الحصان. لم يعرفوا الحقيقة أبداً.

تنظرين من نافذته إلى ضوء الشمس فوق ظهور الحجارة البنية الصغيرة. «لطالما رغبتُ بإنجاب الأطفال مذ كنتُ طفلاً»، يقول العظم. «إنه حلمي».

ولكن، كان هذا قبل حين. قبل أن يحدث ما حدث للعظم. قبل الآن.

قبل بضعة أسابيع، حصل العظم على دور البطولة كممثل ثانٍ، في فيلم جماعي يضم نجوم هوليوود الشبان الوسيمين. ذهب إلى حفلة، وانتهى به المطاف، عائداً إلى منزله برفقة عشيقة أحد الممثلين، وهي عارضة سوبر. هذه ذاك الممثل بقتل العظم والعارضة السوبر معاً، لكنهما تواريا عن الأنظار آنياً. وحده ستانفورد كان يعلم أين يسكنان. يتصل ستانفورد ويقول إنه على اتصال هاتفي مستمر معه. قدمت مجلة «هارد كوبي» عرضاً مالياً سخياً للظهور، وقال لهم ستانفورد، «من تظنونه يكون - خادم إيفانا ترمب؟».

يقول العظم، «أنا لا أصدق هذا الهراء. أنا ما زلت أنا. لم أتغير. الناس يقولون لي دائماً: لا تتغير أبداً. سأتغير وأصبح من؟ نرجسياً؟ متعجرفاً؟ حقيراً؟ أعرف نفسي، حقاً، جيداً. سأتغير وأصبح من؟».

«لماذا تضحكين؟» يقول.

«أنا لا أضحك»، تقولين. «أنا أبكي».

يقول ستانفورد، «هل لاحظتِ كيف أن العظم ليس لديه عطر أبداً؟».

15 يحب فأرته الصغيرة، لكنه غير مستعد لأن يأخذها معه إلى والدته في المنزل

هذه قصةٌ عن سر صغير قذر في عالم المواعيد الغرامية. الجميع، تقريباً، كانوا هناك - على هذا الطرف أو ذاك.

رجلان كانا يجلسان في نادي برنستون يحتسيان الشراب. الوقت آخر الظهيرة. كلاهما في أوائل الثلاثين من عمرهما، وكلاهما كانا، ذات يوم، صبيين وسيمين جذابين. إنهما يفقدان الآن وسامتهما، وكلاهما زاد وزنه اثني عشر رطلاً على الخصرين، ولا يستطيعان إنقاصها. ذهبا إلى الكلية معاً، وانتقلا إلى نيويورك، بعد التخرج. إنهما صديقان حميمان، وتربطهما علاقة تكاد تكون غير اعتيادية بالنسبة للرجال. يمكنهما، في الحقيقة، التحدث عن الأشياء. مثل نظام الحمية الذي لم ينجح، والنساء.

كان والدن قد أصبح شريكاً للتو، في مؤسسة موحدة للأمور القانونية، وعقد خطوبته منذ فترة على اختصاصية بالأمراض الجلدية. مضى على علاقة ستيفن ثلاث سنوات. ويعمل منتجاً لأحد برامج المجلات على الشبكة.

خطيبة والدن ذهبت خارج المدينة لتحضر مؤتمراً طبياً. يشعر والدن دائماً بالعزلة حين يكون وحده. يذكره الأمر بتلك الأيام التي كان يعيش فيها وحيداً حقاً، على مدى شهور، قد تمتد لسنوات. وكان هذا يُرجعه إلى الذكرى ذاتها، عن المرأة التي جعلته يشعر بشكل أفضل، وما فعله بها.

كان والدن قد التقاها في حفلة تكتظ بالمدعوين الأنيقين. ولأن هذه مدينة مانهاتن، كانت الفتاة ترتدي ملابس أنيقة، قصيرة، سوداء اللون، تُظهر نهديها الكبيرين. لكن وجهها متواضع الجمال. رغم أن شعرها طويلٌ فاحم جميل، معقود في شكل خواتم صغيرة. «لها دائماً ملمح عظيم واحد»، قال والدن، وأخذ رشفة من كأس المارتيني.

ثمة شيء ما حول هذه الفتاة، ليبي. كانت تجلس على الأريكة وحدها، ولم يكن يبدو عليها أنها متضايقة. جاءت فتاة أخرى، فتاة جميلة، انحنت وهمست شيئاً في أذنها، وضحكت ليبي. لكنها لم تنهض. كان والدن يقف بالقرب من الأريكة، يحتسي البيرة من زجاجة في يده. كان يفكر بالفتاة الحلوة التي سيقترب منها، مترصداً فرصةً ما. التقطت ليبي نظرته وابتسمت. بدت ودودة. جلس، متصوراً واحة آنية.

ظل يفكر بأنه سوف ينهض ويقترب من إحدى الفتيات الجميلات، لكنه لم يفعل. ليبي درست في جامعة كولومبيا، وبعد التخرج، في هارفارد. تحدثت إليه عن القانون. أخبرته عن طفولتها، وكيف تربت مع شقيقاتها الأربع، في ولاية كارولاينا الشمالية. كانت في الرابعة والعشرين، وقد تلقت منحةً لإنجاز فيلم وثائقي. مدت يدها وأزالت شعرةً عالقة على كنزته. «لي»، قالت وضحكت. تحدثا لوقت طويل. أنهى زجاجة بيرة ثانية.

«هل ترغب بالذهاب إلى شقتي؟» سألت.

فعل ذلك. تصور أنه يعرف ماذا سيحدث. سيمارسان الجنس في الليلة الأولى، ويغادر إلى منزله في اليوم التالي، وكأن شيئاً لم يكن. مثل معظم الرجال في نيويورك، كان قد حزم أمره بخصوص المرأة. يضعها في خانة معينة - فتاة لليلة واحدة، عشيقة ممكنة، أو فتاة إثارة حازة، لمدة أسبوعين. في ذلك الوقت، كان ينام مع نساء كثيرات، ولطالما حضر مشاهد دامعة، في صالونه، وأحياناً ما هو أسوأ من ذلك.

بدون أدنى شك، ليست ليبي سوى فتاة لليلةٍ واحدة فقط. ليست جميلة بما يكفي للمواعيد الغرامية، أو للظهور معها في العلن.

«ولكن ماذا يعني هذا حقاً؟» قاطعه ستيفن.

«أنا فقط ظننتُ أنها أقبح مني»، قال والدن.

حين وصلا إلى شقة ليبي - مؤلّفة من غرفتين للنوم في إحدى الناطحات الشاهقة على الجادة الثالثة، تشاركها فيها ابنة خالتها - فتحت الثلاجة وأخرجت زجاجة البيرة. حين انحنت، وبان جسدها في ضوء الثلاجة، لاحظ أنها بدينة قليلاً. استدارت ونزعت غطاء الزجاجة، وقدمتها له. «أريدك فقط أن تعرف»، قالت. «أريد حقاً أن أمارس معك الجنس».

الفتاة الجميلة تتوزع عن قول هذا، قال في نفسه، واضعاً زجاجة البيرة جانباً، ثم بدأ يساعدها في خلع ملابسها. عض رقبتها، وأنزل سوتيانتها قليلاً من دون أن يفكها. نزع بنطلونها الضيق. لم تكن ترتدي تحته ملابس داخلية. ذهبا إلى غرفة النوم.

«وجدتُ نفسي متحرراً من كلّ ضغط»، قال والدن. «لأنها لم تكن جميلة. التوقعات متدنية، والعاطفة متأججة. لم يكن ثمة ضغط لأنني كنت أعرف أنني لن أعقد معها موعداً غرامياً، ثانيةً». خلد إلى النوم، وذراعاه تحيطان بها.

«في الصباح التالي»، قال والدن، «استيقظتُ وشعرت بالراحة. وباسترخاء كبير. كان قد مضى علي وقتٌ لا بأس به وأنا أشعر بعذاب

شديد، ولكن مع ليبي، شعرتُ فجأةً بالسلام. إنه أول ارتباط عاطفي صادق أعيشه منذ مدة طويلة. شعرتُ بالذعر على الفور، وكان عليّ أن أغادر».

مشى إلى منزله، واضعاً يديه في جيبيه. كان الطقس شتاءً، وقد نسي قفازيه في شقتها.

«إنه دائماً الشتاء حين تحدث مثل هذه الأشياء». قال ستيفن.

«صديقان حقيقيان»

لم يرها والدن ثانيةً لعدة أشهر تالية. انكفأ ثانيةً إلى عذاباته. لو كانت أكثر جمالاً، لخرج معها. عوضاً عن ذلك، انتظر شهرين، ثم اتصل بها ودعاها إلى الغداء. كانت مخيلته تنسج صوراً فانتازية حولها منذ مدة. تناولا الغداء معاً، وأمضيا ما بعد الظهر معاً، وعاد معها إلى شقتها، ومارسا الجنس. صارا يريان بعضهما عدة مرات في الأسبوع. كانا يعيشان في الجوار نفسه، وكانا إما يذهبان إلى المطاعم المحلية لتناول العشاء، أو تعده له ليبي في شقتها. «وجدتُ سهولة كبيرة في التعبير عن عواطفي»، قال والدن. «كان بإمكاني أن أبكي أمامها. أخبرتُها عن أعمق تخيلاتي الجنسية، وكنا ننفذها بحذافيرها. تحدثنا عن علاقة ثلاثية مع إحدى صديقاتها».

«كانت تخبرني عن تخيلاتها، التي كانت في غاية الزهافة»، تابع والدن. «طلبتُ منّي أن أصفعها على كفلها. كانت لديها أسرارها، لكنها كانت عمليةً على نحو لا يُصدق. كنتُ دائماً أتساءل ما إذا كان افتقارها للجاذبية، وللمواعيد الغرامية، قد ساعدها في صياغة حياة داخلية متينة. تعلم أنك إذا كنتَ خارج أولمبياد الجمال، يمكن أن تصبح شخصاً ممتعاً للغاية».

في غضون ذلك، كانت ليبي مطاردة، بحسب والدن، من قبل «شخص قميء». لم يشعر والدن بأنه مهدّد.

قابل جميع أصدقائها، لكنه امتنع عن تقديمها لأي من أصدقائه. لم يقض معها أبداً عطلة نهاية أسبوع كاملة - ولا حتى يوماً كاملاً. لم يذهبا معاً إلى حفلة على الإطلاق. «لا أريدها أن تأخذ فكرة مغلوطة»، قال.

لكنها لم تحتج أبداً، ولم تقدم أية مطالب. في إحدى المرات سألته إن كان السبب وراء إخفائها بهذا الشكل هو أنها ليست جميلة. «كذبتُ وقلت لها: لا»، قال والدن.

«هل تعلم، إذا أغمضتُ عيني، فستستطيع دائماً أن تلبي كلّ رغباتي، بكل الطرق».

طلب والدن كأساً أخرى. «كانت تجعلني أتساءل ما إذا كنتُ أشعر بالقبح من الداخل، نتيجة تلك العلاقة».

«حسناً، كل رجل، في سره، يكره الفتيات الجميلات لأنهن هن اللواتي كن يرفضنه في المدرسة الثانوية»، قال ستيفن. كان هو أيضاً لديه قضته.

كان جد إيلين رجلاً مشهوراً في التلفزيون. صفقة كبيرة حقيقية. قابلها ستيفن خلال حفل عمل. كلاهما كانا قد خرجا إلى الشرفة لتدخين سيجارة، ثم انخرطا في الحديث. بدت خفيفة الظل. مبهجة كالمفرقعات النارية. مغرورة. كانت مرتبطة بموعد غرامي مع رجل آخر. بعد ذلك، صارت تلتقي ستيفن خلال فعاليات مرتبطة بالعمل.

«أصبحنا صديقين حقيقيين»، قال ستيفن، «وهذا، بالنسبة لي، أمر نادر مع النساء. لم أحيك مكائد جنسية حولها. كنت أخرج معها وأتحدث كرجل. كانت تكلمني عن الأفلام، وليترمان، وتعرف الكثير عن التلفزيون - معظم النساء لا يفهمن التلفزيون. إذا حاولتَ التحدث عن التفزيون مع فتاة جميلة، تراها تنظر إليك بعينين زائغتين».

ذهبا معاً وشاهدا الأفلام، ولكن «فقط كصديقين». ربما كانت تستهدفه خفيةً وإذا كانت هذه هي الحال، فإن ستيفن لم يلاحظ ذلك. كانا يتحدثان عن علاقاتهما، وعن مشاعر عدم الرضى. كان ستيفن يرى فتاةً ذهبت إلى أوروبا لمدة ثلاثة أشهر، وكان يكتب إليها رسائل قسرية، خالية من الحماسة.

ذات ظهيرة، كانا يتناولان الغداء معاً، حين بدأت إيلين تصف لقاءً جنسياً جرى أخيراً مع عشيقها. قدّمت له خدمة يدوية، مستخدمة كريم الفازلين. فجأة شعر ستيفين بانتصاب شديد. «بدأتُ أنظر إليها ككائنٍ جنسي»، قال. «ما يجب فهمه عن تلك الفتيات غير الجميلات هو أنهن يضعن الجنس على الطاولة - دون غمز أو لمز».

انفصلت إيلين عن عشيقها، وبدأ ستيفن ينتقل من علاقة غرامية إلى أخرى مع نساء كثيرات. وقد اعتاد أن يحكي لإيلين عن هذه الفتيات. ذات ليلة، كانا في مطعم، يتناولان العشاء، ومدّت إيلين جذعها نحوه، وطبعت قبلةً، على أذنه، بلسانها، ما جعله يقفز على قدميه.

ذهبا إلى شقتها ومارسا الجنس. «كان عظيماً»، قال ستيفن. «وبكل موضوعية، كان أدائي أفضل منه مع الفتيات الأخريات. عدتُ للمرة الثانية، والثالثة. كنتُ أجامعها لمدة خمس وأربعين دقيقة». منذ تلك اللحظة تطوّرت «علاقتنا» الجنسية. كانا يتفرجان على التلفزيون وهما في الفراش، ويمارسان الجنس دون أن يطفئا التلفزيون. «امرأةٌ جميلةٌ لا

تسمح لك أبداً بممارسة الجنس معها والتلفزيون يبث»، قال ستيفن. «لكن الفعل أكثر راحةً وجهاز التلفزيون يعمل. إنك لست في دائرة الضوء. نساء مثل إيلين يسمحن لك بأن تكون ذاتك».

اعترف ستيفن بأن العلاقة، من وجهة نظر إيلين، لم تكن، على الأرجح، عظيمة. «خلال الأشهر الستة التي كنا نخرج فيها معاً، ذهبنا أكثر لمشاهدة الأفلام، مما كنا نفعل حين كنا صديقين. مواعيدنا الغرامية أصبحت من أكثر الأنواع سوءاً- أكل جاهز، وأفلام فيديو. شعرتُ كثيراً بالذنب. شعرتُ بأنني سطحي. لم تكن الأفضل في شكلها، وشعرت بالسطحية لأنني كنتُ أفكر بشكلها. كانت فتاةً عظيمة».

ثم انفصلت عنه

بدأت إيلين تمارس الضغط. «متى سوف تقابل جدي»، واظبت على سؤاله. «إنه يريد حقاً أن يقابلك».

«كنتُ أريد أن أقابل جدها»، قال ستيفن. «كان شخصاً مهماً جداً. لكنني لم أستطع. حين تقابلين جد إحداهن فهذا يعني أن العلاقة حقيقية».

من أجل أن يحلّ مشكلته، بدأ ستيفن يعمل سمساراً لإيلين، محاولاً دفعها للارتباط برجالٍ آخرين. كانا يتحدثان عن رجال يمكنها أن تخرج معهم في مواعيد غرامية. ذات ليلة، ذهبت إيلين إلى حفلة، كان من المفترض أن تقابل فيها أحد أصدقاء ستيفن. لكن ذاك الشخص لم يكن مهتماً بها، وشعرت بغضب شديد. ذهبت إلى شقّة ستيفن، ومارسا الجنس.

بعد مضي أسبوعين، قابل ستيفن فتاة، شابة، في وقت متأخر من إحدى اللّيالي في معرض صغير في ترايبكا. قذمها، على الفور، إلى أهله، رغم أنه لم يكن خاض معها في أحاديث تشبه تلك التي اعتادها مع إيلين. واستمرّ ينام مع الفتاتين، مستفيداً من المعرفة التي تحصّل عليها من إيلين، حيث راح يطبقها مع الفتاة الجديدة. أرادت إيلين أن تعرف ما كان يحدث. ماذا كانا يفعلان. وكيف حال الفتاة الجديدة في السرير، وكيف كانت تتصرّف، وعن أيّ شيء كانا يتحدّثان.

ثم انفصلت عنه. ذهبت إلى شقّة ستيفن، بعد ظهر يوم الأحد. تشاجرا بعنف، وعلا صراخهما. وراحت تلكمه بعنف. «وتُمطرني، حرفياً، باللّكمات»، قال ستيفن. غادرت، لكنها اتّصلت بعد أسبوعين.

«تصالحنا على الهاتف»، قال ستيفن، «وذهبت إلى منزلها لأجل الغاية الاعتيادية. ولكن حين وصلنا إلى اللحظة الحاسمة، طردتني من السرير. لم أغضب منها. كنت غاضباً أكثر من نفسي بسبب ذلك، لكنني احترمتها أيضاً. قلت في نفسي، أحسنت صنعاً».

وضع والدن ركبته قبالة طاولة البار. «بعد مضي ستة أشهر، لم أعد أرى ليبي، ووجدت خطيباً. اتصلت بي وقالت إنها سوف تتزوج».

«كنت مغرماً بإيلين لكنني لم أخبرها بذلك أبداً»، قال ستيفن.

«كنت أنا مغرماً أيضاً»، قال والدن. «مغرماً بطريقة سوقية بحتة».

ثمة أشياء أكثر سوءاً من مجرّد كونك في الخامسة والثلاثين، وعازبة، وأنثى، في نيويورك. مثلاً: أن تكوني في الخامسة والعشرين، وعازبة، وأنثى، في نيويورك.

إنها شعيرة المرور التي تتمنى قلّة من النساء تكرارها. إنها تتعلق بالنوم مع الرجال غير المناسبين، وارتداء الملابس غير المناسبة، والسكن مع زميلة الغرفة غير المناسبة، وقول الشيء غير المناسب. أن يجري طردك، أو تجاهلك، أو أن لا تؤخذي على محمل الجد، وأن تُعامَلي، في العموم، كحثالة. لكن هذا ضروري. وبالتالي إذا تساءلت كيف تنتهي حال نساء نيويورك العازبات، اللواتي في عمر الخامسة والثلاثين، حسناً، نساء نيويورك العازبات، اللّواتي في عمر الخامسة والثلاثين، يقرأن الحالة.

قبل بضعة أسابيع، التقت كيري، مصادفةً، بالفتاة سيسي، وهي مساعدة مصمم زهور، في الخامسة والعشرين من عمرها، خلال حفلة من حفلات لويس فيتون. كانت كيري تحاول أن تقول مرحباً لخمسة أشخاص في وقت واحد، حين خرجت سيسي وتجسّدت أمامها، من نصف ظلام مطبق. «هاي»، قالت، وحين نظرت كيري من خلف كتفها، قالت ثانية، «هاي». ثم حدّقت باتجاهها.

كان على كيري أن تستدير، مشيحةً بوجهها عن محرّر الكتب الذي كانت تتحدّث إليه. «من، سيسي؟» سألت. «ما الأمر؟».

«لا أعرف. كيف حالك؟».

«أنا بخير. ممتازة»، قالت كيري.

«ماذا تفعلين هذه الايام؟».

«الشيء الاعتيادي». كان محرّر الكتب على وشك الحديث إلى شخص آخر. «سيسي، أنا...».

«لم أرك منذ وقت طويل»، قالت سيسي. «اشتقتُ إليك. تعلمين أنني من أشدّ المعجبات بك. بعض الناس يقولون إنك مجرد عاهرة، ولكني أقول: كلاّ، إنها واحدة من أعزّ صديقاتي، وهي ليست كذلك. إني أدافع عنك».

«شكراً».

ظلّت سيسي واقفة هناك، تحدّق. «كيف حالك؟» سألت كيري.

«عظيمة»، قالت سيسي. «في كل ليلة أرتدي أجمل ملابسي وأخرج، لكنني لا أشد انتباه أحد، فأعود أدراجي إلى المنزل وأبكي».

«أوه، سيسي»، كيري قالت. ثم أردفت: «لا تشغلي بالك. إنها مجرد مرحلة وتمر. اسمعي الآن، يبنغي أن...».

«أعرف»، قالت سيسي. «لا تملكين وقتاً لي. لا بأس. سوف أتحدث إليك في ما بعد». ثم غادرت.

سيسي يورك وصديقتها كارولين إيفرهاردت فتاتان في الخامسة والعشرين من العمر، ومثلهما مثل الكثير من النساء في الخامسة والثلاثين، الآن، أتتا إلى نيويورك، بحثاً عن عمل وحياة.

كارولين إيفرهاردت كاتبة عن الحياة الليلية لمصلحة منشورة محلية. أتت إلى هنا من تكساس، قبل ثلاث سنوات. إنها واحدة من تلك الفتيات اللاتي يتمتعن بملامح جميلة، بدينة بعض الشيء، لكنها لا تكترث لذلك - على الأقل ليس إلى درجة تجعلك تشعر بأنها تكترث حقاً.

سيسي هي على النقيض من كارولين. شقراء، رقيقة العظم، وتقاطيع وجهها دقيقة وناعمة، لكن أغلب الناس لا يلاحظون ذلك، لأنها غير مقتنعة بأنها جميلة. تعمل سيسي مساعدة ليورغي، مصمم الزهور المشهور، المحب للعزلة.

أتت سيسي إلى نيويورك قبل عام ونصف من فيلادلفيا. «في ذلك الوقت، كنت مثل ماري تايلر مور الصغيرة»، تقول. «كنت، في واقع الأمر، أحمل قفازات بيضاء، وأخفيها في جزداني. خلال الأشهر الستة الأولى، لم أخرج أبداً. كنت أخشى كثيراً على عملي».

أما الآن؟ فـ «لسنا فتيات مهذبات. التهذيب ليست مفردة تنطبق علينا»، تقول سيسي، بلكنة أهل الساحل الشرقي، ونبرة صوت تنجح في أن تكون جذابة وحيادية.

«إننا نجرح مشاعر الناس الآخرين طوال الوقت»، تقول كارولين.

«كارولين معروفة بمزاجها الحاد جداً»، تقول سيسي.

«وسيسي لا تتحدث أبداً إلى الناس. تكتفي بالنظر إليهم شزراً».

ألف ليلة وليلة

كارولين وسيسي صديقتان حميمتان، تربطهما صداقة الأنثى للأنثى في نيويورك: عادةً بسبب أحد الزجال الحمقى.

قبل أن تلتقي سيسي، كارولين التقت سام، ابن الثانية والأربعين، الذي يعمل مستثمراً مصرفياً. ثابرت كارولين على اللحاق به، كلما قررت الخروج. وكان لسام عشيقة سويسرية، تسعى لإيجاد عمل في البث الإذاعي. ذات ليلة، رأى سام وكارولين بعضهما في حانة سباي، وشربا حتى الثمالة، وبدأت تنشأ بينهما علاقة. التقيا مرة أخرى بالصدفة وعادا إلى شقة سام ومارسا الجنس. حدث هذا عدة مرات. بعدئذٍ زُجلت عشيقته السويسرية.

بالرغم من ذلك، استمرت «العلاقة» وفقاً للخطوط ذاتها. في كل مرة كان سام وكارولين يلتقيان، كانا يمارسان الجنس. ذات ليلة، رأته في حانة سيستم، وقدمت له خدمة يدوية في إحدى الزاويا. بعدها خرجا، ومارسا الجنس خلف حاوية نفايات في زقاق ضيق. ثم فك سام سخاب بنطلونه، وقبلها على خدها، وقال، «حسناً، شكراً جزيلاً. أراكِ لاحقاً». وراحت كارولين ترميه بالنفايات. «لن أدع هذا يمر هكذا، يا سام»، قالت.

بعد بضعة أسابيع، كانت سيسي تجلس في مطعم «كاسا لي فيم» حين رأت شخصين تعرفهما جيداً. وبرفقتهما شخص ثالث. شاب أسمر اللون، يرتدي قميصاً أبيض رقيقاً، مفتوح الأزرار، وبنطلوناً كاكياً. وأدركت سيسي أن جسده مفرٍ جداً. بدا خجولاً بعض الشيء، وبدأت سيسي تغازله. كانت تظهر بقصة شعر جديدة، وتحاول استراق النظر إليه، بين كلّ رشفة وأخرى من كأس الشامبانيا. كانوا جميعاً في طريقهم إلى حفلة عيد ميلاد فتاة في شقة تقع في حي سوهو، وقد طلبوا من سيسي أن تذهب معهم. مشوا جميعاً. استمرت سيسي بالضحك الخافت، والاحتكاك بالشاب، حتى إنه، في لحظة ما، وضع ذراعه حولها. «كم عمرك؟» سأل.

«أربعة وعشرون».

«عمرٌ مثالي»، قال.

«مثالي؟ بالنسبة لمن؟» سألت سيسي.

«بالنسبة لي»، قال.

«كم عمرك؟» سألت سيسي.

«ستة وثلاثون»، قال كاذباً.

كانت الحفلة مكتظة. وضعت البيرة في برميل صغير، والفودكا والجن في كؤوس بلاستيكية. كانت سيسي قد عادت توأ من طاولة البار حين رأت طيف امرأة يتقدم نحوها من الجانب الآخر للشقة. فتاة ضخمة، شعرها طويل فاحم، وتضع أحمر شفاه قانياً، وترتدي، بشكل لا يُفهم،

«فستاناً» طويلاً، (إذا كان بالإمكان تسميته فستاناً، قالت سيسي في نفسها) يبدو مصنوعاً من شالات حريرية مزهرة. إنه عالم ألف ليلة وليلة.

التفت الرجل واستدار بينما كانت سيسي على وشك الانضمام إليهم.

«كارولين!» قال. «أعجبني فستانك».

«شكراً، سام»، قالت كارولين.

«هل هذا هو المصمم الجديد الذي كنت تُحدثينني عنه؟» سأل سام. «المصمم الذي سوف يخيط لكِ مجموعة من الفساتين مجاناً إذا كتبت عنه؟» قال ساخراً.

«اخرس»، صرخت كارولين. واستدارت نحو سيسي. «من أنت، وما الذي تفعلينه في حفلة عيد ميلادي؟».

«هو الذي دعاني»، قالت سيسي.

«إذاً أنت تقبلين دعوات شبانٍ يصادقون فتيات أخريات، أليس كذلك؟».

«كارولين. أنا لستُ عشيقكِ»، قال سام.

«أوه، نعم. لقد نمتُ معي أكثر من عشرين مزة. ماذا عن المرة الأخيرة. عمل اليد في نادي سيستم؟».

«تقذمين خدمات يدوية في نادٍ ليلي؟» سألت سيسي.

«كارولين. أنا لدي عشيقة»، قال سام.

«زُحلت. والآن لا تستطيع أن تبعد يديك الجشعتين عني».

«لقد عادت»، قال سام. «إنها تعيش في شقتي».

«لديك عشيقة؟» سألت سيسي.

«إنك تجرح مشاعري»، قالت كارولين لسام. «هيا انصرف من هنا، وخذ قحبتك الوضيعة معك».

«لديك عشيقة؟» سألت سيسي للمرة الثانية. وظلت ترذد العبارة أثناء نزولهما على الدرج، حتى صارا في الشارع.

بعد مضي أسبوعين، التقت سيسي بكارولين، مصادفةً، في مرحاض أحد النوادي.

«فقط أردتُ أن أخبرك بأنني رأيتُ سام»، قالت كارولين، وهي تضع أحمر الشفاه. «ركع على ركبيته ويديه متوسلاً بأن أعود إليه. قال إنني متجاوزة».

«متجاوزة ماذا؟» قالت سيسي، متظاهرةً بتفقُّد كحل رموشها في المرآة.

«هل عبثت ولهوت معه؟» سألت كارولين. ثم أعادت الغطاء إلى قلم الحمرة.

«كلا»، قالت سيسي. «أنا لا أعبث أو ألهو مع أحد».

على أثر ذلك، أصبحت كارولين وسيسي من أعز الصديقات.

«أكرة ميامي»

حدث اللقاء بين كيري وسيسي، خلال هذه الفترة تقريباً، من العام الماضي، في حانة بويري. كانت كيري تجلس خلف إحدى الطاولات، في وقت متأخر، وتشعر بإحباط شديد، وظهرت هذه الفتاة فجأة وقالت شيئاً من قبيل، «أنتِ مثلي الأعلى»، و«أنتِ جميلة جداً»، و«من أين اشتريت حذاءك، لقد أعجبني كثيراً». أخجل هذا المديح تواضع كيري. «أريد أن أكون أعز صديقاتك»، قالت سيسي، بصوت احتك بها مثل قطة. «هل يمكن أن أكون أعز صديقاتك؟ أرجوك؟».

«الآن، اسمعي، ...».

«سيسي».

«سيسي»، قالت كيري، بشيء من الرصانة. «لا تجري الأمور بهذه الطريقة».

«ولم لا؟».

«لأنه مضى علي في نيويورك خمسة عشر عاماً. خمسة عشر عاماً، و...».

«أوه»، قالت سيسي، مصدومة. «ولكن هل أستطيع الاتصال بك؟ سوف أتصل بك». وسرعان ما انتقلت إلى طاولة أخرى وجلست، ثم استدارت، ولوحت بيدها.

بعد مضي أسبوعين آخرين، اتصلت سيسي بكيري. «يجب أن تأتي معنا إلى ميامي».

«إني أكره ميامي. لن تطأ قدماي ميامي أبداً»، قالت كيري. «إذا اتصلت بي ثانيةً وذكرت ميامي، فسوف أقفل الخط».

«إنك في غاية الطرافة»، قالت سيسي.

في ميامي، مكثت سيسي وكارولين، مع أصدقاء موسري الحال، من جامعة تكساس، تعرفهم كارولين. ليلة الجمعة، خرجوا جميعاً، وعادوا سكارى، ووجدت سيسي نفسها مع شاب من جماعة تكساس، اسمه ديكستر. لكنها استاءت منه في الليلة التالية، حين لحق بها، ووضع يده

حول خصرها، محاولاً تقبيلها - كأنهما زوجان أو شيء من هذا القبيل. «دعينا نصعد إلى الطبقة الثانية ونلهو قليلاً»، ظلّ يهمس في أذنها. لم تشأ سيسي أن تفعل هذا، وبدأت تتجاهله، ما جعل ديكستر يندفع، خارجاً من المنزل. عاد، بعد بضع ساعات، مع فتاة أخرى. «كيف حالكم، جميعاً»، قال، ملوّحاً بيده لسيسي أثناء مروره بالقرب من غرفة الجلوس، في طريقه إلى الطبقة الثانية مع الفتاة. أعطته الفتاة ما يشتهيه. عادا، ونزلا الدرج، وقدّم ديكستر استعراضاً عظيماً أثناء كتابته رقم هاتفها.

هرعت سيسي خارجة من المنزل، وهي تبكي، بينما كانت كارولين تدور بسيارة مستأجرة داخل مضمار المرأب. كانت هي الأخرى تذرف الدموع. كانت قد التقت توّاً سام، الذي صودف وجوده في ميامي أيضاً، وطلب منها أن تشاركه في علاقة جنسية ثلاثية مع فتاة شقراء، تعمل في نوادي العاريات، وحين قالت له كارولين، «اغرب عن وجهي»، دفعها بقوة على الرمل في ساوث بيتش، وقال، «السبب الوحيد في أنني كنت أذهب معكِ إلى أيّ مكان هو أننا دائماً كنا نلتقط صورنا في الحفلات».

الصفحة السادسة!

بعد أسبوعين لاحقين،ظهرت كارولين في خبرٍ على «الصفحة السادسة» من صحيفة (بوست)، في عمود الدردشة. ذهبت إلى إحدى الحفلات في حانة «النفق»، وحين رفض البواب أن يسمح لها بالدخول، بدأت الصراخ في وجهه. وحين حاول نقلها إلى سيارة أجرة، وجهت له لكمة، ما جعله يبطحها أرضاً. في اليوم التالي، جعلت ناشر الدورية المحلية، التي تعمل بها يتصل بحانة (النفق) لكي يطرد هذا الشخص من عمله، ثم اتصلت بـ «الصفحة السادسة». حين ظهرت المادة إلى العلن، اشترت عشرين نسخة من الجريدة.

بعد ذلك، طردت سيسي من الشقة التي كانت تتشارك بها مع محامية من فيلادلفيا - الأخت الكبرى لإحدى صديقاتها في المدرسة الثانوية. قالت المرأة، «سيسي، لقد تغيرت. أنا حقاً قلقة عليك. لم تعودي شخصاً مهذباً أبداً، ولا أعلم ماذا أفعل». صرخت سيسي في وجهها، واتهمتها بأنها تغار منها، ثم انتقلت إلى أريكة كارولين.

خلال تلك الفترة، ظهرت، لسوء الحظّ، مادة صحافية عن كيري، في إحدى أعمدة النميمة. كانت تحاول تجاهل ما كُتب عنها حين اتصلت بها سيسي، تغمرها الحماسة.

«آه، يا إلهي، أنتِ مشهورة»، قالت. «اسمكِ في الصحف. هل قرأتِ ما كُتب؟» ثم بدأت تقرأه، وكان هذا فظيعاً، ما جعل كيري تصرخ في وجهها. «دعيني أوضح لكِ شيئاً. إذا كنتِ تريدين الاستمرار في هذه المدينة، فلا تتصلي أبداً بالناس، وتقرني شيئاً مرعباً كُتب عنهم في الصحف. تتظاهرين بأنكِ لم تري شيئاً. حسناً؟ وإذا سألوكِ هل قرأت المادة، تكذبين وتقولين: كلا، أنا لا أقرأ هراءً كهذا. حتى وإن كنتِ قرأتها. هل فهمتِ؟ يا ربّ يسوع، يا سيسي»، قالت، «مع أي جانبٍ تقفين؟» بدأت سيسي تبكي، وأقفلت كيري السفاعة، وشعرت لاحقاً بالذنب.

السيد «فضلات»

«أريدُ أن أعزفكِ على شخص، وأعلم أنكِ ستقعين في غرامه، ولكن لا تفعلي»، قالت كارولين لسيسي. وهكذا فعلت.

اسفه بن، وهو في الأربعين من العمر، يعمل، أحياناً، مدير مطعم ومروّج حفلات، ومتزوج مرتين (في الحقيقة، ما زال متزوجاً، لكن زوجته عادت أدراجها إلى فلوريدا) وقد أحيل، مرات عديدة، إلى مراكز الاستشفاء والتأهيل. لم يبق أحد في نيويورك إلاّ سمع به، وحين يُذكر اسمه، يدوّر الناس عيونهم في محاجرها، ويغيّرون الموضوع. وبعد كلّ هذا الإدمان على الشرب وتعاطي الكوكايين، كان ما يزال يحتفظ ببعض الفضلات عما كان عليه سابقاً - أخاذ، مسلّ، ووسيم - وسيسي وقعت في غرام هذه الفضلات. أمضيا عطلتي نهاية أسبوع خلابتين، رغم أنهما لم يمارسا، حقيقةً، الجنس. ثم ذهبا إلى حفلة، واختفى عن أنظار سيسي، وحين بحثت عنه، وجدته يتحرّش بعارضة أزياء، في السادسة عشرة من عمرها، قدمت توّاً إلى المدينة. «إنك تثير التقزز!» صرخت.

«أوه، هيا بنا»، قال. «ينبغي أن تسمحي لي بأن أعيش تخيلاتي الفانتازية. أحلم بأن أكون مع فتاة في السادسة عشرة». افتر ثغره عن ابتسامة صغيرة، ما يجعلكِ تلاحظين أن أسنانه تحتاج إلى إعادة ترميم.

في الصباح التالي، قدمت سيسي إلى شقّته، من دون دعوة. كانت ابنته، البالغة من العمر ثلاث سنوات، تزوره. «أحضرتُ لك هدية»، قالت. كانت تتصرّف كأنّ شيئاً لم يحدث من قبل. الهدية سنجاب صغير. وضعته على الأريكة.

في غضون ذلك، كانت كارولين قد انتقلت تقريباً للسكن مع سام. ظلّت تحتفظ بشقّتها، لكنها كانت تُمضي كلّ ليلة في شقّته، وكانت دائماً تترك

شيئاً خلفها- حذاء، عطر، أقراط، كنزات مغسولة ومكوية، ستة أو سبعة أنواع من كريمات الوجه. استمر هذا على مدة ثلاثة أشهر. الليلة التي سبقت عيد فالنتاين، انفجر في وجهها. «أريدكِ أن تخرجي من هنا»، قال. «اخرجي!» كان يصرخ ويتنفس بصعوبة.

«لا أفهم»، قالت كارولين.

«لا يوجد شيء لتفهميه»، قال سام. «أريدكِ فقط، أنتِ ومتاعكِ، أن تخرجي من هنا، الآن». فتح سام النافذة وبدأ يرمي أشياءها، الواحد تلو الآخر.

قالت كارولين، «سوف أتدبر أمرك، أيها المغفل»، ثم ضربته بقسوة على مؤخرة رأسه.

استدار نحوها، «تضربينني»، قال.

«سام ...»، قالت.

«لا أستطيع أن أصدق ... أنتِ تضربينني». وبدأ يتراجع إلى الوراء. «لا تقتربي مني»، قال. مد يده بحذر وأمسك قطته.

«سام»، قالت كارولين، ومشت نحوه.

«تراجعي»، قال. أمسك بالقطة من تحت إبطيها، وجعل أرجلها مصوبة باتجاه كارولين كسلاح. «قلتُ، تراجعي».

«سام. سام». هزت كارولين رأسها. «هذا مثير للشفقة جداً».

«ليس بالنسبة لي»، قال سام. وهرع باتجاه غرفة النوم، يهدهد القطة بين ذارعيه. «إنها مشعوذة شمطاء، أليس كذلك يا بوفي؟» سأل القطة. «مشعوذة حقيقية».

خطت كارولين بضع خطوات باتجاه السرير. «لم أكن أقصد أن...».

«أنتِ ضربتني»، قال سام بصوت صبياني غريب. «لا تضربيني ثانيةً أبداً. لا تضربي سام أبداً».

«أوكي...» قالت كارولين بحذر.

قفزت القطة من بين ذراعي سام. ركضت عبر الغرفة.

«إلي، أيتها الهزة الصغيرة»، قالت كارولين. «تعالي إلى هنا، يا هزتي الصغيرة. أتريدين بعض الحليب؟» وسمعت صوت التلفزيون يستأنف بثه.

«شعر بإهانة كبيرة»

كانت كيري تعد سيسي وكارولين دائماً بأنها ستتناول العشاء معهما ذات يوم، وقد جاء أخيراً هذا اليوم. إنها ليلة الأحد. ليلتها الوحيدة التي

تعطل فيها. كانت كارولين وسيسي تجلسان خلف الطاولة، أرجلهما متصالبة، وتحزكان عصيرهما، وتبدوان أنيقتين جداً. كارولين تتحدث على هاتفها النقال. «ينبغي أن أذهب إلى عملي كل ليلة»، قالت سيسي، بنبرة توحي بالسأم. «أنا متعبة دائماً».

أغلقت كارولين هاتفها، بحركة سريعة، ونظرت إلى كيري. «يجب أن نذهب إلى تلك الحفلة هذه الليلة. وسط المدينة. العديد من عارضي الأزياء. يجب أن تأتي»، قالت، بنبرة أوحت بأنها ينبغي أن لا تذهب البتة.

«حسناً، كيف يسير كل شيء؟» سألت كيري. «أقصد أشياء مثل سام، ...».

«كل شيء على ما يرام»، قالت كارولين.

أشعلت سيسي سيجارتها، ونظرت في الاتجاه الآخر. «أخبر سام كل من التقاه أنه، هو وكارولين، لم يمارسا الجنس أبداً، رغم أن آلافاً من البشر شاهداهما يخرجان معاً. وما كان منا سوى أن ويخناه بقسوة».

«اكتشفنا أنه بدأ يلتقي بتلك الفتاة المثقلة بالأمراض، فاتصلت به وقلت: سام، من فضلك، أنا أتحدث كصديقة، اقطع لي وعداً بأنك لن تنام معها»، قالت كارولين.

«ثم رأيناهما معاً في ذلك المكان يتناولان الفطور».

«كنا نرتدي أجمل ملابسنا. كانا يرتديان بنطلونين قطنيين. ذهبنا إليهما وطلبا منا سيجارة، وقلنا لهما: سيجارة؟ أوه، من فضلكما. اطلبا واحدة من النادل».

«جلسنا بالقرب منهما. تقضدنا أن نفعل ذلك. ظلا يحاولان التحدث إلينا، لكن كارولين ظلت تجري اتصالات على هاتفها الخلوي. بعدئذ قلت: كيف حال تلك الفتاة التي رأيتك معها، في الأسبوع الماضي؟».

«شعر بإهانة كبيرة. وأرسلنا له ملاحظات قاسية، موبخة، وذكرنا حانة هيربس سيمبلكس التاسعة عشرة».

«هل هناك مكان بهذا الاسم؟» سألت كيري.

«كلا»، قالت سيسي. «ألم تفهمي اللعبة؟».

«صحيح»، قالت كيري. ظلت ساكتة، لا تنطق حرفاً لمدة دقيقة، بينما أخذت وقتاً طويلاً في إشعال سيجارتها، ثم قالت، «ماذا حل بكما؟».

«لا شيء»، قالت سيسي. «الشيء الوحيد الذي يهمني هو عملي. مثلك. إنك مثلي الأعلى».

ثم نظرت الفتاتان إلى ساعتيهما، وإحداهما إلى الأخرى.

«هل تسمحين»، قالت سيسي. «ينبغي أن نذهب إلى تلك الحفلة».

رطوبة الصيف في مانهاتن تمهد لتخيلات الزصيف الفانتازية، رقصات سكرى، حجرة النوم، وكوابيس الغرف المكيفة

نيويورك مدينة مختلفة تماماً في شهر آب. إنها تشبه العيش في أحد بلدان أميركا الجنوبية، يحكمها ديكتاتور فاسد وثمل، وتشهد تضخماً في ناطحات السحاب، وكارتلات المخدرات، والطرق المغطاة بالأتربة، وأعمال السباكة المغرقلة- حيث لا شيء سوف يتحسن أبداً، والمطر لن يهطل أبداً.

تشهد نفسية معظم أهل نيويورك تصدعات تحت الهجير. الأفكار السيئة والمشاعر السيئة تطفو على السطح. وهذه تقود إلى سلوك سيئ من النوع الذي اختص به أهل نيويورك. وهذا محاط بهالة من السزية، ويكون قبيحاً. والعلاقات تنهار. أولئك الذين ليس من المفترض أن يكونوا معاً، يصيحون معاً.

المدينة تعاني القيظ. تلك الأيام التي تصل فيها حرارة الجو إلى خمس وتسعين تكز سبحتها، الواحد تلو الآخر. الجميع مزاجه سيئ.

في القيظ الشديد، لا يمكنك أن تثق بأحد، وخاصة نفسك.

في الثامنة صباحاً، تستلقي كيري في سرير السيد بيغ. تظن أنها لن تكون على ما يُرام. في الحقيقة، هي متأكدة أنها لن تكون البتة على ما يُرام. ها هي تبكي بهستيريا على المخدة.

«كيري. اهدئي. اهدئي»، يأمر السيد بيغ. تتدحرج على الجانب الآخر، حيث وجهها يبدو غرائبياً، ويشبه قناعاً ممؤهاً.

«ستكونين على ما يُرام. ينبغي أن أذهب إلى العمل الآن. في هذه اللحظة. إنك تجعلينني أتأخر عن العمل».

«هل يمكنك مساعدتي؟» تسأل كيري.

«كلا»، واضعاً أزراره الذهبية داخل عرى قميصه المنشاة. «ينبغي أن تساعدي نفسك. تدبري طريقةً ما».

تضع كيري رأسها تحت الأغطية، وهي ما تزال تبكي. «اتصلي بي بعد بضع ساعات»، قال، ثم دلف خارجاً من الغرفة.

«طاب يومك».

بعد دقيقتين، عاد أدراجه. «نسيتُ علبة سجائري»، يقول، ناظراً إليها وهو يعبر الغرفة. كانت قد هدأت الآن.

«طاب يومك»،يقول. «طاب يومك، طاب يومك».

إنه اليوم العاشر على التوالي، من الحرارة الخانقة والرطوبة العالية.

شعائر القيظ لدى السيد بيغ

كانت كيري، في الآونة الأخيرة، تقضي وقتاً طويلاً جداً مع السيد بيغ. لديه مكيفات للهواء. هي تملك مكيفاً أيضاً، لكنه لا يعمل. طوّرا معاً نوعاً من الشعائر الصغيرة. شعائر القيظ. في كل مساء، الساعة الحادية عشرة، إذا لم يكونا معاً، يتصل السيد بيغ.

«كيف حال شقتك؟» يسأل.

«حارّة»، تقول.

«ما الذي تفعلينه إذاً؟».

«أتصبب عرقاً».

«هل ترغبين بالمجيء والنوم هنا؟» يسأل، على استحياء تقريباً.

«بالتأكيد، ولمَ لا»، تقول. تتثاءب.

تنهض من شقّتها، ثم ما تلبث أن تغلق الباب خلفها، (تمرّ بالقرب من البوّاب الذي يحدجها دائماً بنظرات كريهة،) وتقفز إلى سيارة الأجرة.

«أوه، هاي»، يقول السيد بيغ حين أتى ليفتح الباب عارياً. يقولها نصف نائم، وكأنه فوجئ بقدومها.

ذهبا إلى الفراش. برنامج ليترمان أو لينو. للسيد بيغ نظّارتان. يتناوبان على ارتدائهما.

«هل خطر لك مرّة أن تشتري مكيفاً جديداً؟» يسأل السيد بيغ.

«نعم»، تقول كيري.

«يمكنك الحصول على واحد جديد بمبلغ مئة وخمسين دولاراً».

«أعلم. سبق أن أخبرتني».

«حسناً، كل ما في الأمر أنك لا تستطيعين أن تقضي اللّيل دائماً هنا».

«لا تقلق بهذا الخصوص»، تقول كيري. «الحرارة لا تزعجني».

«لا أريدك أن تشعري بالحرارة في شقتك»، يقول السيد بيغ.

«إذا كنت تدعوني فقط لأنك تشعر بالأسف تجاهي، فلا تفعل»، تقول كيري. «أريد فقط أن أزورك حين تشتاق لي. حين لا تستطيع النوم من دوني».

«أوه. سأشتاق إليك، بالتأكيد. بالطبع سأشتاق إليك»، يقول السيد بيغ. ثم بعد بضع ثوانٍ، «هل لديك نقود كافية؟».

تنظر إليه كيري. «الكثير»، قالت.

نيوبرت الأخرق

ثمة شيء حول موجة الحرارة هذه. إنها تسبب الارتخاء. تشعر تقريباً كأنك ثمل، رغم أنك لست كذلك. في الشطر الشرقي الأعلى، ترتفع هرمونات نيوبرت. يريد أن ينجب طفلاً. في الزبيع، زوجته، بيلي، كانت قد أخبرته أنها لا يمكن أن تصبح حاملاً في الصيف، لأنها لا تريد لأحد أن يراها في المايوه. الآن تقول إنها لا تستطيع أن تصبح حاملاً في الصيف لأنها لا تريد أن تُصاب بمرض صباحي اثناء الحرارة الشديدة. ذكرها نيوبرت، بوصفه مستثمراً مصرفياً، أن تقضي أيامها خلف الواجهات الزجاجية الخضراء، في برج المكاتب المكيفة. ولكن من دون فائدة.

بينما يُمضي نيوبرت أيامه، تراه يتجوّل في أرجاء الشقّة، مرتدياً بنطلوناً قصيراً للملاكمة، منتظراً وكيله لكي يتصل ويبلغه أخباراً عن روايته. يشاهد برامج ترفيهية. ينقر على بشرته المتصلّبة بأدوات مثلّمة. يتصل ببيلي عشرين مرة في اليوم. إنها دائماً جميلة. «مرحباً، حبيبي»، تقول.

«ما رأيك بملاقط ستانلس من ماركة ريفلون، مع أطراف صقيلة؟» يسأل.

«أظن أنها يمكن أن تكون رائعة»، تقول.

ذات ليلة، خلال موجة الحرارة الشديدة، تقيم بيلي عشاء عمل لبعض زبائنها. هم يابانيون. ثمة الكثير من الانحناء والمصافحات بالأيدي، ثم يخرج الجميع، بيلي، وخمسة رجال يرتدون البزات الرسمية السوداء، إلى مطعم سيتي كراب. في منتصف العشاء، يظهر نيوبرت بشكل غير متوقّع. إنه ثمل حقاً. يرتدي ملابس توحي بأنه ذاهب إلى معسكر للكشافة. يقرر أن يؤدي نسخته من رقصة موريس. يتناول مناديل قطنية، ويحشرها في جيوب بنطلونه الخاكي القصير. بعدئذ، يخطو بضع خطوات إلى الأمام، ملوحاً بالمناديل بكلتا يديه، يقدم ساقاً إلى الأمام، ويخطو بضع خطوات إلى الخلف، ويترك الساق الأخرى في الخلف. ثم يضيف بعض الخطوات الجانبية، التي ليست، تقنياً، جزءاً من رقصة موريس.

«أوه، هذا زوجي»، تقول بيلي لزبائنها. وكأن هذا الأمر يجري طوال الوقت. «يحب أن يتسلّى».

يسحب نيوبرت آلة تصويرٍ صغيرة، ويبدأ بالتقاط صور الزبائن. «ليردّد الجميع كلمة أخرق»، يقول.

آكلو لحوم البشر في لي زو

كيري في مطعم جديد اسمه لي زو، تتناول العشاء مع مجموعة من الناس الذين لا تعرفهم، في الحقيقة، بمن فيهم ذلك الفتى «النكرة» واسمه را. في المطعم طاولات ثلاث، لا أحد يعيرها اهتماماً، وبالتالي يجلس الجميع على الرصيف. أحدهم يستمز في إحضار زجاجات النبيذ الأبيض إلى الخارج. ستبدأ للتو حفلةٌ في الشارع. إنها بداية موجة الحز، والناس يبدون ظرفاء جداً. «أوه، كنتُ أتشوق لرؤيتك». و«ينبغي أن أراكِ أكثر من ذلك». كيري تتحدث إلى الجميع، ولا تكره أحداً. ولا تشعر بأن أحداً يكرهها، على الأقل، فقط من أجل التغيير.

داخل المطعم، تجلس كيري بين را ومديرته المسؤولة. أحد المصورين من صحيفة «نيويورك تايمز» لا يتوقّف عن التقاط الصور للجميع. لا يتحدث را كثيراً. إنه يطيل التحديق، ويلمس لحيته الصغيرة، ويومئ برأسه. بعد العشاء، تعود كيري إلى منزل مديرة را، برفقة را والمديرة، من أجل التدخين. ويبدو هذا هو الشيء الصحيح الذي تفعله، خلال فصل الصيف، تحت هجير الحز. التبغ ثقيل. الوقت متأخر. يوصلانها إلى سيارة الأجرة.

«نسقي هذا المكان المنطقة»، تقول المديرة. وتحدق إلى كيري.

تظن كيري أنها تعرف ما الذي تتحدث عنه، وماذا تعني كلمة «منطقة»، ولماذا اجتمعوا فجأة معاً.

«لماذا لا تأتين وتقيمين معنا في المنطقة»، تسأل را.

«أحب أن أفعل هذا»، تقول كيري، وهي تعني ما تقول، لكنها كانت أيضاً تقول لنفسها، يجب أن أعود إلى البيت.

تتوجه بالسيارة إلى الشطر الشمالي من المدينة، لكنها، قبل أن تصل إلى المنزل تقول، «أوقف السيارة». تغادر السيارة، في الحقيقة، وتكمل مشياً على الأقدام. ما تزال تفكر بأن عليها أن تصل إلى المنزل. الحرارة مرتفعة في المدينة. تشعر بالقوة. مثل حيوان مفترس. ثمة امرأة تمشي أمامها على الرصيف، على بعد خطوات منها. إنها ترتدي قميصاً أبيض فضفاضاً، يشبه الزاية البيضاء، وهذا ما أثار حفيظة كيري. فجأة تشعر كيري كأنها

سمكة قرش تشم دماً. تنتابها تخيلات بقتل المرأة والتهامها. مرعبة تلك المتعة التي شعرت بها جزاء تلك التصورات الفانتازية.

ليس للمرأة العابرة أدنى فكرة بأنها مستهدفة. تمشي ساهمة على طول الزصيف. تتخيل كيري نفسها وهي تهجم على جسد المرأة الناعم البض، وتمزقه بأسنانها. هذا خطأ المرأة، إذ عليها أن تخسر شيئاً من وزنها، أو ما شابه. تتوقف كيري وتستدير عائدةً إلى بنايتها.

«مساء الخير، آنسة كيري»، يقول البواب.

«مساء الخير، كارلوس»، تقول كيري.

«هل كلّ شيء على ما يرام؟».

«أوه، نعم، كل شيء على ما يرام».

«طابت ليلتك الآن»، يقول كارلوس، ماداً رأسه داخل باب المصعد المفتوح. ويرسم ابتسامة.

«طابت ليلتك، كارلوس»، تبادله الابتسامة، مظهرةً جميع أسنانها.

الملاك الأزرق

في الحز الشديد يكون الخروج من المنزل دائماً سيئاً. لكن المكوث في الداخل، وحيداً، يكون أكثر سوءاً.

تتجول كيتي في أرجاء شقتها، في الجادة الخامسة الضخمة، حيث تعيش مع عشيقها هوبرت، الممثل، ابن الخامسة والخمسين عاماً. هوبرت يشهد عودة قوية. إنه يصور فيلماً في إيطاليا، مع مخرج أميركي شاب ومتحمس، بعدئذ سوف يذهب إلى لوس أنجلس ليصور مشاهد رئيسية في مسلسل تلفزيوني. ستلحق به كيتي إلى إيطاليا في غضون بضعة أيام، ثم ترافقه إلى لوس أنجلس. تفكر: أنا فقط في الخامسة والعشرين. ما زالت سني صغيرة على هذه الأشياء.

في الخامسة، يرن أخيراً، جرس الهاتف.

«مرحباً، كيتي؟» إنه صوت رجل.

«نعم».

«هل هوبرت موجود؟».

«كلا».

«أوه، أنا اسمي داش».

«داش»، تقول كيتي، مرتبكةً بعض الشيء. داش هو وكيل هوبرت.

«هوبرت في إيطاليا»، تقول كيتي.

«أعرف ذلك»، يقول داش. «أخبرني بأن أتصل بك، وأخرج معك حين أكون في المدينة. يظن أنك تشعرين بالوحدة».

«فهمت»، تقول كيتي. تدرك أنه ربما يكذب، وتشعر بغبطة هائلة.

يلتقيان في حانة بويري في العاشرة. يصل، بالطبع، ستانفورد بلاتش. إنه صديق داش، ولكن يجب أن نتذكر أن ستانفورد صديق الجميع.

«ستانفورد»، يقول داش. يسند ظهره إلى الخلف.

«ما المكان الجديد الذي تقترح أن نذهب إليه؟ أريد أن أضمن لفتاتي القاصر هنا وقتاً ممتعاً هذا المساء. أظن أنها تشعر بالملل».

يتبادل الرجلان النظرات. «أحب (الملاك الأزرق)»، يقول ستانفورد. «لكن تذكر أن لي خيارات وذائقة خاصة».

«(الملاك الأزرق) هو المكان»، يقول داش.

«أعرف. إنك من النوع الذي يتحدث من هاتف سيارته ويقول: هل تنتظر قليلاً من فضلك؟ إنني أمارس الجنس الآن، في (باليسادس باركوي)، وعلى وشك أن أصل الذورة»، يقول ستانفورد.

«(سنسيت بولفارد) فقط»، يقول داش.

يجلسون قبالة إحدى المنصات مباشرة. بعد وقت قليل تصل امرأة، تحمل باقةً من زهور لؤلؤية بدت كأنها قطفتها للتو من حوض على الزصيف. إنها عارية تماماً. كما أنها نحيفة جداً، مع بعض الوزن الزائد، على الوركين. «ثمة نشاز حقاً في رؤية امرأة نحيفة جداً، مع وزن زائد على الوركين»، تقول كيتي، هامسةً في أذن داش.

ينظر داش إليها ويبتسم بشهوانية. حسناً، أستطيع تحمل هذه، تفكر كيتي في نفسها. تلتقط المرأة أفعى من ريش وتبدأ بالرقص. تنزع بتلات الزهور الواحدة تلو الأخرى. إنها تتصبب عرقاً. تستلقي أرضاً وتتدحرج على المنصة الوسخة، وحين تنهض على قدميها، يعلق على جسدها فتات من ريش الدجاج، والبتلات الممزقة، والغبار. بعدئذ تفتح ساقيها، وتقترب أكثر من وجه كيتي. كيتي واثقة من أنها تشم رائحة المرأة. لكنها تقول في نفسها، حسناً، أستطيع تحمل هذا أيضاً.

ثم خرجت فتاتان أخريان. وبدأتا عرضهما. الفتاة الصغرى نتن، والكبرى تخنقها. كان باستطاعة كيتي أن ترى العروق تنفر من عنق الفتاة الصغرى. إنها حقاً تلفظ أنفاسها. أنا في نادٍ للشم، تقول كيتي في نفسها. يأمر ستانفورد بكأس أخرى من النبيذ الأبيض.

تُمسك الفتاة الكبرى بشعر الفتاة الصغرى، وتشده. تساءلت كيتي ما إذا كان عليها أن تفعل شيئاً حقاً. يقتلع شعر الصغرى، الذي اتضح أنه لم يكن

سوى شعرٍ مستعار، وتحته بدت قصة شعر قصير أحمر.

«العرض انتهى»، قال داش. «دعونا نذهب إلى المنزل».

في الخارج، كان الطقس لا يزال حازاً. «ما الذي يعنيه ذاك العرض، بحق الجحيم؟» تسأل كيتي.

«وهل كنتِ تتوقّعين شيئاً آخر؟» يقول داش.

«طابت ليلتك يا كيتي»، يقول ستانفورد بأناقة.

تصدّع

في اليوم العاشر لموجة الحر، أضحت كيري مرتبطة جداً بالسيد بيغ. مرتبطة كثيراً. تلك كانت الليلة التي عانت فيها من الانهيار. بدأ نهارها على نحو جيد: خرج السيد بيغ وحيداً إلى عشاء عمل. لا مشكلة في البداية. ذهبت إلى شقة صديقتها ميراندا. كانتا قد خططتا للجلوس في غرفة مكيفة ومشاهدة مقاطع من (Ab Fab) . بدأتا تشربان. واتصلت ميراند بالشخص الذي يُحضر لها حبوب المخدرات. استمرّت الحالة من هنا. لم تكن كيري قد رأت ميراندا منذ وقتٍ ليس بالقليل، لأنها مشغولة مع السيد بيغ، وهكذا بدأت ميراندا تستفسر عن الأمور.

«أحب أن أقابله، أتعلمين؟ لماذا لم ألتقِ به؟ لماذا لم أره؟» ثم رمت القنبلة. قالت ميراندا إنها تعرف فتاةً كانت تخرج في مواعيد غرامية، مع السيد بيغ، خلال الشهر الأول من ارتباطه بكيري.

«ظننتُ أنه رآها فقط مرة واحدة»، قالت كيري.

«أوه، كلاّ. لقد تقابلا عدة مرات. مرات عديدة. هذا هو السبب الذي جعلني لا أتصل بك، على مدى شهر. لم أكن أعلم ما إذا كان يجب أن أخبرك أم لا».

«أظن أن هذا خبر سيئ»، قالت كيري.

في الصباح التالي، وبعد معرفتها بالخبر، حين كانت تستلقي في فراش السيد بيغ، حاولت كيري أن تفكّر بما تريده حقاً. شعرت بأن الحياة قد تبدّلت، ولكن هل تبدّلت فعلاً؟ تفكّر: أنا ما زلتُ غير متزوّجة. أنا ليس لدي أطفال بعد. هل يمكن أن يحصل هذا يوماً؟

متى؟

إنها «المنطقة» أو السيد بيغ، قالت في نفسها.

في تلك الظهيرة، أرسل إليها السيد بيغ باقةً من الزهور. وتقول البطاقة: «كلّ شيءٍ سيكون على ما يُرام. حبي، السيد بيغ».

«لماذا أرسلت لي الزهور؟» تسأله كيري لاحقاً. «كانت تلك التفاتة حلوة».

«أردتكِ أن تعرفي أن ثمة شخصاً يحبكِ»، قال السيد بيغ.

بعد مضي بضعة أيام، وخلال عطلة نهاية الأسبوع، تذهب كيري والسيد بيغ إلى منزله في ويستشستر، بحيث يستطيع السيد بيغ أن يلعب الغولف. يغادر صباحاً، في وقت مبكر. تستيقظ كيري متأخرة، وتُعد القهوة. تخرج وتبدأ المشي في الباحة الخارجية. تصل حتى نهاية الشارع. ثم تعود أدراجها. تدلف إلى داخل المنزل، وتجلس.

«ماذا يجب علي أن أفعل الآن؟» تفكر، وتحاول أن تتخيل السيد بيغ في ملعب الغولف، يرمي بكرات الغولف إلى مسافات مستحيلة.

قبل بضعة أشهر، ظهر خبرٌ في صحيفة (نيويورك تايمز) يقول إن «سيندي رايان» (ليس اسمها الحقيقي) قد تزوجت. لم يكن ثمة ما هو غريبٌ أو ممتع في الخبر إلاّ للناس الذين عرفوا سيندي، وفقدوا الاتصال بها، مثلي، إذ كان وقع الخبر عليهم صاعقاً. سيندي تزوجت! وفي الأربعين! لا شك في أن هذا باعث على الإلهام.

لنتذكّر أن سيندي هي إحدى نساء نيويورك اللّواتي كنّ يبحثن عن الزواج منذ سنوات. وجميعنا نعرفهن. إنهنّ اللواتي قرأنا عنهنّ كثيراً، خلال السنوات العشر الأخيرة، الجذّابات، (لسن جميلات بالضرورة)، اللّواتي يبدو أنهنّ حصلن على كل شيء- إلاّ الزواج. سيندي تبيع الإعلانات لمجلّة للسيارات. ولها دراية بتجهيزات الصوت والستريو. إنها كبيرة الحجم كرجل. وتجيد فنون الرّمي بالأسلحة، وقد سافرت كثيراً (ذات مرة، في طريقها إلى المطار، لم يكن أمامها سوى أن توجّه لكمةً إلى سائق سيارة الأجرة الثمل، وترميه في المقعد الخلفي، وتقود السيارة بنفسها، لكي تصل إلى المطار). لم تكن تماماً الأكثر أنوثة، ولكنها لم تكن تفتقر للرّجال في حياتها أبداً.

لكنها كانت تكبر في السن، مع كلّ عام، وحين كنت ألتقيها صدفةً في حفلة كوكتيل لأحد الأصدقاء القدامى، كانت تُتحفني، وتُتحف الجميع، بقصص عن المرأة الكبيرة الحجم، التي فزت هاربةً، وعن الرجل صاحب اليخت، وعن الفنان الشهير الذي لم يكن يحصل له انتصاب، من دون أن يفرز فرشاة الرّسم في كفّه، وعن المدير العام التنفيذي، الذي نام في السرير، مرتدياً خُفاً على شكل فأرة.

لا يمكنك أن تتمالكي نفسك. تنظرين إليها وتشعرين بمزيج من الإعجاب والنفور. وحين تتركينها وتغادرين، تقولين في نفسك، لن تتزوّج أبداً. وإذا حدث وتزوّجت، فسيكون شريكها أحد المستثمرين الضيارفة المملّين، ممن يعيشون في نيوجرسي. فضلاً عن هذا وذاك، لقد تقدّمت بها السن كثيراً.

ثم تعودين إلى المنزل، وتستلقين في سريرك، ليعود الأمر كلّه ويتقمّصك، حتى إنك تُتصلين بصديقاتك، وتصبحين قطة صغيرة نزقة، وتقولين، «حبيبتي، إذا افترضنا أن حالي صارت مثل حالها، تُطلقين النار علي، هه؟».

حسناً. ماذا حدث؟ كنا مخطئات. سيندي تزوجت. إنه ليس بالرجل الذي فكرت أنها ستتزوجه، لكنها الآن أكثر سعادة مما كانت عليه في حياتها كلّها.

لقد حان الوقت. وقت التوقّف عن الشكوى من عدم وجود رجال صالحين. وقت التوقّف عن الاتصال بآلة تسجيل الرسائل، لتعرفي ما إذا كان قد اتصل بك رجلٌ. حان وقت التوقّف عن تقفص حياة الحب الحقيرة لمارثا ستيورات، حتى وإن ظهرت على غلاف مجلّة (الناس).

نعم، لقد حان الوقت أخيراً لأن تتزوجي رجلاً في مانهاتن، والأهم من هذا وذاك، هذا الأمر ممكنٌ تماماً. لذلك عليك أن تسترخي. أمامك الكثير من الوقت. مارثا، انتبهي.

ثلاث كنزات كشميرية

إنها عطلة نهاية الأسبوع، وقت الخريف، والسماء تُمطر. كيري والسيد بيغ في المطعم الذي يرتادانه عادةً في بريدج هامبتون. المكان مكتظّ، وهذا مزعج، والنادل الذي يحجز لهما الطاولة دائماً ليس هناك. وبالتالي لم يجدا سوى طاولة البار، ليجلسا خلفها، ويتناولا عشاءهما. أولاً، يريدان أن يجزيا هذا الشيء الجديد الذي جزباه في عيد ميلاد السيد بيغ - طلب وجبات أربع، كأنهما يتناولان طعاماً صينياً.

لكنّ السيد بيغ يريد أن يأكل تماماً الشيء ذاته الذي تأكله كيري، وبالتالي انتهى بهما المطاف بعشاءين توأمين.

«هل لديك اعتراض؟» يقول السيد بيغ.

«لا، ليس لدي اعتراض»، تقول كيري بنبرة صوت طفلية سخيفة، اعتادا أخيراً استخدامها معاً، وخاصة الآن.

«أنا أيضاً تعبتُ من الاهتمام».

«وأنا تعبتُ أيضاً»، يقول السيد بيغ، بصوتٍ طفلي. يحك كوعه بها، ويعطي الحركة مدلولاً آخر. «بيب، بيب»، يقول.

«مهلاً»، تقول. «هذا هو الخط. لا تتجاوزه».

«موت فجائي»، يغمغم السيد بيغ، حانياً جذعه، غارزاً شوكته في صحن معكرونتها.

«تريد موتاً فجائياً؟ سأمنحك موتاً فجائياً»، تقول كيري.

«هيا، اضربيني»، يقول. تقرصه في ذراعه وتضحك.

«ها أنتما هنا». استدارا ورأيا سامانثا جونز، تقف هناك، وتلف حول عنقها ثلاث كنزات كشميرية. «حسبث أني سأراكما هنا»، تقول. السيد بيغ يقول، «أوه، أوه». سامانثا والسيد بيغ ليسا متحابين. مزة، حين سألت سامانثا لماذا، شرحت كيري لأن سامانثا تقول دائماً أشياء لئيمة لها، والسيد بيغ لا يحب هذا. قالت سامانثا هازئة، «أظن أن بمقدورك الاعتناء بنفسك».

تبدأ سامانثا بالحديث عن الأفلام، ولم يكن أمام كيري خيار آخر- ينبغي أن تتحدث هي أيضاً عن الأفلام. وبدأت كيري تتمنى أن تذهب سامانثا لكي تتاح لها الفرصة لتتحدث مع السيد بيغ عن موضوعها المفضل- الانتقال إلى كولورادو، ذات يوم. لكنها لا تحب نفسها لأنها تتمنى أن تغادر سامانثا، ولكن، أحياناً، حين تكونين مع رجل، لا تكون أمامك خيارات كثيرة.

فاشلون وقبيحون ومملّون

«ديفيد ب. هو الذي فعلها»، قالت ترودي. ترودي هي رئيسة تحرير مجلّة تُعنى بالفتيات دون سنّ العشرين. تبلغ من العمر الحادية والأربعين، لكنها تبدو، في بعض الأحيان، فتاة حلوة في السادسة عشرة. عيناها زرقاوان واسعتان، وشعرها فاحم.

أرخت بجذعها فوق كرسيها، وأشارت بيدها إلى رفّ مكتظّ بالصور. «إلي أسفي ذاك: ترودي و...» قالت. «إنها صوري مع جميع الفاشلين الذين خرجتُ معهم يوماً. أحب أن أوثق الاشياء».

«اعتدتُ التخصص في علاقات تدومُ سنتين. فعلتُ كلّ شيء لأجعل هذا ينجح. علاج الأزواج. تحدثتُ لساعات عن مشاكل الالتزام. قاتلتُ. ثم أدركتُ، تعرفين ماذا؟ لن أستطيع أن أغير رجلاً في الأربعين من عمره، يكره النساء. هذه ليست مشكلتي.

«حذدتُ موعداً أقصى لنفسي. قلتُ ينبغي أن أتزوج حين أبلغ الأربعين. كنتُ على علاقة غرامية بديفيد ب. كان في الخمسين، وغير صادق. قلتُ له إني أريد الزواج. ظلّ يختلق الأعذار. ويمتص حماستي. كان يقول: دعينا نذهب أولاً في هذه الرحلة إلى الصين، وحين نعود، سوف نفكر بالأمر. ثم ذهبنا إلى البندقية، وكنا في غريتي بالاس، في واحدة من تلك الغرف، ذات الأباجورات الخشبية، المطلّة على غراند كانال. قال: دعينا نواجه الحقيقة، لن تجدي رجلاً واحداً في مانهاتن كلّها يريد

الزواج. وبالتالي، لماذا لا نستمر هكذا إلى الأبد. كان هذا حين قررت فسخ علاقتنا نهائياً».

حين عادت ترودي أدراجها إلى مانهاتن، نبشت جميع فاكساتها، واتصلت بجميع الرجال، في مانهاتن، ممن لم يسبق لها أن قابلتهم. «نعم، جميعهم، جميع الرجال الذين فاتتني فرصة اللقاء بهم، ممن كنت أحسب أنهم من الفاشلين، القبيحين، والمملّين، وليس على رؤوسهم شعر كثير».

«كان اسم زوجي على تلك القائمة - في آخرها»، قالت ترودي. «أتذكر أنني فكرت لو أن زواجنا لم ينجح، فما الذي سأفعله». (هذا، بالطبع، تواضع نموذجي لامرأة من نيويورك، لأن نساء نيويورك يعرفن دائماً ماذا عليهن أن يفعلن.) والحقيقة هي أن ترودي تناولت العشاء ثلاث مرات مع زوجها المستقبلي (لم تكن تعلم أنه سوف يصبح زوجها، في تلك الآونة)، وقد غاب شهرين في رحلة إلى روسيا. كان ذلك بداية الصيف، وذهبت ترودي إلى هامبتون ونسيته تماماً. وفي الحقيقة، شرعت ببناء علاقة مع رجلين آخرين.

ابتسمت ترودي وتفحصت أظافرها، «حسناً، اتصل في نهاية فصل الصيف، وبدأنا نلتقي، من جديد. الفكرة هنا هي أنه يجب أن تكوني مستعدة للمغادرة في أية لحظة. عليك أن تضعي قدمك ثابتةً على الأرض. لا ينبغي أن يظنوا أنك المرأة المسكينة المحتاجة، التي لا تستطيع العيش من دونهم، لأن هذا غير صحيح. فأنت تستطيعين».

حين يتعلّق الأمر بالزواج برجل في مانهاتن، تجب مراعاة قاعدتين اثنتين. «يجب أن تكوني حلوة»، قالت ليزا، البالغة الثامنة والثلاثين من عمرها، وتعمل مراسلة لبرنامج شبكة إخبارية. ولكن، في الوقت نفسه، قالت بريتا، وهي اختصاصية تصوير، «لا يمكنك أن تسمحي لهم بفعل كل ما يشاؤون».

بالنسبة لهؤلاء النساء، فإن العمر ميزةٌ حقاً. إذا استطاعت المرأة أن تصمد، عازبةً، في نيويورك، حتى منتصف وأواخر الثلاثين من عمرها، فالفرصة أمامها كبيرة لأن تعرف شيئاً أو اثنين عما تريد فعله. وبالتالي، حين تستهدف واحدة من هؤلاء النسوة النيويوركيات رجلاً، وتضعه في الحسبان كزوج، فليس أمامه متسع للفرار.

«عليك ان تبدئي التدريب منذ اليوم الأول»، قالت بريتا. «لم أكن أعلم أنني سوف أتزوج زوجي في البداية. كنتُ أعرف فقط أنني أريده، وأنني مستعدة لفعل أي شيء للحصول عليه. كنتُ أعرف أنني كذلك».

«لا يمكن أن تكوني مثل أولئك الفتيات الغبيات اللواتي لا يردن الزواج إلاّ برجالٍ أغنياء»، تابعت تقول. «ينبغي أن تحسبيها جيداً. عليكِ ان تتوقعي دائماً أكثر مما هو بين يديكِ. خذي باري (زوجها) مثالاً. رغم كراهيته الشديدة للأمر، إلاّ أنه لم يكن يريد فتاةً نمطيةً تلبي له كلّ ما يطلبه. وإذا استطاعت إحداهن التعزف على رجل مثله، فستكون محظوظةً جداً. إنه ذكي، وسلس، يطبخ وينظّف. وتعلمين ماذا؟ يكره هذا من أوله إلى آخره».

قبل باري، كانت بريتا امرأة تجعل عشيقها يذهب إلى متجر ليشتري لها علبة من السجائر، لتهرب من الباب الخلفي، مع رجل آخر، من خلف ظهره. «مزة اتصلتْ بباري من على قمة جبلٍ في آسبن، وشتمته لمدة عشر دقائق، لأنه كان مع عشيقة أخرى، خلال حفلة رأس السنة. كان ذلك بعد شهر واحد فقط من لقائنا، ومع ذلك فعلتُ ما فعلتُ».

بعد ذلك، عاد باري إلى رشده، باستثناء بقاء مشكلتين شائكتين اثنتين. إنه يحب النظر إلى النسوة الأخريات، ويحتج أحياناً أنه فقد مكانه الخاص، وخاصة بعد أن انتقلت بريتا للعيش معه. «حسناً، بادئ ذي بدء، كنتُ حريصةً على أن أوفر الكثير من التسلية»، تقول بريتا. «أنا أطبخ. كلانا يكسب ثلاثين جنيهاً. نسكر معاً. كلانا ينظر إلى الآخر، وهو يسكر. كلانا يعتني بالآخر أثناء لحظات التقيؤ».

«عليكِ القيام بأشياء غير متوقعة. مثلاً، ذات يوم عاد إلى البيت ووجد الشموع موزعة في أرجاء المنزل، وأعددتُ عشاءً خاصاً نتناوله أثناء مشاهدة التلفزيون. ثم جعلته يرتدي أحياناً بعضاً من ملابسي. لكن عليكِ أن تراقبي هؤلاء الرجال طوال الوقت. أنا آسفة، لكنهم يُمضون ثمانين بالمئة من وقتهم، بعيدين عنكِ. حين يكونون معكِ، يركّزون انتباههم. لماذا يبحثون عن عشيقةٍ حين يأكلون معكِ؟ في إحدى المرات، حين كانت عينا باري تسرحان، ضربته بقوة على رأسه، حتى كاد يسقط عن كرسيه، مغمى عليه. قلتُ له: خبئ لسانك داخل فمك، وذيلك بين ساقيك، وأكمل عشاءك».

الاحتفاظ به قضية أخرى تماماً. «النساء في هذه المدينة لا يعرن اهتماماً إذا تزوج الرجل أو كان مخطوباً». قالت بريتا. «ليست لديهن مشكلة في اقتفاء أثره. عليكِ أن تملكي زمام الأمور، وتكوني يقظةً طوال الوقت».

كان السيد بيغ، في بعض الأحيان، يبدو منزوياً إلى نفسه، وبالتالي لا نرى سوى السيد بيغ، على السطح. شخص ودود تجاه الجميع. وربما

الكلمة الصحيحة أنه دمث. ودائماً متحفز. أكمام بيضاء. أزرار ذهبية للأكمام. علاقات بنطلون ملائمة (رغم أنه قلما يخلع سترته). ليس الأمر سهلاً حين يكون في تلك الهيئة. لم تكن كيري دائماً لطيفة مع الناس الذين تعتقد بأنهم محافظون جداً. لم تكن معتادة هذا. كانت معتادة أن ترى الجميع ثملين، ويتعاطون المخدرات (أو لا يتعاطونها). كان السيد بيغ يفقد صوابه حين كانت كيري تقول أشياء من قبيل: لا أرتدي أية ملابس داخلية، رغم أنها ترتديها. وكانت كيري تعتقد بأن السيد بيغ لطيف جداً مع النساء الأخريات، وخاصة عارضات الأزياء. يكونان أحياناً خارجين معاً، ويأتي مصور، ويقول: هل تسمح؟ ويجدها فرصة للتقاط صورة له مع إحدى العارضات، وتلك إهانة. في إحدى المرات، جلست إحدى الفتيات العارضات في حضنه، فاستدارت كيري وقالت: «ينبغي أن أغادر»، وعلى وجهها علامات الغضب.

«إلى أين أنت ذاهبة؟» قال السيد بيغ.

نظرت كيري إلى عارضة الأزياء، «أستميحك عذراً، ولكنك تجلسين في حضن عشيقي».

«أستريح، فقط أستريح»، قالت العارضة. «ثمة فرق كبير».

«عليك أن تتعلمي كيف تتعاملين مع هذا»، قال السيد بيغ.

تسوق مقارن

ربيكا، في التاسعة والثلاثين، صحافية تزوجت في العام الماضي، تتذكر اللحظة التي عثرت فيها على رقم امرأة أخرى، مرمياً بين البطاقات التجارية لعشيقها.

«اتصلت بالرقم، وسألت تلك العاهرة مباشرةً ما الأمر»، قالت ربيكا. والأكيد أن عشيق ربيكا كان قد طلب منها الخروج معه إلى العشاء. «ضربت السقف. لم أصرخ في وجهها. لكنني أصبحت مثل أولئك الفتيات الخارجات من أحد المسلسلات المنزلية الليلية. في الحقيقة، قلت لها أن ترفع يدها عنه، وأن لا تتصل به ثانيةً. قالت: لديك شخص عظيم هناك، وعليك أن تكوني مهذبة معه. قلت: حسناً. لو كان عظيماً حقاً، كيف اتصل بك، بينما هو يعيش معي؟».

«ثم اتصلت به. كانت لديه الجرأة على أن يغضب في وجهي لتدخلي في شؤون شغله الخاصة. قلت: عليك أن تفهم شيئاً واحداً، يا صاح. لا

يوجد ما تسقيه شغلاً خاصاً. مع ذلك، وبعد مرور يومين آخرين، ظننتُ أن علاقتنا انتهت. وتجاوزنا الأمر، وطلب يدي للزواج، بعد ثلاثة أشهر أخرى».

ثمة طرق أخرى. بعد أن مز على ليزا شهران وهي ترى زوجها المستقبلي، روبرت، بدأ يشعر بالتململ.

«ماذا يكون موقفك لو أنني أخرج مع أناس آخرين»، سأل.

«أعتقد أن عليك أن تقوم ببعض التسوق المقارن»، قالت ليزا ببرودة فائقة. «وإلاّ فكيف يمكنك أن تقدر قيمتي؟ أنا لستُ سجاناً».

هذا، حقاً، سحب البساط من تحت قدميه.

«الأمر كلّه مرتبط باحترام الذات»، قالت ليزا. «على الرجال أن يشعروا بأن ثمة ضوابط، وأنك لن تأخذي شيئاً».

إحدى المشاكل المعروفة هي أن تسكني مع رجلٍ قبل أن تتزوجي به. ويمكن التغلب على هذه المشكلة من خلال إنجاز العمل بسرعة. «سمعتُ منذ فترة وجيزة هذه القصة»، قالت ترودي. «امرأةٌ تعيش مع رجل منذ سنة. ذات صباح، استيقظت وقالت: هل تنوي الزواج؟ قال الزجل: لا. قالت: هيا اخرج من هنا حالاً. طلب يدها للزواج في نهاية العطلة من ذاك الأسبوع».

«أحد أكبر الأخطاء التي ترتكبها النساء هو أنهن لا يناقشن مسألة الزواج منذ البداية»، قالت ليزا.

يجب أن أغادر

لا أستطيع أن أتحمل، قالت كيري في نفسها، وهي تستيقظ ذات صباح. إنها تستلقي هناك، وتراقب السيد بيغ حتى يفتح عينيه. عوضاً عن تقبيلها، ينهض ويتوجه إلى الحمام. هذا هو الوقت، تفكر.

حين يعود إلى السرير، تقول له، «اسمع، كنتُ أفكر».

«نعم؟» قال السيد بيغ.

«إذا كنت لستُ مغرماً بي كلياً، ومجنوناً بي، وإذا كنتُ لا تعتقد بأني أجمل امرأة رأتها عينك، طوال حياتك، فإنني أظن أنه يجب أن أغادر».

«أوه ... هوه»، يقول السيد بيغ.

«حقاً، إنها ليست بالمشكلة».

«حسناً»، يقول السيد بيغ، بشيءٍ من الحذر.

«إذاً ... هل هذا ما تريده؟».

«هل هذا ما تريدينه»، يقول السيد بيغ.

«كلا، حقاً. لكنني أريد أن أكون مع رجل يحبني حقاً»، تقول كيري.

«حسناً، لا أستطيع أن أقدم ضمانات في هذه اللحظة. ولكن، لو كنت مكانك، لبقيت قريباً. ولنرَ ماذا يمكن أن يحدث».

تستلقي كيري على الوسائد من جديد. إنه نهار الأحد. سيكون هذا مزعجاً، إذ ماذا ستفعل بقية نهارها؟

«أوكي»، تقول، «ولكن فقط الآن. ليس في قاموسي إلى الأبد، أنت تعرف. أظن أنني سأموت قريباً. خلال خمسة عشر عاماً، أو نحو ذلك». ثم تُشعل سيجارة.

«أوكي»، يقول السيد بيغ. «ولكن في غضون هذا الوقت، هلاّ تعذين لي القهوة؟ من فضلك؟».

نعومي، التي تزوجت السنة الماضية في سن السابعة والثلاثين، هي رئيسة وكالة إعلانات، وتمثلنا جميعاً نساء نيويورك. «ارتبطتُ بعلاقات غرامية مع مختلف أصناف الرجال - كلّ الأشكال والأحجام. وذات يوم، يدخل الرجل المناسب عتبة المنزل، وكان على النقيض من كلّ ما ظننتُ أنني أرغب وأريد. بكلمات أخرى، لم يكن الصبي التقليدي المشاغب».

حين بلغتْ سن الخامسة والثلاثين، كانت نعومي تنتظر سيارة التاكسي في جادة ماديسون، وترتدي طقماً وكعباً عالياً، حين عبر شاب طويل الشعر، على دراجة نارية، لكنه لم يلحظ وجودها. «فجأة أضحى سحر الفنان المعذب المقموع، نوعاً من الزيّ القديم»، قالت. «كنتُ دائماً أدفع ثمن وجبات العشاء اللّعينة عنهم».

تذهب كيري إلى حفلة لتوقيع الكتب في أحد المتاحف، وتصطحب معها سامانثا. لم تكن قد رأت صديقتها سامانثا منذ فترة. ولم تكن قد رأت العديد من صديقاتها الأخريات أيضاً، لأنها، على ما يبدو، كانت تُمضي جلّ وقتها مع السيد بيغ. كانت كلتاهما ترتدي بنطلوناً أسود، وجزمةً جلدية سوداء، وحين وصلتا الدرج، كان عملاق الإعلام (ز.م)، يغادر، ويتأهب للصعود إلى سيارته.

يضحك. «كنت أتساءل من تكون هاتان المرأتان، اللتان تتسكعان على الرصيف».

«لم نكن نتسكع»، تقول سامانثا، «كنا نتحدث».

أبقى السائق باب سيارة الليموزين مفتوحاً.

«اتصلي بي بين الحين والآخر، هه؟» يقول.

«اتصل بي»، قالت سامانثا، لكن، تعلمين أن كليهما لن يفعل ذلك.

تتنهد سامانثا. «كيف حال السيد بيغ؟».

راحت كيري تهمهم وتغمغم وهي تلجأ إلى روتين أجوبتها التقليدية: لا أعرف. إنهما يخططان للذهاب إلى آسبن، وهو يتحدث عن إمكانية شراء منزل لهما، الصيف القادم، لكنها غير متأكدة تجاهه، و ...

«أوه، كفى»، تقول سامانثا. «لكم أتمنى أن يكون لدي عشيق. أتمنى أن أجد واحداً أقضي معه عطلة نهاية الأسبوع، بحق يسوع!».

ثمة فرق كبير، في نيويورك، بين النساء اللواتي يتزوجن، واللواتي لا يتزوجن. «جوهرياً، يشبه الأمر تجاوز ذاتك»، قالت ربيكا. «تجاوزي فكرة أن عليك أن تتزوجي مورت زكرمان».

«حصرتْ المسألة بثلاث خصائص»، قالت ترودي. «ذكية، وناجحة، وحلوة».

إنهن أيضاً لا يُصدقن أنهن لن يتزوجن أبداً. «كنتُ دائماً أظن أنه، مهما طال الزمن، فسوف يحدث هذا الأمر»، قالت ترودي. «سيكون أمراً مرعباً لو أنه لا يحدث. ولماذا لا يجب أن أتزوج؟».

لكن مانهاتن ما تزال مانهاتن. «الشيء الذي يجب أن تدركيه هو أنه بالنسبة لإقامة علاقات مع الرجال، وتحضيرهم لفكرة الزواج، فإن نيويورك مكان مرعب»، قالت ليزا. «العازبون لا يميلون إلى فكرة الخروج أزواجاً. إنهم ليسوا معتادين فكرة الزاحة والعائلة. وبالتالي ينبغي استمالتهم إلى هناك ذهنياً».

حميمية ظاهرة

كيري والسيد بيغ يذهبان إلى حفلة خيرية في مسرح قديم، ويمضيان مساءً جميلاً. جهزت كيري قصة شعرها. يبدو أن عليها، الآن، أن تفعل هذا طوال الوقت، وحين تقول للحلاق، «لا أستطيع تحمل كل هذا»، يقول، «لا تستطيعين أن تتحملي عدم القيام بذلك».

على العشاء، ينحني السيد بيغ على الطاولة، وسيجاره بين شفتيه، ويبذل بطاقات الأمكنة على الطاولة، لكي يجلسا متجاورين، قائلاً، «لا يهمني». ويمسك كل منهما بيد الآخر، طوال السهرة، وحين أتى أحد كتاب الأعمدة، قال، «ملتحمان كما دائماً».

أمضيا أسبوعاً طيباً بعد ذلك، ثم لمع شيء في رأس كيري. ربما لأنهما ذهبا إلى العشاء في منزل أحد أصدقائه، وكان هناك أناس يصطحبون أطفالهم، وأحد الأطفال ما انفك يسقط من سيارتها. جاء الأهل وصرخوا

في وجوه أطفالهم، للدخول إلى المنزل. لم يبدُ الأمر منصفاً، لأنه لا أحد من الأطفال أصيب بأذى.

تقرر كيري أنها سوف تُعذب السيد بيغ ثانية. «هل تعتقد أننا قريبان؟» تسأل قبل أن يذهبا إلى النوم بثوانٍ قليلة.

«أحياناً»، يقول السيد بيغ.

«هذا غير كاف بالنسبة لي»، تقول. ظلّت تناكفه حتى راح يتوسل إليها للسماح له بالذهاب إلى النوم. ولكن حين استيقظت في صباح اليوم التالي، ظلّت المناكفة مستمرة.

«لماذا تفعلين هذا؟» يسأل السيد بيغ. «لماذا لا تفكرين بالأشياء الجيدة، مثل الوقت الطيب الذي أمضيناه في الأسبوع الماضي؟».

يمز بمحاذاة السرير. «أوه، انظري إلى هذا الوجه الصغير الحزين؟» يسأل، وهذا يجعلها تفكر بأن تقتله.

«سوف أتحدث إليك عن هذا في وقتٍ لاحق. أعدك»، يقول السيد بيغ.

«لا أعلم إذا كان ثمة ما تسفيه وقتاً لاحقاً»، تقول كيري.

كانت ليزا تحضر حفلة مكتظة لخبيرة بارزة في الشأن العام (سنطلق عليها اسم ساندي) في بيت يقع في الجانب الشرقي من المدينة، على الشارع الخمسين. زوج ليزا، وهو رجل وسيم يدبّر بعض الأعمال، وجد نفسه مضطراً للحضور. بين الرشفة والرشفة من شراب المارغاريتا الوردي، بدأت تشرح. «حين قررتُ أخيراً أن أبحث عن رجل، فكّرتُ بجميع الأمكنة التي سبق لي أن قابلتُ فيها رجلاً. لم يكن هذا في حانة بويري، بل خلال حفلات أقيمت في بيوت الناس. وعلى ذلك وسعت دائرة بحثي، وفردتُ شباكي. ذهبتُ إلى كلّ حفلة يقيمها أي شخص في شقته».

«حين تقابلين رجلاً، فإن القاعدة لدي تقول، وخاصة في المواعيد الغرامية الأولى، لا ينبغي أن تحضرا حفلات ضخمة. قد يكون هذا بمثابة الانتحار. لا تتألقي في ملابسك. لا تكوني متحفزة. لا تفتعلي الأمر، وتبالغي في ترتيب الغرفة. الرجال يبحثون عن الراحة. عليك أن تُظهري الحميمية. تكلّمي عن حقيقة الشخص، لأن معظم الرجال يتمترسون حول صورتهم عن أنفسهم وهم في الرابعة عشرة».

حين عادت إلى مكتبها، أشارت ترودي إلى صورة ضخمة فوق طاولتها، لرجل أجعد الشعر، يستلقي على كومة من الرمل على الشاطئ. «زوجي من اللُقى النادرة. إنه حقاً يفهمني. حين تعثرين على الرجل المناسب، يبدو الأمر سهلاً حقاً. الناس الذين ينخرطون في الكثير من العراك والدراما - حسناً، لا بدّ أن يكون هناك خلل ما. زوجي لا يتورط معي في أي جدال. لا

نتشاجر أبداً حول أي شيء. إنه معطاء بنسبة تسعة وتسعين بالمئة تجاهي، وحين يرغب، في مناسبات قليلة في أن يختار دربه، أفسح له الطريق».

بعدئذٍ، وعلى حين غرة، بدا كلّ شيء، وبشكل لا يخلو من الغرابة، على أحسن ما يُرام.

يئصل السيد بيغ. «ما الذي تفعلينه؟».

«أوه، أنت تعلم، ذاك الشيء الذي أفعله بين الفينة والأخرى»، تقول كيري. «أكتب قصة».

«حول ماذا؟».

«هل تذكرُ كيف قلنا مرة إننا سننتقل إلى كولورادو ونربي الخيول وغير ذلك؟ هذا ما أكتب عنه».

«أوه»، يقول السيد بيغ. «إنها قصة جميلة».

يتصل السيد بيغ، من الصين، شاعراً ببعض الضيق. أرسل أمتعته بواسطة خدمة البريد السريع، ويبدو أنها فُقدت، ويجلس الآن في غرفة فندقه، ببنطلون جينز واحد، وقميص، من دون ملابس داخلية نظيفة. «لو أن هذا حدث قبل خمس سنوات، لطردتُ أحدهم من عمله»، يقول. «لكنني تغيرت. هذا أنا، الشخص الجديد. وإذا كانوا لا يستطيعون التعامل معي، وأنا أرتدي الجينز، فليذهبوا إلى الجحيم».

«احزر، ماذا؟» تقول كيري. «اتصل صديقك ديريك. قال إن لورا تحاول أن تصبح حاملاً، لكنه، هو، لا يريد ذلك، وبالتالي، في كلّ ليلة يتظاهر بأنه يقذف، لكنه لا يفعل ذلك، ويذهب إلى الحمام، ويستمني هناك. في كلّ ليلة، يراها تحضر برنامج (أنت وطفلك)».

«ما هذا الهراء»، يقول السيد بيغ.

«يقول إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، لأنه لم يُحرز تقدماً كافياً في حياته المهنية، ولا يستطيع إعالة طفل الآن».

«وماذا عنكِ أنتِ؟» يسأل السيد بيغ، بطريقته الرتيبة.

«أوه، أنا بخير»، تقول كيري بنبرة غامضة. «أظن أنني حامل».

«طفل. سوف نُرزق بطفل»، يقول السيد بيغ.

لم تكن كيري متأكدة مما يدور في رأسها.

كما ترين، قد تحدث أشياء للأهل الذين يُرزقون بأطفال في نيويورك. بعض الآباء والأمهات يظلّون عاديين. لكن آخرين لا يبقون عاديين، وهم يتقضدون ذلك. يُصابون، نوعاً ما، بمس. خذي كلّ تلك الطاقة والعدوانية، وكل تلك الأمور العالقة، والقضايا غير المحسومة في حياتك المهنية، وتخيلي أن تطبقيها على طفلك. حين يتعلّق الأمر بالأطفال، يتحوّل أهل نيويورك العصابيون، المدمنون على شتى الحدائق، مجانين، دون ريب.

كان هذا جلياً، على الفور، حين ذهبت كيري لتناول وجبة نصف صباحية مع صديقيها، باكارد وأماندا ديل، في شقتهما، في سوهو. باكارد وأماندا (عاديان) هما الأبوان للطفل تشستر، الذي كان يزحف في أرجاء الشقة، ويضرب الأرضية بالمظلّة. إحدى الأمهات (لم تكن عادية كثيراً) لم تستطع أن تتمالك نفسها، وأشارت إلى أن الطفل «يلعب لنفسه، ولا يشارك أحداً بذلك، ولكن، لا بأس، بما أنه ما زال بمفرده، ولا أحد يتوقع منه أن يشارك أحداً بألعابه - ليس بعد».

مثل كل الأزواج الذين يرزقون فجأة بأطفال، اتخذت عائلة ديل، بشكل غامض، مجموعة جديدة من الأصدقاء، ممن رزقوا بأطفال أيضاً. كيف يحدث هذا؟ هل التقت أماندا وباكارد بهم، خلال اجتماع قبول التلاميذ، في إحدى رياض الأطفال؟ أم هل كانوا دائماً أصدقاء، أبقوا أماندا وباكارد، بعد أن أنجبوا أطفالاً، على المسخن الخلفي، حتى وقعا في الشرك؟ وضمت حلقة الأصدقاء الجدد، جودي، التي كانت تصر على الجميع أن يعطوها فقط ملابس بيضاء للأطفال، لأنها تعتقد بأن الصباغ يسبب التحسس لبشرة طفلها، وهناك سوزان، التي لم تكن تسمح للمربيات لديها بوضع العطور لأنها لا تريد أن تعود إلى المنزل وتجد طفلها يشم كولونيا (رخيصة) لشخص آخر، وهناك ماريان، التي ثابرت على طرد مربيات الأطفال لديها، وعلى نحو مقصود سرياً، حتى انتهى بها الأمر بأن تترك عملها، وتتفرغ لتربية طفلها.

هذا النوع من السلوك لا ينحصر بالأمهات. على أية حال، أليس ثمة ما يدعو للعجب قليلاً عن الآباء والأبناء الذين يرتدون سترات باتاغونيا متطابقة، مع واقية رولربليد تتناسب معها؟ وماذا عن الأب الذي يقبل ابنه مرات عديدة على الرأس، ويمسك بإصبعه الصغيرة، ويرقص حول عربة الطفل، (لو كان بإمكان الطفل، ابن العامين، أن يشعر بالحرج، لفعل)، شارحاً، «كل ما ينبغي عليك فعله هو أن تأتي بواحد من هؤلاء، ثم تستريح لمدة ثلاث أو أربع سنوات».

بالطبع، ثمة فرق، ولو ضئيلاً، بين أن تكون متيماً بطفلك، وأن تكون مجنوناً خالصاً. ثمة كلمة واحدة فقط لهذا النوع من الذهاب إلى أقصى الحدود، في سلوك أهل نيويورك: المش. لا تعرف متى يُصيب، أو أي شكل سوف يأخذ، ولكن، كما قال باكارد، «إنه غير مرتبط بالحب أو الرعاية؛ إنه نوع من المش».

«ألكسندرا»

كانت كيري تجلس على الأريكة، في الشقة الصغيرة، تتحدث إلى امرأة بدت طبيعية نسبياً. اسمها بيكا، شعرها أشقر منسدل، وأنفها، طويل، قليلاً، ودقيق، يجعلك تظن أنه يستطيع وحده أن يرتشف المارتيني من كأسها. كانت قد انتقلت توأ إلى شقة جديدة في الشطر الشرقي، على الشارع السبعين، وكانت تشرح مزايا وعيوب استئجار فنان للديكور - «أحد الأصدقاء لم يستطع أن يمنع هذا الفنان من شراء الكثير من الأشياء، وهذا

فظيع». - حين قاطعتها، فجأة، بنت صغيرة في الخامسة من عمرها، ترتدي فستاناً مزركشاً، وشرائط سوداء في شعرها. «ماما، أريد أن أرضع»، طالبت الطفلة.

«ألكسندرا!» (لماذا يُسمى كل طفل أو طفلة هذه الأيام إما ألكسندر أو ألكسندرا) قالت بيكا بنبرة مسرحية هامسة. «ليس الآن. اذهبي وشاهدي الفيديو».

«لكن هو يرضع»، قالت الطفلة، مشيرةً إلى امرأة تُرضع طفلها في الزاوية.

«إنه مجرّد طفل. طفل صغير جداً»، قالت بيكا. «يمكنك أن تشربي العصير».

«لا أريد العصير»، قالت ألكسندرا. في الحقيقة، وضعت يدها على شفتيها.

أدارت بيكا محجريها. وقفت وحملت الطفلة على حضنها. بدأت الطفلة، على الفور، تنبش بلوزة أمها.

«هل ما زلتِ تُرضعينها ... من صدرك؟» سألت كيري، بلهجة مؤذبة جداً.

«أحياناً»، قالت بيكا. «أراد زوجي أن نُرزق بطفل آخر، لكنني رفضت. طفلٌ واحد يتطلّب الكثير من العمل في نيويورك. أليس كذلك، أيتها الشيطانة الصغيرة؟» حدّقت في طفلتها، التي كانت الآن، ترضع إبهامها، وتنظر إلى أمها، منتظرةً أن تفك لها أزرار صدرها. التفتت الطفلة إلى كيري، وصوبت نحوها نظرةً شريرة. «حليب، حليب»، قالت.

«هيا بنا، ألكسندرا، سوف آخذكِ إلى الحمام»، قالت بيكا. «دائماً نقصد أن نوقف هذا الآن، أليس كذلك؟».

أومأت الطفلة برأسها.

لم تكن بيكا هي الأم الوحيدة في الحفلة التي تواجه مشاكل في التحكّم بعلاقتها مع طفلها. في الداخل، في غرفة النوم، كانت جولي، المرأة القصيرة القامة، ذات الشعر الفاحم، والتي تدير مطعماً، تجلس بالقرب من طفل في السادسة من عمره، اسمه باري. وباري طفلٌ ساحر، يحمل الكثير من الشبه بوالدته، وخاصة خواتم شعره السوداء. لكنه لم يكن يبدو سعيداً. كان يتمسك بجولي بطريقة محمومة، وحين كان أحدهم يحاول التحدث إليها، كان يحضنها، ويتعمشق بها. «أوه، ابتعد عني. إنك الوجع بعينه»، قالت جولي لباري، لكنها لم تكن تفعل شيئاً حيال ذلك. كان باري يرفض اللعب مع الأطفال الآخرين، ويمنع جولي من التحدث مع أي من أقرانها. لاحقاً، اكتشفت كيري أن الأمر دائماً يسير على هذا النحو

بينهما - يذهبان إلى الحفلة، وأحياناً حفلة للكبار، ويتحدثان فقط كلٌ إلى الآخر. وعلمت أيضاً أن جولي تضع حصيراً في غرفة باري، وتمضي معظم الليالي في غرفته. زوج جولي ينام في الغرفة الأخرى. وهما الآن يخططان للطلاق.

«حسناً، هذا أمر طبيعي»، قالت جانيس، وهي محامية في إحدى الشركات، وواحدة من الأمهات القليلات الممسوسات التي تعترف بذلك. «أحب طفلي»، قالت. «آندي عمره أحد عشر شهراً. إنه إله، وأقول له هذا كل يوم. منذ أيام وجدته في سريره يقول: أنا أنا».

«كنت أتشوق لإنجاب طفل مذ كنت في الثلاثين من عمري»، تابعت تقول. «وحين أنجبته أخيراً (تبلغ من العمر الآن السادسة والثلاثين) قلت لنفسي: هذا نداء حياتي. أنا الآن أم. لن أعود أدراجي إلى العمل، ولكن، بكل صراحة، بعد مرور ثلاثة أشهر، كنت أعلم أنني سأعود إلى العمل. إنني حاضرة أمامه كثيراً. في الحديقة العامة، تجدينني أقفز أمامه، صعوداً ونزولاً - المربيات يعتقدن أنني مجنونة. أقبله ألف مرة في اليوم. لا أستطيع الانتظار حتى أعود إلى المنزل وأحفمه. جسده يجعلني أفقد صوابي. لم ينتبني هذا الشعور حيال أي رجل قابلته».

وتابعت جانيس تقول إنها إذا رأت آندي يرمق بطرف عينه لعبة طفلٍ آخر، تخرج من فورها وتشتريها له. ذات مرة خيل إليها أنه ينظر إلى لعبة غريبة لم تر مثلها من قبل. خرجت تفتش عنها، ووجدتها أخيراً في الشارع الرابع عشر، ثم عادت بها، تركض في الشارع، وتضعها على رأسها، لأنها لم تستطع أن تجد سيارة تاكسي، ولم يكن لديها صبر لتنتظر كي تُحضرها له إلى المنزل. «كان الناس يشيرون إلي حقيقةً في الشارع»، قالت. «الجميع ظنوا أنني مجنونة. لكنني أصل إلى البيت، وأعطيه اللعبة، فيبدأ بالبكاء».

لماذا هي كذلك؟ «هذا أمرٌ متعلقٌ بمدينة نيويورك»، قالت. هزّت كتفيها. «كل شيء يقوم على التنافس. أريد لطفلي أن يملك كل ما هو لدى الآخرين، وأكثر. علاوةً على ذلك. لقد كان مناي دائماً أن أرزق بصبي. الصبيان دائماً يعتنون بأمهاتهم».

المربية كاميرا

بكلام آخر، بعد سنواتٍ من معاشرة الرجال الذين يرفضون الالتزام، ولا يمكن الاعتماد عليهم، يصبح الابن رجلاً بديلاً. «أوه، نعم»، تقول جانيس،

«لا يمكنك الوثوق بالزجال. لا يمكنك أن تثقي بأي شخص آخر إذا لم يكن من لحمك ودمك».

«زوجي مواطن من الدرجة الثانية حقاً»، قالت. «كنتُ مغرمة به يوماً، ولكن جاء الطفل، وتبدلت الحال، وإذا حدث وقال لي: هلاّ أحضرتِ لي، من فضلك، زجاجة الكولا؟ يكون جوابي: اغرب عن وجهي».

في غضون ذلك، كان قد تجمع وسط الشقة حشد صغير من الناس. بينهم كانت تتمايل فتاة صغيرة مرتدية خفاً قرمزياً، وتنورة ضيقة قصيرة. «أصرّت بروك اليوم على أن ترتدي ملابس راقصة الباليه. ألا تبدو رائعة؟» قالت امرأة مشرقة، طويلة القامة. «حين حاولت أن ألبسها بنطلوناً، بدأت تبكي. كانت تعرف. تعرف أنها يجب أن ترتدي ملابس الباليه، لكي يكون بإمكانها أن تقدم عرضاً، أليس كذلك أيتها اليقطينة، أليس كذلك أيتها اليقطينة؟» انحنت المرأة، واضعةً يديها فوق صدرها، وطأطأت رأسها، وتجعّد وجهها على ابتسامة مزيفة، على بعد سنتمترات من وجه الطفلة. ثم بدأت تقوم بحركات إيمائية غريبة.

«طيري قبلة، طيري قبلة»، قالت. وضعت الطفلة الصغيرة التي كانت تبتسم بثبات، راحتها الصغيرة على فمها، ثم نفخت الهواء من بين شفتيها. صرخت الأم بعنف.

«تستطيع أن تقدم انحناءة الاحترام، أيضاً»، قالت أماندا لكيري بنبرة ازدراء. «تقوم بخدع كثيرة. أمها وضعت بروك على غلاف إحدى مجلات الأطفال، ومنذ ذلك الحين، وهي جذ مشغولة. في كل مرة نتصل بها، نكتشف أنها في عجلة من أمرها، وتريد اصطحاب بروك إلى عرض ما. إنها تعمل لدى إحدى وكالات الأزياء. أقصد، إنها امرأة جذابة، ولكن...».

في تلك اللحظة، عبرت أم أخرى، تُمسك يد صبي في الثانية من عمره. «انظر، غاريك، طاولة. طاولة، غاريك. هل تستطيع أن تقول طاولة؟ ماذا نفعل على الطاولة؟ نأكل، غاريك. نأكل على الطاولة. هل تستطيع أن تتهجى طاولة؟ ط-ا-و-ل-ة. غاريك، سجادة. غاريك. س-ج-ا-د-ة. سجادة، غاريك..».

بدأت أماندا تحضر عصير البصل. «المعذرة»، قالت جورجيا، المرأة التي ترتدي طقماً. «عصير البصل؟ تأكدي فقط أن تُبعديه عن الأطفال. الملح والدهن يجعلهم يفقدون أعصابهم». هذا الإحساس، على أية حال، لم يمنعها من أن تغمس إصبعها في الخليط الفظيع، وتضعها في فمها.

«أنتم هناك، هل رأيتم نادي سوتون للجمباز؟» سألت جورجيا. «إنه خرافي. يجب أن تأخذي تيشستر إلى سوتون. إنه يشبه نادي ديفيد

بارتون للجمباز، الخاص بالأطفال. هل بدأ ينطق الكلمات، أم ليس بعد؟ إذا كان قد بدأ، فمن المفيد أن نرتب لعبة ما. روزي اقتربت من ذلك، لكنني أريدها أن تبدأ بتحسين مهارات نطق الحروف».

«كما أنني أوصي بدورس التدليك، الخاصة بالأطفال، ومركزها في الشارع الثاني والتسعين. صفوف ملتزمة. هل ما زلت تُرضعين طفلك من صدرك؟ لا أظن ذلك». أخذت جورجيا عينة أخرى من عصير البصل.

«أقول، كيف حال مربيتك؟».

«لا بأس»، قالت أماندا، ناظرةً إلى باكارد.

«إنها من جامايكا. نحن محظوظون بها»، قال باكارد.

«أجل، ولكن هل أنتم متأكدون أنها تعتني جيداً بتشستر؟» سألت جورجيا.

«يبدو في حالة جيدة، بالنسبة إلي»، قال باكارد.

«أجل، ولكن أقصد العناية الجيدة»، قالت جورجيا، وصوّبت نظرةً لها مغزى باتجاه أماندا، وفي تلك اللحظة توارى باكارد عن الأنظار.

«لا يمكنك أن تكوني شديدة الحرص مع هؤلاء المربيات»، قالت جورجيا، ومالت بجذعها نحو أماندا.

«عرفتُ إحدى عشرة مربية. لكنني، أخيراً، حصلتُ على كاميرا تجسس».

«كاميرا تجسس؟» سألت كيري.

نظرت جورجيا إلى كيري، كأنها تراها للمرة الأولى.

«ليس لديك أطفال، أليس كذلك؟ على أية حال، كنتُ أظن أن هذا قد يكلّف ثروة، ولكن لم يكن الأمر كذلك. كانت صديقة لي قد رأتها في برنامج (أوبرا). يأتي شخص إلى منزلك، وينصبها هناك. تستطيعين أن تراقبي المربية لمدة خمس ساعات. اتصلت بمربيتي وقلتُ: ما الذي فعلته هذا اليوم؟ قالت: أوه، أخذت جونز إلى الحديقة العامة، ولعبنا معاً. كان ذلك كلّه كذباً. لم تغادر المنزل! كلّ ما فعلته، طوال يومها، هو مشاهدة التلفزيون، والتحدث على الهاتف. كانت قد أهملت جونز، عملياً، اليوم بأكمله. أقنعتُ جميع صديقاتي بأن يستخدمن الكاميرا. إحداهن رأت المربية وهي تحاول تفكيك الكاميرا!».

«يا للهول!» قالت أماندا.

سوف أشعر بالغثيان، فكّرت كيري في نفسها.

ذهبت كيري إلى الحمام في غرفة باكارد وأماندا. كانت جولي ما تزال في غرفة النوم مع باري. يستلقي الطفل على السرير، ورأسه في حضنها. بيكا وجانيس كانتا هناك، أيضاً. إنهما تتحدثان عن زوجيهما.

«دعيني أخبرك شيئاً عن الجنس بعد الزواج»، قالت بيكا. «ما الفكرة؟».

«ما فكرة وجود الزوج؟» قالت جولي. «أقصد، من تلك المرأة التي تحتاج إلى طفلين؟».

«أتفق معك، كلياً»، قالت جانيس. «لكنني الآن أرغب بطفل آخر. كنت أفكر بترك زوجي، لكنني الآن لم أعد متأكدة - لم يحن الوقت بعد».

انحنت جولي فوق ابنها. «متى سوف تكبر، يا صغيري، صغيري؟».

عادت كيري إلى غرفة الجلوس. مشت باتجاه النافذة، طلباً لبعض الهواء النقي. لسبب ما، كان غاريك قد انفك عن أمه، ووقف في الزاوية، تائهاً.

انحنت كيري باتجاهه. أخرجت شيئاً من جزدانها. «بس. مرحباً، يا طفل»، قالت، مشيرةً بيدها. «تعال إلى هنا».

اقترب الطفل يعتريه الفضول. رفعت كيري رزمة بلاستيكية صغيرة. «كوندوم (الواقي الذكري)، غاريك»، همست. «هل تستطيع أن تقول كوندوم؟ ك-و-ن-دو-م. لو كان أحد أبويك قد استخدم واحدة من هاتين، لما كنت موجوداً هنا».

مد غاريك يده للإمساك بالرزمة البلاستيكية. «كوندوم»، قال.

بعد يومين لاحقين، اتصلت أماندا بكيري. «عشت واحداً من أسوأ أيام حياتي»، قالت. «مربيتي لها طفل - صبي - يكبر تشستر بثلاثة أشهر. مرض ابنها، وكان علي أن أمكث في المنزل».

«في البداية، حاولت أخذه إلى الحديقة العامة. لم أعرف البوابة التي تؤدي إلى أرضية الملعب، وشعرت بالإحراج الشديد، لأن جميع المربيات الأخريات كن في الداخل، ولم أستطع تدبر طريقة للدخول. كن جميعاً ينظرن إلي. من أنت؟ وأراد تشستر أن يتزحلق. حوالى عشرين مرة. رحت أنظر إلى الساعة الضخمة في الجادة الخامسة. مرت خمس دقائق. وضعت تشستر في الأرجوحة. خمس دقائق أخرى. سمحت له باللعب بأكياس الرمل. ثم المزيد من التزحلق. مرت خمس عشرة دقيقة في المجمل. قلت

له: ألا يكفي هذا؟ ثم وضعته في عربته الصغيرة، وراح يرفس ويصرخ. قلت له: لدينا أمور عديدة ينبغي القيام بها».

المسكين تشستر. كنت أهرع به فوق الرصيف، وجسده الصغير يرتج داخل العربة، غير مدرك لما يحدث حوله. حاولت الذهاب للتسوق، لكنني لم أستطع إدخال عربته إلى غرفة ارتداء الملابس. ثم ذهبنا إلى المصرف، وعلقت دواليب العربة في البواب الدوار. أعني، كيف لي أن أعرف أنه لا ينبغي وضع عربة بين دفتي باب دوار؟ علقنا في الفخ. وجاء رجلٌ، دفع بنا إلى الأمام، رويداً، رويداً.

«أخيراً دقت الساعة الحادية عشرة والنصف. أخذته إلى المنزل، وأعددت له الغداء. بيضة واحدة».

لاحقاً، في تلك الليلة، اتصلت كيري بالسيد بيغ. كانت قد نسيت تماماً فارق التوقيت - وكان يغط في النوم. «أردتُ فقط أن أقول لك»، قالت. «جاءتني الدورة الشهرية».

«أوه... إذاً، لا يوجد طفل»، قال.

أغلقا السماعة، ولكن بعد مرور دقيقتين، عاد واتصل بها.

«تذكرتُ توّاً الحلم الذي كنت رأيته»، قال. «حلمتُ بأننا أنجبنا طفلاً».

«طفل؟» سألت كيري. «أي طفل؟».

«طفل صغير جداً»، قال السيد بيغ. «تعلمين. أحد المواليد الجدد. يستلقي بيننا، هنا تماماً على السرير».

قابلت كيري الفتاة في حمام أحد النوادي. لم تكن تقصد لقاء الفتاة.

طرقت إحداهن باب الحمام. كانت كيري تستمتع بمزاج صافٍ، وتمضي وقتاً مع سيسي، داخل الحمام، وبالتالي بدلاً من أن تسأل الطارق أن يغرب عن وجهها، فتحت الباب بشكلٍ موارب. كانت الفتاة تقف هناك. شعرها أسود فاحم، وعلى محياها مسحة خفيفة من الجمال. «هل يمكنني الدخول؟».

«نعم، بالتأكيد»، قالت كيري.

«المعذرة»، قالت سيسي، «ولكن هل نعرف من تكونين؟».

«كلا، لا نعرف»، أجابت كيري.

«ماذا لديكما؟» سألت الفتاة.

«ما الذي تريدينه؟» قالت كيري.

«لدي حشيشة ممتازة»، قالت الفتاة.

«جيد»، قالت كيري.

أشعلت الفتاة سيجارة الحشيشة، ورفعتها عالياً. «أفضل سيجارة تدخنانها في حياتكما».

«أشك في ذلك»، قالت كيري، وأخذت نفثة عميقة.

كان النادي مكتظاً، ومن الممتع أن يهرب المرء إلى داخل الحمام. اتكأت الفتاة بظهرها إلى الحائط، واستمرت بتدخين الحشيشة. قالت إنها في السابعة والعشرين، لكن كيري لم تصدقها، ولكن لا بأس، أيضاً. ذلك أنها لم تكن، للوهلة الأولى، سوى فتاة قابلتها داخل حجرة المرحاض. هذا يحدث كثيراً.

«إذاً، ما هو عملك؟» سألت سيسي.

«أبني شركتي الخاصة للعناية بالبشرة»، قالت الفتاة.

«آه»، قالت كيري.

«إنها تعتمد على العلم. ويسرني أن أعتني ببشرة كلّ منكما».

«أوه، حقاً؟» قالت كيري. أشعلت سيجارتها. بدأ أناس آخرون يطرقون باب الحمام الآن.

«ينبغي أن نخرج من هنا»، قالت سيسي.

«كم أرغب بأن يعتني أحدهم ببشرتي»، قالت كيري. «لا أظن أنها على خير ما يرام».

«دعوني أخرج»، قالت سيسي.

«يمكنني أن أجعلها تتحسن كثيراً»، قالت الفتاة.

كان كلامها موجزاً، وحضورها قوياً. وجهها بارد، ويمكن أن يكون جميلاً، ولكن ينبغي أن تطيل النظر إليه، لتتأكد من ذلك. كانت ترتدي بنطلوناً من الجلد، وجزمةً طويلة. كلاهما غاليا الثمن. نبرة صوتها خفيضة.

«ثمة بعض الناس يعرفونني»، قالت سيسي. وبدأت تتململ.

«اخرجي من هنا»، قالت كيري.

«أريدك أن تظلّي معي»، قالت الفتاة. «أريدك أن تمكثي معي طوال الليل. أرى أنك... جميلة. تعلمين».

«نعم، بالتأكيد»، قالت كيري. لكنها أصيبت بالذهشة.

ما الخطأ في أنا؟

في الصف الثامن، كانت كيري تعرف فتاة اسمها شارلوت نيتس. كانت شارلوت واحدةً من الفتيات اللاتي يتمتعن بشعبية واسعة، وهذا يعني أنها امتلكت، باكراً، عقلية تجارية. اعتادت شارلوت دعوة فتيات أخريات لقضاء الليل. كانت ترسل للفتيات أيضاً ملاحظات صغيرة. صديقة كيري، واسمها جاكي، ذهبت لقضاء الليل في شقة شارلوت، واتضح، في اليوم التالي، أنها كانت قد اتصلت بوالدها، في منتصف الليل، لكي يأتي ويأخذها. قالت جاكي إن شارلوت «هاجمتها». حاولت أن تقبلها، وتلمس نهديها، وأرادت من جاكي أن تفعل الشيء ذاته معها. قالت إن هذا «تمرين للقاء الصبيان». بعد ذلك، انفرط عقد صداقتهما نهائياً.

كانت قصة مخيفة، ولم تكن كيري، على مدى سنوات، لتنام، أبداً، في السرير ذاته مع فتيات أخريات، أو تتعرى أمامهن، رغم أن من المفترض أن يكون ذلك ممكناً، لأن الأمر يتعلّق بالفتيات فحسب. عندئذٍ، اعتادت أن تقول لنفسها، ما الخطأ في، ولماذا لا يمكنني أن أكون مثل الجميع، وأشعر بالحرج حيال ذلك؟ سيكون الأمر مرعباً أن ترفضي إيحاءات جنسية من امرأة كانت صديقتك يوماً ما.

قبل بضع سنوات، سكرت اثنتان من صديقاتها حتى الثمالة، وانتهى بهما المطاف إلى سرير واحد، حتى الصباح. في اليوم التالي، كلتاهما اتصلتا بكيري وراحت كل منهما تحتج كيف أن الأخرى حاولت أن تمارس الجنس معها، وكيف أن على كيري أخذ الحيطة والحذر. لم تكن كيري تعرف أنهما تُصدق. لكن الفتاتين لم تعودا صديقتين أبداً.

غاب السيد بيغ عن المنزل طوال شهر تشرين الأول (أكتوبر)، وبدا أن كلّ شيء في حالة جمود. في الشوارع، في الجانب العلوي من شرق المدينة، كان الناس يسيرون، مرتدين ملابسهم الخريفية، لكنّ الطقس كان مشمساً ودافئاً. في البدء، فضّلت كيري المكوث ليلاً في المنزل، لا تشرب، لكنها تقرأ رواية جين أوستن (إقناع)، عوضاً عن مشاهدة الفيلم. كانت قد قرأتها مرتين سابقاً، ولكن هذه المرة، يبدو الكتاب مملاً، حيث تنخرط الشخصيات في أحاديث طويلة، وتشعر كيري بالكآبة من قلّة الكحول والحفلات. ثم حاولت أن تخرج من عزلتها، لكنها اكتشفت أن لا أحد تغير، أو يعمل شيئاً جديداً.

ذات ليلة، وصل ستانفورد بلاتش متأخراً إلى واكس، النادي الليلي الجديد في سوهو، يلف حول رقبته منديلاً ذكورياً.

«ما هي الأخبار؟» سألت كيري، وقال ستانفورد، «أوه، تقصدين هذه؟ إنها خطأ الشخص المغفّل». كان يقصد بالشخص المغفّل الرجل الذي يُحب أن تُلوى عنقه خلال ممارسة الجنس.

«لم يكن الأمر سيئاً»، قال ستانفورد، «إلى أن بدأ يطبقها عليّ. من جهة أخرى، ربما أراه ثانيةً. إلى هذه الدرجة أنا مريض».

في الليلة التالية، تناولت العشاء مع روك ماكوير، وهو ممثل تلفزيوني. «أنا حقاً بحاجة إلى عشيق»، قال. «أظن أنني أصبحت جاهزاً لعلاقة كهذه».

«إنك شخص رائع»، قالت كيري. «إنك ذكي، ووسيم، وناجح حقاً. لا ينبغي أن تكون لديك مشكلة».

«لكنّ الأمر ليس بهذه السهولة»، قال روك. «لا أريد أن أخرج مع فتى في الثانية والعشرين من العمر. ولكن إذا خرجت مع رجال في الثلاثين من أعمارهم، ينبغي أن يكونوا ناجحين هم أيضاً. وكم هو عدد الأشخاص الذين يتحلّون بتلك الصفات؟ وبالتالي، عوضاً عن ذلك، تجدينني في نوادي الجنس، أقضي شهوتي، وأعود أدراجي إلى البيت. على الأقلّ ليس هذا، عاطفياً، ضرباً من الفوضى».

في الصباح التالي اتصلت ميراندا. «لن تُصدقي أبداً ما فعلته»، قالت، فأجابتها كيري، «ماذا، يا حلوة؟» وكوّرت يدها اليمنى في شكل قبضة، وهي حركة اعتادت رسمها أخيراً.

«لدي قصة ثانية؟ سوف تحبينها كثيراً».

«لن أحيها، لكنني أتشوق إلى سماعها».

«ذهبتُ إلى حفلة، مع صديقتي جوزفين. تعرفين جوزفين، أليس كذلك؟».

«لا، ولكن...».

«عزفتك عليها. خلال تلك الحفلة التي أقامتها صديقتي سالي. تتذكرين سالي، أليس كذلك؟ الذراجة سالي».

«الدراجة سالي».

«أجل. كان هناك جميع هؤلاء اللاعبين المحترفين للبيسبول. واحزري ماذا؟ خرجتُ مع واحدٍ منهم، ثم ذهبتُ مع آخر إلى غرفة النوم، ونمنا معاً، خلال الحفلة تماماً».

«لا يُعقل هذا»، قالت كيري. «هل كان عظيماً؟».

«هائل»، قالت ميراندا.

لا بدّ لأحدٍ ما أن يُعطي، قالت كيري في نفسها.

خلف الحائط

«دعينا نذهب إلى أحد النوادي»، قالت الفتاة. كانتا تجلسان حول طاولة. كيري، والفتاة، وأصدقاء الفتاة الذين كانت تنقصهن الجاذبية، وهم في أوائل العشرين من أعمارهم، بقضات شعر سوداء، قصيرة. «إنهم أكثر غنىً من أي شخص آخر يمكن أن تقابليه في حياتك»، همست الفتاة، لكنّ كيري اعتقدت أن هؤلاء الأشخاص للنسيان.

بدأت الفتاة الآن تسحبها من ذراعها، ثم تشدها لتقف على قدميها. رفست الشاب الذي كان الأقرب إليها. «هيا، أيها الحقير، نريد أن نخرج».

«أنا ذاهبٌ لحضور حفلةٍ في برج ترامب»، قال الشاب، بلكنة أوروبية مفتعلة.

«إنك كالجحيم»، قالت.

«هيا، حبيبتي. تعالي معنا»، همست في أذن كيري.

حشرت كيري والفتاة نفسيهما، في المقعد الأمامي لسيارة الشاب، من ماركة رانج روفر، وتوجهوا إلى القسم الأعلى من المدينة. فجأة صرخت الفتاة، «أوقف السيارة، أيها الأحمق!» مدّت جذعها وفتحت الباب، ودفعت كيري إلى الخارج. «نحن ذاهبتان»، قالت.

وهكذا، كانتا فتاتين تركضان في الشوارع، غرب الجادة الثامنة.

وجدتا نادياً، ودخلتا. قطعتا مسافة النادي كاملة، تُمسك كلٌ منهما بيد الأخرى، وكانت الفتاة تعرف بعض الأشخاص هناك، أما كيري، يا لسعادتها، فلم تكن تعرف أحداً. لم يكن الأمر فقط متعلّقاً بفتاتين تخرجان معاً، وتُمضيان وقتاً طيباً: كان ثمة جدار عالٍ. على الطرف الآخر من الجدار ثمة الحرية والقوة. بدا كلّ شيء جيداً. هكذا سأكون من الآن فصاعداً، قالت كيري في سرّها. لا يبدو الأمر مفزعاً.

تذكّرت كيري أنه خلال حفلة حضرتها أخيراً أخبرتها امرأة تُدعى أليكس، قصة، عن صديقة لها ثنائية الجنس. كانت تخرج مع النساء والرجال على حدّ سواء. تجدينها مع الرجل الذي تُحب، ومع المرأة التي تُحب، وتترك الرجل لتلحق بالمرأة.

«أقصد، لم يسبق لي أن خرجتُ مع امرأة»، قالت أليكس. «ربما أكون الوحيدة - ولكن من هي المرأة التي لم تقل يوماً لنفسها: أتمنى أن أكون سحاقية لكي أتجنّب التعامل مع الرجال. لكن الشيء المثير للفضول هو أن صديقتي قالت إن الخروج مع امرأة يشوبه الكثير من التوتر لأن كلتيكما امرأةٌ في العلاقة. تعرفين كيف تحب النساء الحديث عن أي كلّ شيء. حسناً، عليك أن تتخيلي اثنتين. إنهما تتحدثان طوال الوقت. عن كلّ شيء. حتى الساعة الرابعة صباحاً. بعد فترة قصيرة، عليها أن تغادر وتعود إلى الرجل، لأنها لا تستطيع أن تتحمّل الحديث».

«هل سبق لكِ أن كنتِ مع امرأة؟» سألت الفتاة كيري. «سوف تحبين ذلك».

«أوكي»، قالت كيري. كانت تقول في نفسها، أنا مستعدة لذلك. لقد حان الوقت. ربما كنتُ سحاقية في سري، طوال حياتي، ولم أعرف ذلك. راحت تتخيل تبادل القُبل. ستكون الفتاة أكثر نعومةً وطراوة من الرجال. ولكن، لا بأس.

بعدئذ، عادت كيري مع الفتاة إلى شقّتها. كانت هذه الأخيرة تعيش في برج شاهق، باهظ الثمن، في شقّة مؤلّفة من غرفتين، على الجانب الشرقي العلوي من المدينة. الأثاث قطعٌ دنماركية مع سجّاد محبوك. وهناك حيوانات خزفية على أطراف الطاولات. توجّهتا إلى المطبخ، وأشعلت الفتاة النار لإعداد السمك. كانت لديها آنية فخارية صغيرة، مليئة بالأسماك. ولديها أيضاً زجاجة نبيذ مفتوحة، نصفها فارغ. سكبت بعض النبيذ، وناولت كيري كأساً.

«ما زلتُ أنام مع الرجال، أحياناً»، قالت الفتاة. «إنهم يجعلونني أفقد صوابي».

«أوه، أوه»، قالت كيري. كانت تتساءل متى ستجعلها الفتاة تنتقل، وكيف ستفعلها.

«أنام مع النساء والرجال»، قالت الفتاة. «لكنني أفضل النساء».

«إذاً، لماذا تنامين مع الرجال؟» سألت كيري.

هزت الفتاة كتفيها. «إنهم يصلحون لبعض الأشياء».

«بمعنى آخر، هي مجرد القصة القديمة ذاتها»، قالت كيري. نظرت حولها في أرجاء الشقة. أشعلت سيجارة وأسندت ظهرها إلى الحائط. «أوكي»، قالت. «ما القضية؟ حقاً. ينبغي أن تكوني ثرية ومستقلة، ليكون بإمكانك العيش في مكان كهذا، أو ربما ثمة شيء آخر يجري».

أخذت الفتاة رشفة من النبيذ. «أرقص»، قالت.

«أوه، فهمت»، قالت كيري. «أين؟».

«ستربنغ فيلوز. أنا ماهرة. أستطيع أن أقوم بألف رقصة في الليلة الواحدة».

«إذاً هذا هو جوهر المسألة».

«هل بإمكاني أن آخذ سيجارة؟» سألت الفتاة.

«جميع راقصات التعري ينفن بعضهن مع بعض، لأنهن يكرهن الرجال».

«نعم، حسناً»، قالت الفتاة، «جميع الرجال فاشلون».

«أولئك الذين تعرفت إليهم. أولئك الذين يذهبون إلى النادي»، قالت كيري.

«هل هناك نوع آخر»، سألت الفتاة. في ضوء المطبخ رأت كيري أن بشرة الفتاة ليست على ما يرام، وعليها آثار كدمات، وتكسوها طبقة سميكة من المسحوق. «أنا متعبة»، قالت الفتاة. «دعينا نذهب ونستلقي».

«هيا بنا»، قالت كيري.

ذهبتا إلى غرفة النوم. جلست كيري على حافة السرير، محاولةً أن تُبقي على هذر المحادثة. «سوف أرتاح أكثر قريباً»، قالت الفتاة. ذهبت إلى خزانتها. خلعت بنطالها الجلدي، الباهظ الثمن، وارتدت آخر، بني اللون. وأخرجت تي شيرت. حين خلعت قبعتها، استدارت بوجهها. من دون ملابسها، بدت قصيرة القامة، وبدينة.

تمددتا فوق السرير. بدأت الآنية تنفد. «هل لديك عشيق؟» سألت الفتاة.

«نعم»، أجابت كيري. «لدي عشيق وأنا مغرمة به».

مكثتا هناك لبضع دقائق. أصيبت كيري بألم في معدتها لأنها اشتاقت إلى السيد بيغ.

«اسمعي»، قالت كيري، «ينبغي أن أعود إلى المنزل. سزني جداً اللقاء بك».

«سعيدة بلقائك»، قالت الفتاة. استدارت برأسها نحو الحائط وأطبقت عينيها. «تأكدي من إغلاق الباب خلفك وأنت تخرجين، أوكي؟ سوف أتصل بك».

بعد يومين آخرين، رن الهاتف، وكانت الفتاة على الخط. قالت كيري لنفسها، لماذا أعطيتك رقمي؟ قالت الفتاة، «مرحباً! كيري؟ هذه أنا. كيف حالك؟».

«بخير»، قالت كيري. صمت. «اسمعي. هل يمكنني أن أعيد الاتصال بك؟ ما رقمك؟».

سجلت رقم الفتاة، رغم أنه كان في حوزتها. لم تتصل بها، وخلال الساعتين اللاحقتين، وحتى خروجها، لم ترد على الهاتف. تركت لآلة التسجيل التكفل بالمهمة.

مشية القطة

بعد بضعة أيام أخرى، كانت كيري تحضر عرضاً للأزياء في صالة رالف لورين في بيرايانت بارك. خرجت الفتيات الرشيقات، الفارعات الطول، الواحدة تلو الأخرى، وشعرهن الأشقر الطويل يطفو فوق أكتافهن. للحظة، بدا عالماً جميلاً، وحين مزت الفتيات، التقت عيونهن، وتبادلن ابتسامات سزية.

خلال الأسابيع القليلة الماضية، وقع العديد من الحوادث غير المتصلة ظاهرياً، لكن المتشابهة نوعاً ما.

كان سيمون بيبرستوك، المالك لشركة إلكترونيات، يستلقي في سريره، في شقته المترفة جداً، المؤلّفة من غرفتين، محاولاً التغلب على الزكام، حين رنّ الهاتف.

«أنت، أيها الخنّالة»، قال صوت امرأة على الخط.

«ماذا؟» قال سيمون. «من المتكلم؟».

«هذه أنا».

«أوه. إم. كي. كنتُ على وشك الاتصال بك، لكنني أصبتُ بنزلة برد. حفلة هائلة في تلك اللّيلة».

«سعيدة حقاً أنها أعجبتك»، قالت إم. كي. «لأنها لم تعجب أي أحد آخر».

«حقاً؟» جلس سيمون في سريره.

«إنه أنت، يا سيمون. سلوكك المثير للريبة. المقزز».

«ما الذي فعلته؟» سأل سيمون.

«أحضرتَ معك تلك الساقطة. أنت دائماً تصطحب الساقطات. لم يعد أحد يحتمل ذلك».

«أنتِ. مهلاً، ثانية واحدة»، قال سيمون. «ليست تيسي ساقطة. إنها فتاة محترمة جداً».

«صحيح، يا سيمون»، قالت إم. كي. «لماذا لا تبحث عن حياتك؟ لماذا لا تتزوج؟».

ثم أقفلت السفاعة.

يبلغ هاري سامسون السادسة والأربعين من عمره، شاب عازب وجذاب، ومعروف جيداً. كان يمضي إحدى أمسيات الشرب المعتادة في نادي فريديرك، حين تعزف على امرأة جذابة جداً، في منتصف العشرينيات من عمرها. كانت قد انتقلت توّاً إلى نيويورك، لتعمل مساعدة لأحد الفنانين، الذي كان يعمل معه هاري.

«مرحباً. أنا هاري سامسون»، قال بلهجة أهل الساحل الشرقي، التي بدت مصطنعة، لأنه كان، ربما، يضع سيجارةً في زاوية فمه.

«أعرف من تكون»، قالت الفتاة.

«ما رأيك بكأس نبيذ؟» سأل هاري.

نظرت إلى صديقتها التي كانت ترافقها. «أنت ذاك الشخص، أليس كذلك؟» قالت. «كلا، شكراً. أعرف كل ما يتعلق بسمعتك».

«هذا المكان ملعون»، قال هاري، غير قاصد أحداً على وجه الخصوص.

ثمة شيء فاسد في مجتمع نيويورك، ويتجسد في شخصية ما كان يُسفى سابقاً العازب «المؤهل». إنه ليس مخيلتك. هؤلاء الرجال في الأربعينيات والخمسينيات من أعمارهم، الذين لم يسبق لهم أن تزوجوا، والذين لم يلتقوا، منذ سنوات، على أية حال، بعشيقة جذية، لهم رائحة معينة، لا يمكن أن يخطئها أحد. والبرهان موجود في كل مكان.

كانت ميراندا هوبز تحضر حفلة عيد الميلاد حين التقت باكارد وأماندا ديل، الزوجين اللذين سبق أن التقتهما، سريعاً، عبر سام، المستثمر المصرفي، الذي خرجت معه في مواعيد غرامية، على مدى ثلاثة أشهر، خلال الصيف.

«أين كنتِ كل هذه المدة؟» سألت أماندا. «اتصلنا بك للمجيء إلى أكثر من حفلة أقمناها، لكننا لم نسمع منك رداً أبداً».

«لم أستطع»، قالت ميراندا. «أعرف أنكما صديقان لسام، لكن، أنا آسفة، ودعيني أصارحك، أنا لا أطيقه. لا أطيق وجودي معه في غرفة واحدة. هذا الرجل شخص مريض. أظن أنه يكره النساء. يستدرجك أولاً، ثم يخبرك بأنه يريد أن يتزوج، ثم لا يتصل بك. في غضون ذلك، يبحث عن فتيات أخريات في الحادية والعشرين».

اقترب باكارد أكثر منهما. «لم نعد صديقين له، على أية حال. أماندا لا تطيقه، ولا أنا أيضاً. لا بد أنه صديق لهذا الشخص الذي اسمه باري، وكل ما يفعله الاثنان كل ليلة هو الذهاب إلى تلك المطاعم، في سوهو، للتعرف على الفتيات».

«هما في الأربعين!» قالت أماندا. «هذه فظاظة».

«متى سينضجان؟» سألت ميراندا.

«أو يخرجان من القمقم»، قال باكارد.

عازبون يصرخون

في إحدى الأمسيات، المتأخرة من شهر تشرين الثاني، كان الزجل، الذي سوف نطلق عليه تشولي وينتورث، منكباً على مناقشة أحد مواضيعه المفضلة - مجتمع نيويورك. «هؤلاء العازبون الأزليون؟» سأل، معذداً أسماء

بعض الشخصيات المعروفة، التي تحتلّ المشهد منذ سنوات. «بصراحة، يا عزيزتي، إنهم الضجر بعينه».

سكب تشولي كأس الويسكي الثانية. «ثمة العديد من الأسباب التي تمنع الرجل من الزواج»، قال. «بعض الرجال لا يريدون أكثر من الجنس، وبالنسبة للبعض فإن الزواج يُفسد الجنس. ثم هناك الاختيار الصعب بين امرأة في الثلاثين من عمرها، يمكنها أن تنجب الأطفال، أو امرأة مثل كارول بيتري، تستطيع أن تنظم لك حياتك».

«الأمهات قد يمثلن مشكلة»، تابع تشولي. «هذه هي المشكلة مع إكس»، قال، مسفياً رجل أعمالٍ من أصحاب الملايين، في أواخر الخمسين من عمره، ولم يربط العقدة بعد. «إنه يعاني من مشكة أزلية مع بنات الهوى. مع ذلك، لو كنتَ إكس، فمن ستُحضر معك إلى المنزل؟ هل ستتحدّى والدتك بامرأة قوية الشخصية حقاً، قد تخلخل كيان الأسرة؟».

«حتى وإن كان الأمر كذلك»، قال تشولي، حانياً جذعه إلى الأمام، على كرسيه، «العديد من الناس سئموا من هؤلاء الأشخاص ومن مشاكل التزامهم. لو كنتُ امرأةً غير متزوجة، لقلت لنفسي: لماذا أشغل نفسي بهؤلاء إذا كان هناك مئتان وستة وتسعون مليون مثلي مسلّ، ممن يشغلون الكرسي؟ سأبحث عن رجل مثلي ممتع، يمكن أن يكون مسلّياً في الحديث، عن مئات المواضيع حين أخرج معه. لماذا تضيعين وقتك مع إكس؟ من هي المرأة التي تريد أن تجلس هناك، لتصغي إليه يتحدث عن تجارته؟ لقد كبر في السن. كُبر في السن ويصعب أن يتغير. رجلٌ مثل إكس لا يستحقّ الجهد. هؤلاء الرجال صرخوا مرات عديدة، وجربوا الكثير».

«في كلّ الأحوال، المرأة هي التي تقرر ما إذا كان الرجل مرغوباً به أم لا. وإذا كان الرجل لا يسعى للزواج، وإذا كان لا يريد أن يساهم، ... حسناً، أعتقد أن النساء مللن من هذا. ولأسباب جد وجيهة».

عيد الشكر مع جاك

«هذا ما حدث»، قال نورمان، وهو مصوّر فوتوغرافي. «خذي مثلاً جاك. هل تعرفين جاك - الجميع يعرفون جاك. مضى على زواجي ثلاث سنوات. لكنني عرفتُ جاك منذ عشرة أعوام. قبل أيام كنتُ أفكّر، خلال هذه الفترة التي عرفتُ فيها جاك، لم يواظب على عشيقة واحدة لمدة تجاوزت ستة أسابيع. مرة ذهبنا جميعاً إلى بيت أحد الأصدقاء لحضور

حفلة عيد الشكر. الجميع على العشاء يعرف بعضهم بعضاً، منذ سنوات. حسناً، لم يكن الجميع حول الطاولة من المتزوجين، لكنهم، على الأقل، منخرطون في علاقاتٍ جدية. ثم حضر جاك، مرة أخرى، ترافقه بائعة هوى. عمرها عشرون عاماً ونيف. شقراء. واتضح أنها تعمل نادلةً في مطعم، قابلها قبل أسبوع فقط. وبالتالي، هي غريبة، ولا مكان لها بيننا، وتغير إيقاع الطاولة بأكمله. فضلاً عن أنه بلا نفع، ودائماً يشغل تفكيره بكيف ستنتهي تلك العلاقة. وفي كلّ مزة يرى أحدنا جاك، تقابله تلك الصورة عينها. لماذا تمضية الوقت معه؟ بعد حفلة عيد الشكر، قررت جميع النساء في مجموعتنا أن جاك لا مكان له بيننا. ممنوع عليه المجيء».

كانت سامانثا جونز تتناول العشاء في مطعم كيوسك مع ماجدة، الروائية. كن يناقشن موضوع العازبين - جاك وهاري على وجه الخصوص.

«أحدهم قال إن جاك ما يزال يتحدث عن الفتيات اللّواتي نام معهن»، قالت ماجدة. «إنها المحادثة عينها التي اعتاد تكرارها، منذ خمسة عشر عاماً. يظنّ الرجال أن السمعة السيئة محصورة بالنساء فقط. إنهم مخطئون. ألا يفهم هؤلاء الرجال أنكِ حين ترين ما يرغبون به - بائعة هوى - فإنكِ لا تريدين أن تكوني مع رجال كهؤلاء؟».

«خذي شخصاً مثل هاري»، قالت سامانثا. «يمكن أن أفهم، بشكل أو بآخر، علّة جاك - إنه منصرف كلّياً إلى عمله، ويكسب مالاً كثيراً. لكن هاري لا يريد ذلك البتة. يقول إنه لا يعير اهتماماً للمال أو للنفوذ. من جهة أخرى، لا يكترث للحب، أو للعلاقات. إذاً، ما هي مشكلته بالضبط؟ ما المغزى من وجوده أصلاً؟».

«أضف إلى ذلك»، قالت ماجدة، «من يعلم أية علاقات وسخة انخرط فيها هؤلاء الرجال؟».

«هذا موضوع لا يقلّ أهمية»، قالت سامانثا.

«قابلتُ روجر، بالصدفة، قبل أيام، خارج مطعم مورتايمرز، بالطبع»، قالت ماجدة.

«لا بدّ أنه بلغ الخمسين من عمره الآن»، قالت سامانثا.

«اقترب من ذلك. هل تعلمين، ارتبطتُ معه في علاقة غرامية حين كنتُ في الخامسة والعشرين. كانت قد أطلقت عليه، حينئذٍ، عازب نيويورك، الأكثر جاذبية، صحيفةُ (الزيف والمدينة). أتذكّر أنني قلتُ لنفسي، هذا مجزد هراء! قبل كلّ شيء، كان يعيش مع والدته - حسناً، كان يقطن الطبقة العلوية من بيتهم الزيفي، ولكن مع ذلك هذا بيت والدته. ثم هناك البيت المثالي في ساوثامبتون، والبيت المثالي الآخر في بالم بيتش،

والعضوية في نادي (التنس والاستحمام). ثم هل تعرفين ماذا؟ هذا كل ما في الأمر. هذه هي حياته. إنه يؤدي دور العازب الجذاب. ولا أسرار تحت السطح».

«ما الذي يفعله الآن؟» سألت سامانثا.

«الأمر الاعتيادي»، قالت ماجدة. «مزّ بعلاقات غرامية مع جميع الفتيات في نيويورك، وحين حصلن، في النهاية على رقمه، انتقل إلى لوس أنجلس. ومن هناك ذهب إلى لندن، والآن باريس. قال إنه عاد إلى نيويورك لمدة شهرين لقضاء بعض الوقت مع والدته».

انفجرت المرأتان بالضحك.

«خذي هذه»، قالت ماجدة. «مزةً حكى لي قصة. قال إنه حقاً يحب الفتيات الفرنسيات. يذهب لتناول العشاء في منزل هذا الرجل الفرنسي، صيده الثمين، بسبب بناته الثلاث. وقال إنه مستعد لأخذ أية واحدة منهن. إنه على طاولة العشاء، ويظن أنه يقوم بعمله جيداً، ويخبرهن عن صديقه، أحد الأمراء العرب، المتزوج بثلاث نساء، وجميعهن شقيقات. لكن الفتيات الفرنسيات اكتفين بالتحديق به طويلاً، وينتهي العشاء على الفور، تقريباً».

«هل تظنين أن هؤلاء الرجال يفهمون الأمر؟ هل تعتقدين أنهم يدركون كم هم مثيرون للشفقة؟» سألت سامانثا.

«كلا»، قالت ماجدة.

«أنا أعاني»

في اليوم التالي، أجرى سيمون بيرستوك العديد من الاتصالات، من بهو الدرجة الأولى، في مطار كينيدي الدولي. أحد هذه الاتصالات إلى امرأة شابة، كان على علاقة غرامية بها منذ عدة سنوات.

«أنا في طريقي إلى سياتل»، قال سيمون. «لا أشعر بأني بخير».

«حقاً». بدت المرأة سعيدة لسماعها هذا.

«لسبب من الأسباب الجميع يقولون لي إن سلوكي مثير للريبة. بل يقولون إنه مثير للغثيان».

«هل تعتقد أنه مثير للغثيان؟».

«بعض الشيء».

«فهمت».

«لأن علاقتي بماري لا تسير على ما يرام، أخذتُ فتاة شابة جميلة، هي صديقة لي، إلى تلك الحفلة. إنها فتاة لطيفة. وودودة. والجميع اتفق ضدي

بهذا الخصوص».

«علاقاتك لا تسير على أكمل وجه أبداً، يا سيمون».

«هرعتُ إلى فتاة في المسرح كنت قد ارتبطتُ بها منذ بضع سنوات. لم أكن حقاً مهتماً بها كثيراً، وهكذا أصبحنا صديقين. أتت إلي وقالت: هل تعلم، لا أحب أن أنخرط معك في علاقة. ولا أتمنى لأي من صديقاتي التورط معك. لقد أسأت للكثير من الفتيات».

«نعم، لقد أسأت».

«ماذا يمكنني أن أفعل؟ أعاني من مشكلة عدم التفكير أبداً بأنني ألتقي الشخص المناسب. هكذا أخرج مع الناس. يا إلهي، يسوع! الجميع يفعل هذا». فاصل صمت. «كنتُ مريضاً البارحة». قال سيمون.

«هذا سيئ للغاية»، قالت المرأة. «هل ترغب بأحدٍ يعتني بك؟».

«ليس حقاً»، قال سيمون. «أعني أنني مرضتُ لبعض الوقت فقط، ... اللعنة. نعم. هذا صحيح. لقد فكرتُ بالأمر. هل تعتقدين أن لدي مشكلة؟ أرغب في رؤيتك، أن أتحدث عن المشكلة. ربما بمقدورك أن تساعديني».

«أنا مرتبطة بعشيق جدي الآن»، قالت المرأة. «أظن أننا ستتزوج. بصراحة، لا أظن أنه سيرحب بالموضوع إذا رآني خارجةً معك».

«أوه»، قال سيمون. «أوكي».

«ولكن إذا أردتَ الاتصال، فلا تتردد في ذلك».

إنه فصل عيد الميلاد في نيويورك. الحفلات. النجم في الشارع السابع والخمسين. الشجرة. في معظم الأحيان، لا تسير الأمور كما ينبغي. ولكن، بين الفينة والأخرى، قد يحدث شيء ما، ولا يتعثر.

كانت كيري في مركز روكفيلر، تفكر بأشباح عيد الميلاد في الماضي. منذ متى لم تكن هنا، قالت في نفسها، وهي تنتعل في ساقيها مزلجة الجليد؟ شزت رعشة خفيفة عبر أصابعها، وهي تربط شريط المزلجة حول الكلابات الصغيرة. ترقبت. تأمل أن يكون الجليد قاسياً وصافياً.

سامانثا جونز جعلتها تتذكر. في الآونة الأخيرة، كانت سامانثا تشتكي من عدم وجود عشيق لها. ومن افتقارها للحبيب خلال أيام العطلة، منذ سنوات وسنوات. «أنت محظوظة الآن»، أخبرت كيري، كلتاهما كانتا تعرفان أن هذا صحيح. «أتساءل إن كان هذا سيحدث لي يوماً»، قالت سامانثا. كلتاهما كانتا تعرفان ماذا تعني كلمة «هذا». «أمز بأشجار عيد الميلاد، وأشعر بالحزن»، قالت سامانثا.

سامانثا تمز بأشجار عيد الميلاد، وكيري تنزلج على الجليد. وتتذكر.

* * *

إنه عيد الميلاد الثاني، في نيويورك، بالنسبة لسكيبر جونسون، الذي جعل كل من التقاه يفقد صوابه. في إحدى الليالي، ذهب إلى ثلاث حفلات كوكتيل متتالية.

في الحفلة الأولى رأى جيمس، وهو فنان للتجميل. وجيمس كان في الحفلة الثانية والثالثة، أيضاً، وقد تحدث إليه سكيبر. مصفف الشعر، ريمي، أتى إلى سكيبر وسأله، «ما الذي تفعله مع هذا الشخص، جيمس؟ إنك أفضل منه بكثير».

«ما الذي تعنيه؟» قال سكيبر.

«لقد رأيتكما، أنتما الاثنين، معاً في كل مكان. ودعني أقل لك شيئاً. إنه مجرد خثالة. شخص انتهازي. يمكن أن تفعل أفضل من هذا».

«لكنني لست مثلياً»، قال سكيبر.

«أوه، بالتأكيد، يا عزيزي».

في الصباح التالي اتصل سكيبر بستانفورد بلاتش، كاتب السيناريو. «يظن الناس أنني مثلي، وهذا يسيء لسمعتي»، قال.

«من فضلك»، قال ستانفورد. «السمعة مثل مخابئ القطط. يمكن أن تتبدل يومياً. في الحقيقة، هذا ما ينبغي أن يكون. أضف إلى ذلك، لدي ما يكفي من المشاكل في الوقت الراهن».

اتصل سكيبر بريفر وايلد، الروائي المشهور. «أريد أن أراك»، قال.

«لا تستطيع»، قال.

«ولمَ لا؟».

«لأنني مشغول».

«مشغول بماذا؟».

«مشغول بمارك، عشيقي الجديد».

«لا أفهم هذا»، قال سكيبر. «كنتُ أظن أنني صديقك».

«يفعل لي أشياء لا تفعلها أنت».

مرّت لحظة صمت.

«لكنني أفعل لك أشياء لا يفعلها هو»، قال سكيبر.

«مثل ماذا؟».

صمتَ آخر.

«هذا لا يعني أنه يجب أن تظلّ معه طوال الوقت». قال سكيبر.

«يبدو أنك لا تفهم علي، يا سكيبر»، قال ريفر. «إنه هنا. أشياؤه هنا. ملابسه الداخلية. أشرطة السي دي. كرات شعره».

«كرات الشعر؟».

«يملك قطة».

«أوه»، قال سكيبر. ثم أردف: «تسمح بوجود قطة في شقتك؟».

اتصل سكيبر بكيري. «لا أستطيع أن أتحمل ذلك. إنه عيد الميلاد، والجميع مرتبط بعلاقة ما. الجميع إلا أنا. ماذا تفعلين اللّيلة؟».

«أنا وبيغ ماكنان في المنزل»، قالت كيري. «وأنا أطبخ».

«أريد منزلاً. ربما في كونيكتيكيت. أريد عشاً».

«سكيبر»، قالت كيري، «أنت في الخامسة والعشرين».

«لماذا لا تسير الأمور كما سارت في العام الماضي، حين لم يكن أحد مرتبطاً بعلاقة؟» قال بنبرة شكوى. «في اللّيلة الماضية، رأيتُ حلماً مذهلاً عن غاي غاردن»، قال، مشيراً إلى المرأة الشهيرة، والعضوة البارزة في المجتمع، وهي في منتصف الأربعين من عمرها. «كانت جميلة جداً، جداً. وحلمتُ بأنني أمسك يدها، وكلانا متيمٌ بالآخر حباً. ثم استيقظتُ، مستاءً

إلى درجة كبيرة، لأن الحلم لم يكن حقيقة. إنه ذاك الشعور فحسب. هل تظنين أن بالإمكان امتلاك هذا الشعور في الحياة الحقيقية؟».

قبل سنة، كانت كيري وسكيبر وريفر قد حضروا معاً حفلة عيد الميلاد التي أقامتها بيلي في منزل العائلة في الريف. كان سكيبر يقود سيارته المرسيدس، وريفر يجلس في المقعد الخلفي، كمن يتقفص شخصية البابا، ويجعل سكيبر يبذل محطات الراديو، حتى وجد محطة تبث موسيقى لا يطيقها. بعد ذلك، ذهبا معاً إلى شقة ريفر، بينما كان ريفر وكيري يتحدثان، وسكيبر يشتكي كيف أن سيارته زكنت بشكل غير قانوني. بعدئذ ذهب سكيبر إلى النافذة ونظر إلى الخارج، ووجد سيارته قد شحيت من مكانها. بدأ يصرخ، وطلب ريفر وكيري منه أن يخرس، ويكتب سطراً أو يدخن سيجارة حشيش، أو، على الأقل، أن يتناول كأس نبيذ أخرى. وحسبوا أن الأمر هستيري تماماً.

في اليوم التالي، ذهب ستانفور بلاتش مع سكيبر لإحضار سيارته من مركز الحجز. ووجدا أن أحد الإطارات مثقوب، فجلس ستانفورد داخل السيارة، يقرأ الجريدة، بينما راح سكيبر يغير العجلة.

العظم

«أحتاج لمن يُسدي لي معروفاً»، قال ستانفورد بلاتش.

يتناول، هو وكيري، غداءهما السنوي، بمناسبة عيد الميلاد، في مطعم هاري سيبرياني. «يجب أن أبيع بعض اللّوحات، خلال المزاد الذي تقيمه سوثبي. أريدكِ أن تجلسي بين الجمهور، وتنافسي عليها».

«بالتأكيد»، قالت كيري.

«بصراحة، أنا مفلس»، قال ستانفورد. بعد أن خسر استثماره في فرقة للروك، قطعت عائلة ستانفورد علاقتها به. ثم أنفق المال الذي جناه من مسرحيته التلفزيونية. «كنتُ ذاك الأحمق»، قال.

ثم هناك العظم. كان ستانفورد يكتب سيناريو مسرحية له، ويدفع له أقساط دروس التمثيل. «بالطبع، قال إنه ليس مثلياً»، قال ستانفورد، «لكنني لم أصدقه. لا أحد يفهم. أنا أعتني بهذا الشاب، اعتاد الاستسلام للنوم، وأنا أتحدث معه على الهاتف. تاركاً السماعة بين ذراعيه، تهدهده. لم ألتقِ شخصاً في حياتي، بهذه الهشاشة. إنه خليط عجيب».

منذ أسبوع، كان ستانفورد قد طلب من العظم الذهاب إلى احتفالية معهد الأزياء في صالة «ميت». لكنه فوّت الفرصة. «قلتُ له إن هذا هام

لتحسين حياته المهنية. لكنه صرخ في وجهي»، قال ستانفورد. «أصر على أنه ليس مثلياً، وأنني يجب أن أتركه وشأنه. وقال إنه لا يريد أبداً أن يتحدث إلي ثانية».

أخذ ستانفورد رشفة من كأسه. «ظن الناس أنني مغرم به سراً. لكنني لم أكن كذلك، على ما أظن».

«ضربني مرة. كنت في شقته. دخلنا في شجار. كنت قد هيأت له لقاء مع أحد المخرجين. قال إنه متعب جداً، وإنه يجب أن أغادر. قلت له: دعنا نتحدث في الموضوع. رماني باتجاه الحائط، ثم أمسك بي، حرفياً، ورماني على الدرج. بالطبع، كان يعيش في شقة رخيصة. صبيٌ جميل مثله. وما زالت كتفي تؤلمني منذ ذلك الحين».

الفرو الأبيض

كانت كيري تتلقى الشكاوى حول سكيبر من نساء أكبر منه سناً، مثل وكيلة كيري، التي تعمل أيضاً محررة في مجلة. اعتاد سكيبر أن يضع يده، من تحت الطاولة، على ركبهن، خلال حفلات العشاء، في كل أرجاء المدينة.

في الليلة التي سبقت احتفالية معهد الأزياء، كانت كيري تصفف شعرها، وتصرخ في وجه سكيبر، على الهاتف، حين وصل السيد بيغ إلى المنزل، حاملاً رزمةً كبيرة تحت إبطه. «ما هذا؟» سألت كيري.

«هدية لي»، قال السيد بيغ.

دخل إلى غرفة النوم، وخرج حاملاً معطفاً من الفرو الأبيض. «عيد ميلاد مجيداً».

«سكيبر، يجب أن أذهب الآن»، قالت كيري.

قبل ثلاث سنوات فقط، كانت كيري تعيش في شقة صغيرة، حيث السيدة، مالكة المنزل، كانت قد توفيت، قبل شهرين فقط. لم يكن لدى كيري أية نقود. أحد الأصدقاء أعارها قطعة من الإسفنج لتستخدمها كسرير. وكل ما كانت تملكه معطف فرو أبيض، وحقيبة من ماركة لويس فيتون، وكلاهما سرقا حين تعرضت الشقة لعملية سطو مدبرة. ولكنها، حتى قبل تلك الحادثة، كانت تنام على قطعة الاسفنج، وتتغطى بمعطف الفرو الأبيض، ومع ذلك ظلت تخرج للسهر كل ليلة. كان الناس يحبونها، ولم يكن أحد يطرح عليها أسئلة. ذات ليلة، ذعيت إلى حفلة أخرى، في شقة فخمة، تقع في جادة بارك. كانت تعرف أنها ليست المرأة المناسبة

لحفلة كهذه، ولكن، كان دائماً مغرياً أن تُجفل وجهها بمرأى الأطعمة المجانية، ولم تكن قادرة على فعل ذلك. بدلاً من هذا، التقت رجلاً يحمل اسماً. دعاها إلى العشاء، وقالت في نفسها، اللّعنة عليك، وعليكم جميعاً.

ذهبا إلى العشاء في مطعم إيليو، وجلسا على إحدى الطاولات الأمامية. ضحك الرجل كثيراً، وأكل كسرات خبز مطلية بالزبدة الباردة، بواسطة سكّينه. «هل أنتِ كاتبة ناجحة؟» سأل.

«لديّ قصة سوف تُنشر في مجلة (يوم المرأة) في الشهر المقبل». قالت كيري.

«(يوم المرأة)؟ من يقرأ (يوم المرأة)؟».

ثم أردف قائلاً، «أنا ذاهب إلى سانت بارتز لقضاء عيد الميلاد. هل سبق لكِ أن ذهبتِ إلى سانت بارتز؟».

«كلاّ».

«يجب أن تذهبي. يجب حقاً أن تذهبي. أستأجر فيلاً كل عام. الجميع يذهبون إلى سانت بارتز».

«بالتأكيد»، قالت كيري.

في المرة التالية التي تناولا فيها العشاء، غيّر رأيه، ولم يستطع أن يحسم أمره، ما إذا كان يريد الذهاب للتزلج في آسبن أو غشتاد أو سانت بارتز. سألها في أية مدرسة تلقّت تعليمها.

«مدرسة نايوغ الثانوية»، قالت. «في كونيكتيكيت».

«نايوغ؟» سأل. «لم أسمع بها أبداً. على فكرة، هل تظنين أنه يجب أن أقدّم هدية عيد ميلاد لعشيقتي السابقة؟ تقول إنها سوف تُحضر لي هدية. مهما يكن الأمر».

اكتفت كيري بالنظر إليه.

مع ذلك، تأجّل بؤسها بضعة أيام، حتى أدركت أنه لن يتصل ثانية.

قبل يومين من مناسبة عيد الميلاد، اتصلت به. «أوه، طائرتي على وشك الإقلاع»، قال.

«أين قررت الذهاب؟».

«سانت بارتز. في نهاية المطاف. سوف نقيم حفلة منزلية رائعة. جيسون مولد، المخرج السينمائي، وعشيقته، ستيللي ستين، سوف يحضران من لوس أنجلس. أتمنى لكِ عيد ميلادٍ مجيداً، أوكي! آمل أن يكون سانتا كلوز كريماً معك».

«عيد ميلاد مجيداً لك أنت أيضاً»، قالت.

في تلك الظهيرة، خرجت كيري في نزهة تزلّج على الجليد، وبدأت تنسج دورة إثر أخرى في مركز الحلبة، حتى طلبوا من الجميع المغادرة لأن الجولة انتهت. اتصلت بوالدتها. «أنا آتية إلى البيت»، قالت. بدأت تتلج في الخارج. استقلّت القطار من محطة «بين». لم تكن توجد مقاعد. وقفت في الممر، بين المقصورات. مرّ القطار ببلدتي راي وغرينتش. تحوّل الثلج إلى ندف قاسية. عبروا مزارع غرينز، وويستبورت، ثم المدن الصناعية الصغيرة، المتسخة. توقّف القطار، بعد أن تأخر بسبب الثلوج. بدأ الغرباء يتبادلون أطراف الحديث. إنه عيد الميلاد المجيد.

أشعلت كيري سيجارتها. ظلّت تفكّر بالرجل وجيسون مولد، وبالفتاة ستيللي ستين (بغض النظر عمن تكون)، وهي تستلقي حول بحيرة تحت السماء الزرقاء في سانت بارتز. ستكون ستيللي ستين مرتديةً «بيكيني» ناصع البياض، وقبعةً سوداء. سوف يرتشفون كؤوسهم، مستخدمين القشّات الطويلة. سوف يأتي الناس ويشاركونهم الغداء. الكلّ سيكون مرحاً، وجميلاً، وملفوحاً بالشمس.

نظرت كيري إلى الثلج، يلفح المقطورات، ويلج إلى الداخل، عبر شقّ في الباب. كانت تتساءل هل ستفلح في إنجاز أي شيء، على نحو صحيح.

إنه منتصف اللّيل. يجلس سكيبر في شقّته، ويتحدّث على الهاتف مع كاليفورنيا، ثم ما يلبث أن ينهض ويقف أمام النافذة. سيارة أجرة تتوقّف أمام المبنى، عبر الشارع. بوسعه أن يرى رجلاً وامرأة، يجلسان في المقعد الخلفي، ويتعانقان. تخرج المرأة، مرتديةً معطف فرو كبيراً، مع حوالى اثنتي عشرة شريطة من حرير الكشمير، معصوبةً حول رأسها. تنطلق سيارة الأجرة.

إنها ساماثا جونز.

بعد دقيقتين، رنّ جرس بابه.

«ساماثا»، قال سكيبر. «كنتُ أتوقّع قدومك».

«أوه، من فضلك، يا سكيبر. توقّف عن هذه الحماقات. كنتُ أتساءل ما إذا كان ممكناً أن أستعير بعض الشامبو»، قالت.

«شامبو؟ ما رأيك بكأس نبيذ؟» سأل سكيبر.

«كأس صغيرة»، قالت ساماثا. «واحذر أن تخطر على بالك أفكار غريبة، كأن تضع فيها مخدّراً أو شيئاً للإثارة».

«إثارة؟ أنا لا أتعاطى المخدرات. حتى الكوكايين لا أتعاطاه، أقسم لك. أوه! لا أستطيع أن أصدق أنك في شقتي».

«ولا أنا أيضاً»، قالت سامانثا. بدأت تتجول في غرفة الجلوس، وتلمس الأشياء. «هل تعلم، لست منظمة تماماً كما يظن الجميع».

«لماذا لا تخلعين معطفك؟» قال سكيبر. «اجلسي. هل ترغبين في ممارسة الجنس؟».

«أريد حقاً أن أغسل شعري»، قالت سامانثا.

«يمكنك أن تغسليه هنا»، قال سكيبر. «بعد أن ننام معاً».

«لا أظن ذلك».

«من هو ذاك الرجل الذي كنت تقبلينه في السيارة؟» سأل سكيبر.

«مجرّد رجل، إما أنني لا أريده، أو لا أستطيع الاستحواذ عليه»، قالت سامانثا. «مثلك تماماً».

«ولكن يمكنك الاستحواذ علي»، قال سكيبر. «أنا جاهز».

«بالضبط». قالت سامانثا.

أنت متكبر جداً

«يا كرزة»، قال صوت رجل من غرفة الجلوس. «أنا سعيد جداً لأنك أتيت لتراني».

«أنت تعرف أنني دائماً آتي لأراك»، قال العظم.

«تعال إلى هنا. لدي بعض الهدايا لك».

نظر العظم إلى نفسه في المرآة، المعلّقة داخل إطار الخزف، ثم توجه إلى غرفة الجلوس. رجلٌ في منتصف العمر، يجلس على الأريكة، ويرتشف الشاي، ويهزّ قدمه، التي تنتعل خفّاً إيطالياً، قبالة طاولة القهوة.

«تعال إلي. دعني أراك. أرى كيف كبرت في السن، خلال الشهرين الماضيين. لم تتأثر بالشمس بعد رحلتنا إلى بحر إيجه؟».

«لم تكبر في السن أبداً»، قال العظم. «إنك دائماً تبدو شاباً. ما سرّك؟».

«كريم الوجه الزائع الذي أعطيتني إياه»، قال الرجل. «ماذا كان اسمه ثانيةً؟».

«كيبل»، جلس العظم على حافة الخزانة الصغيرة.

«يجب أن تُحضر لي المزيد منه»، قال الرجل. «هل ما زلت تحتفظ بساعة اليد؟».

«ساعة اليد؟» قال العظم. «أوه، أعطيتها لأحد المشزدين. كان يسألني باستمرار عن الوقت، فحسبت أنه يحتاج إليها».

«أوه، أنت متكبر جداً»، قال الرجل. «تلعب بأعصابي بتلك الطريقة».

«هل من عادتي التخلّي عن أي شيء تقدمه لي؟».

«كلا»، قال الرجل. «الآن انظر ماذا أحضرت لك. كنزات كشميرية من كلّ الألوان. يجب أن تجربها، الواحدة تلو الأخرى».

«ما دمت سأحتفظ بها جميعاً». قال العظم.

حفلة ريفر

إنها حفلة ريفر وايلد السنوية بمناسبة عيد الميلاد. موسيقى صاخبة. أناس في كلّ مكان. بعضهم تحت قبو الدرج يتعاطى المخدرات. أحدهم ينظر من أعلى الشرفة، إلى رأس المشرف العام، الغافل في الأسفل. يتجاهل العظم ستانفورد بلاتش، الذي أتى بصحبة شابين، عارضين للأزياء، وصلا توأ إلى المدينة. سكيبر يقبل امرأة في الزاوية. شجرة عيد الميلاد تهوي أرضاً.

تحرر سكيبر من الفتاة وأتى إلى كيري. سألته لماذا يحاول دائماً تقبيل النساء. «أشعر بأن هذا واجبي»، قال، ثم سأل السيد بيغ، «ألم تدهش للسرعة التي انتقلت بها؟».

ثم انتقل سكيبر إلى ريفر. «كيف حدث أنك لم تعد تضعني على قائمتك أبداً؟ اشعر أن جميع أصدقائي يتخلّون عني. هذا بسبب مارك، أليس كذلك؟ إنه لا يحبني».

«إذا بقيت على هذا المنوال، فلن تجد أحداً يحبك»، قال ريفر. أحدهم كان يتقيأ في الحمام.

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كانت أرضية الشقة مغسولةً بالكحول، واحتلت الحمام كتيبةٌ من متعاطي المخدرات. هوت شجرة الميلاد أرضاً ثلاث مرات، وأضاع الجميع معاطفهم.

قال ستانفورد لريفر، «لقد تخلّيت نهائياً عن العظم. لم يسبق لي أن كنت على خطأ من قبل، ولكن ربما ليس الرجل مثلياً».

حدّق ريفر به، والذهول يعلو محياه.

«تعال، ريفر»، قال ستانفورد، سعيداً فجأة. «انظر إلى شجرتك لعيد الميلاد. انظر كم هي جميلة».

كانت كيري تغادر نادي بيرغدورف حين التقت صدفةً بوني إينتويستل.

«حلوتي!» قالت بوني. «لم أرك منذ سنوات. تبدين عظيمة!».

«أنتِ، أيضاً»، قالت كيري.

«يجب أن تتناولي الغداء معي. حالاً. أماليتا أمالفي - أجل، هي الأخرى في المدينة أيضاً، ومازلنا صديقتين - تحفلتني».

«ربما تنتظر مكالمة هاتفية من جيك».

«أوه، هل ما تزال تراه؟» رمت بوني شعرها الأبيض والأشقر، فوق كتف معطفها الفاتم جداً. «حجزتُ طاولة في الرقم واحد وعشرين. من فضلك، تناولي الغداء معي. لم أزر نيويورك منذ عام، وأنا أتشوق لسكب الطعام».

بوني في الأربعين من عمرها، ما تزال جميلة، وتعيش في لوس أنجلس، وأحياناً تعمل ممثلة تلفزيونية، ولكن قبل ذلك، عاشت في نيويورك سنوات عديدة. إنها تمثل خلاصة صافية لفتاة الحفلة، الفتاة البرية جداً، التي لن يفكر رجل أبداً بالزواج بها، لكن العديد حاولوا إغواءها.

«أريد طاولة في الخلف، حيث بإمكاني أن أدخن، ولا أحد يمكنه إزعاجنا»، قالت بوني. جلستا، وأشعلت بوني سيجاراً كوبياً. «الشيء الأول الذي أود الحديث عنه هو إعلان الزفاف ذاك». كانت تشير إلى ملحوظة حول زواج المرأة شلو- في السادسة والثلاثين، وجمالها ما يزال يُعد كلاسيكياً - برجل منزلي اسمه جيسون جينغسلي، خلال حفلة أقيمت في جزر غالاباغوس.

«حسناً، إنه غني ووسيم ومجذ»، قالت كيري. «ولطالما كان ودوداً معي».

«من فضلك، يا عزيزتي»، قالت بوني. «الرجال الذين هم على شاكلة جينغلز، وثمة مجموعة لابأس بها منهم في نيويورك، ليسوا من النوع الذي تحب امرأة الزواج بهم. يمكن أن يكونوا أصدقاء رائعين- يقظين، وحاضرين دائماً حين تكونين في ضائقة- وحين تكونين وحيدة في آخر الليل، وتشعرين بوحشة قاتلة، تهمسين إلى نفسك: حسناً، أستطيع دائماً الزواج برجل مثل جينغلز. على الأقل، بتلك الطريقة، لن أقلق أبداً من دفع أجرة البيت. لكنك تستيقظين في الصباح التالي، وتعيدين التفكير بالأمر، وتدركين أنه يجب عليك أن تنامي معه في سرير واحد، وتراقبيه وهو ينظّف أسنانه، وأشياء من هذا القبيل».

«قالت ساندرا إنه حاول مرة أن يقبلها»، قالت كيري. «قالت: لو كنت أريد كرة من الفرو في سريري، لأحضرت قطة». فتحت بوني علبة تجميلها، متظاهرة بأنها تتفحص رموشها، لكنها، كما اعتقدت كيري، كانت تنظر في أرجاء المطعم لترى ما إذا كان أحد ينظر إليها. «أحب أن أتصل بشلو واسألها مباشرة، لكنني لا أستطيع، لأنها انقطعت عن الحديث معي منذ سنوات»، قالت. «وللغرابة، فقد تلقيت دعوة لحضور أحد النشاطات الخيرية لمصلحة متحف في الجانب الشرقي الأعلى من المدينة، وهناك رأيت شلو، تترأس إحدى الجلسات. لم أكن قد حضرت نشاطاً منذ سنوات، لكنني فكرت عندئذ بدفع ثلاثمئة وخمسين دولاراً، ورؤية الامور بنفسي. بتلك الطريقة وحدها كنت قادرة على رؤيتها عن كثب».

أطلقت بوني ضحكتها الشهيرة، واستدارت بعض الرؤوس ناظرة إليها. «قبل بضع سنوات، حين كنت في وضع مزرٍ، وحول منخري بقايا الكوكايين الجاف، كان والدي يتصل بي ويقول: عودي إلى البيت. وكنت أقول له: لماذا؟ فيجيب: لكي أراك. وإذا رأيتك أستطيع أن أعرف إن كنت بخير أم لا».

«الأمر ذاته ينطبق على شلو. لو أستطيع أن أراها فقط، سأعرف كل شيء. هل هي مملوءة باحتقار الذات؟ هل تتعاطى البروزاك؟».

«لا أظن ذلك»، بدأت كيري تقول.

«أم هل تظنين أنها مزت بتجربة دينية فائقة؟» تابعت بوني. بعض الناس يفعلون ذلك هذه الأيام. يبدو هذا ضرباً من الأناقة.

«على أية حال، لدي أسبابي التي تدفعني للمعرفة. قبل بضع سنوات، كنت على وشك الزواج برجل على شاكلة جينغلز»، قالت بنبرة بطيئة. «لم تُحسم المسألة بعد، وربما لن تُحسم أبداً».

«دعينا نحتسي الشامبانيا. أيها النادل؟» رفعت بوني أصابعها عالياً. ثم أطلقت تنهيدة. حسناً. «بدأ الأمر برمته بعد انفصال بشع مع رجل سوف أسفيه دومينيك. مصرفي إيطالي، يصنف نفسه من السوقيين الأوروبيين، وهو فخورٌ بذلك، وله شخصية العقرب، تماماً مثل والدته. بالطبع كان يعاملني كأنني حثالة، وقد تحققت ذلك، ويا للغرابة، لم أكن أنزعج كثيراً. على الأقل ليس قبل النهاية حين شربتُ الكثير من شاي الفطر المخدر في جامايكا، وأدركتُ أنه لم يكن يحبني، على أية حال. لكنني كنت شخصاً مختلفاً في تلك الآونة. كنت ما أزال جميلة - تعلمين، كان الغرباء يعترضون طريقي في الشارع، وشيء من هذا القبيل - وتربية حسنة في صغري لفتاة ترعرعت في بلدة صغيرة في «مين». ولكن في الداخل، لم أكن لطيفة

أبداً. لم تكن لدي مشاعر على الإطلاق، عاطفيةً كانت أو حسيةً. لم أقع في الحب قط».

«السبب الوحيد الذي جعلني أعيش مع دومينيك ثلاثة أعوام، هو، أولاً، أنه طلب مني أن أمتطيه في أول موعد غرامي بيننا، وثانياً لأن لديه شقة فاخرة مؤلفة من غرفتين للنوم، تطلّ على الضفة الشرقية لنهر هدسون، ويملك بيتاً ضخماً في شرق هامبتون. لم يكن لدي مال، ولا عمل - كنت أسجل صوتي على بعض الحوارات، وأنشد بعض المقطوعات في الإعلانات التجارية».

«وبالتالي حين انفصلت عن دومينيك - اكتشف أنني على علاقة وجعلني أرجع له مجوهرات كان قد اشتراها لي - قررت أن ما أحتاج إليه هو الزواج، وبسرعة».

«انتقلت إلى شقة أحد الأصدقاء»، قالت بوني، «وبعد أسبوعين فقط التقيت دودلي في تشستر - الحانة الواقعة على الضفة الشرقية من المدينة، ويرتادها شبان يافعون. بعد خمس دقائق من اللقاء به، شعرت بانزعاج كبير. كان يرتدي حذاء رياضياً، وقبعة بيسبول، وقميصاً من ماركة رالف لورين. شفتاه رطبتان. طويل القامة، نحيل، بدون ذقن تقريباً، وعيناه مثل بيضتين مسلوقتين، وله جوزة حلق ضخمة، نافرة. يجلس على طاولتنا، من دون دعوة، ويصر على طلب المارتيني للجميع. يحكي نكاتاً بذيئة، ويسخر من حذائي الأصغر من القياس العادي. قال: أنا بقرة، ارتديني. قلت: اعذرني، لكنني أظن أنك الثور الضخم. شعرت بالحرج لأنني شوهدت وأنا أتحدث إليه».

«في اليوم التالي، لم يكذب خبراً، واتصل بي. قال: أعطاني رقمك شلبي. وشلبي هذا صديق لي، تربطه علاقة قرابة بجورج واشنطن. يمكن أن أكون فظة، ولكن إلى حد معين. قلت: لم أكن أعلم أنك تعرف شلبي. قال: بالتأكيد، أعرفه. مذ كنا في الحضانة. حتى في ذلك الحين، كان يبدو شخصاً أبله.

قلت له: كان أبله؟ وماذا عنك أنت؟

إنها غلطتي. كان ينبغي أن لا أبدأ معه أبداً. وقبل أن أدرك، أخبرته عن انفصالي عن دومينيك، وفي اليوم التالي أرسل لي الزهور، لأن الفتاة الجميلة، كما قال، لا ينبغي أن تشعر بالإحباط لأن عشيقها هجرها. اتصل بي شلبي وقال إن دودلي شخص عظيم. قلت له: نعم، ولكن ما العظيم فيه؟ قال: إن عائلته تملك نصف منطقة نانتكت.

ظلّ دودلي مثابراً. أرسل لي الهدايا - دبية محشوة، وفي إحدى المرات أرسل سلّة من جبنة فيرمونت. كان يتصل ثلاث أو أربع مرات في اليوم. في البداية، كاد يُخرجني عن طوري. ولكن بعد وهلة، اعتدتُ دمه الثقيل، وبتُ أتطلّع، نوعاً ما، لسماع مكالماته الهاتفية. كان يُصغي، مذهولاً، لأبسط تفصيل سخيف من حياتي اليومية العادية: مثلاً كيف فقدتُ أعصابي حين اشترت يوفن مجموعة شانيل جديدة، وأنا لم أستطع ذلك، وكيف طردني أحد سائقي التاكسي من سيارته لأنني كنتُ أدخّن، وكيف جرحتُ كاحلي للمرة الثانية أثناء حلاقة ساقي. كان ينصب فخاً لي، وكنتُ أعرف ذلك، لكنني كنتُ أظن أنني قادرة، من بين كلّ الناس، على أن لا أقع فيه.

ثم كانت دعوة نهاية عطلة الأسبوع، بواسطة شلبي الذي اتصل بي وقال: دودلي يرغب بأن نذهب إلى منزله في نانتكت. قلتُ له: ليس وأنت حي. قال: بيته جميل، وعتيق، ويقع على الشارع الرئيسي. سألته: عن أيّ بيتٍ من بيوته تتحدث؟ قال: أظنّ أحد بيوته المسقوفة بالقرميد. قلتُ: تظنّ؟ قال: أنا متأكد تماماً. ولكن في كل مرة أكون فيها هناك، أتعرّض لخيبة أمل كبيرة، وبالتالي، أنا حقاً لا أتذكّر. قلتُ له: إذا كنتَ تتحدث عن أحد بيوته القرميد فسأفكّر بالأمر.

بعد عشر دقائق، اتصل دودلي نفسه وقال: اشتريتُ لكِ بطاقة الطائرة، والمنزل من القرميد، نعم».

دودلي يرقص

«ليس لديّ إلى الآن شرح لما حدث في تلك الليلة. ربما كان ذلك بسبب الكحول أو الماريجوانا. أو ربما المنزل نفسه. حين كنتُ صغيرة اعتاد أبواي أن يمضيا الصيف في نانتكت. أنا أقول هذا، لكننا في الحقيقة، أمضينا أسبوعين في منزلٍ مستأجر. كنتُ أشارك إخوتي غرفةً واحدةً، وكان أبواي يغليان سرطان البحر، ويقذمانه في أطباق ساخنة.

«نمتُ مع دودلي خلال تلك العطلة. لم أكن أرغب بذلك. كنا أسفل الدرج، وعلى وشك أن أودّعه، وأتمنى له ليلة طيبة، حين مال نحوي، وبدأ يقبلني. لم أرفض ذلك. ذهبنا إلى سريره، وبينما كان يمتطيني، أتذكر أنني شعرتُ في البدء بأن ثمة شيئاً يخنقني، وهذا لم يكن، ربما، في مخيلتي، بما أن دودلي يبلغ طوله ستة أقدام، وإنشين، وشعرتُ بأنني أنام مع صبي صغير، لأن وزنه لم يكن يتجاوز مئة وستين باونداً، وليس على جسده شعر أبداً».

«ولكن، للمرة الأولى في حياتي، شعرتُ بأن الجنس عظيم. عشتُ لحظة تجلٍ حقيقية. ربما لو كنتُ مع رجل لذيذ ويعبدني، لكنت سعيدة. ولكن، مع ذلك، كنت خائفة من النظر إلى دودلي حين استيقظنا، خشية أن أشعر بالتفور منه».

«بعد مضي أسبوعين من عودتنا إلى المدينة، حضرنا نشاطاً خيرياً أقامه متحف على الجانب الشرقي. كانت تلك المرة الأولى التي نحضر فيها مناسبة رسمية معاً. تبعت ذلك سلسلة من حوادث الحظ العاثر، سوف تشمُ علاقتنا، في ما بعد. وصل متأخراً ساعة كاملة، ولم نستطع أن نجد سيارة أجرة لأن درجة الحرارة منة وخمس. وكان علينا أن نقطع المسافة، مشياً على الأقدام، ودودلي - كما كانت العادة - لم يكن قد تناول طعاماً في ذلك النهار، وكاد يُغمى عليه، حتى أتى أحدهم وأحضر له كأساً من الماء المثلج. ثم أصر على الرقص، الذي لم يتجاوز قذفي باتجاه أزواج آخرين. ثم دخن سيجاراً، وارتمى أرضاً. في غضون ذلك، ثابر الجميع على القول إنه شخص عظيم حقاً».

«باستثناء صديقاتي. أماليتا قالت: لكنك تستحقين من هو أفضل. هذا سخف. قلتُ لها: لكنه عظيم في الفراش. قالت: من فضلك، لا تجعليني أتقيأ».

«بعد مرور شهرٍ آخر، طلب دودلي، بشكل غير رسمي، يدي للزواج، وأنا وافقت. رافقتني مشاعر العار تجاه دودلي، لكنني ظللتُ أقول لنفسي سوف أتغلّب عليها. لكنه أبقاني مشغولة تماماً. كنا دائماً نتسوّق. أغراض للشقق. خواتم خطبة. قطع أثرية. سجّادات شرقية. فضة. نبيذ. ثم رحلات نهاية عطلة الأسبوع إلى نانتكت، ورحلات إلى «مين» لرؤية أهلي، لكن دودلي اعتاد التأخر عن مواعيده، ودائماً تريننه غير منظّم، وبالتالي كانت تفوتنا دائماً القطارات وسفن النقل».

«نقطة الانعطاف كانت حين فاتتنا سفينة إلى نانتكت للمرة الرابعة. ولم يكن أمامنا خيار سوى أن نمضي الليلة في فندق صغير. كنتُ أتضوّر جوعاً، وطلبتُ من دودلي أن يخرج ويُحضر لنا طعاماً صينياً. عوضاً عن ذلك، جلب رأساً مثلجاً من الخس، وحبات مقيتة من البندورة. كنتُ أستلقي في السرير، أحاول أن أصم أذني عن ضجة يُحدثها زوجان في الغرفة المجاورة، حين جلس دودلي خلف طاولة فورميكا، بسرواله الداخلي، وراح يبعد الأجزاء الفاسدة من البندورة بشوكته الفضية السويسرية من ماركة آمي تيفاني. لم يكن قد تجاوز الثلاثين، لكن كانت لديه عادات رجل في الخامسة والسبعين».

«في الصباح التالي، بدأتُ هجومي. قلتُ له: ألا تظنّ أنه يجب عليك أن تبذل عاداتك؟ وتكسب شيئاً من الوزن؟».

«بعد ذلك، بدا كلّ شيء فيه يُفقدني صوابي. ملابسه السخيفة، اللامعة. الطريقة التي يتصرّف بها، وكأنّ الجميع أصدقاء حميمون له. الشعرات الشقراء الثلاث فوق جوزة حلقه».

«كلّ صباح، كنتُ أحاول اصطحابه إلى نادي التمارين. كنتُ أقف هناك، وأجبره على رفع أثقال لا يزيد وزنها على خمسة باوندات، وتلك طاقته على الحمل. وقد كسب، في الحقيقة، بعض الوزن، لكنه سرعان ما كان يفقده ثانيةً. ذات ليلة، ذهبنا لتناول العشاء في شقة أهله، في الجادة الخامسة. كان الطباخ يُعدّ شرائح لحم الغنم. أصرّ دودلي على أنه لا يأكل اللحم، ورفع صوته في وجه أهله لأنهم لم يحسبوا حساباً لعادات أكله، وجعل الطباخ يهرع إلى المتجر لشراء أرزّ أسمر وقرنبيط. تأخر العشاء لمدة ساعتين، ولم يكن دودلي قد بدأ يلمس عشاءه. شعرتُ بالخزي. لاحقاً، قال لي والده: تأتين إلى العشاء في أي وقتٍ تشائين، ولكن اتركي دودي في المنزل».

«كان يجب أن أنهي العلاقة في تلك اللحظة، ولكن لم يكن يفصلنا عن عيد الميلاد سوى أسبوعين. في الأمسية التي سبقت عيد الميلاد، طلب دودلي يدي للزواج رسمياً، ومعه خاتم من عيار ثمانية قيراطات، أمام عائلتي كلّها. ثمة دائماً شيء غير طبيعي في تصرفاته، وعلى طريقة دودلي النموذجية، غرز الخاتم في حبة شوكولا غوديفا، وناولني الصندوق، وقال: من الأفضل أن تبدئي بالأكل».

«قلتُ له: لا أريد أن آكل الشوكولا الآن، ونظرتُ إليه تلك النظرة التي تجعله عادةً يقفل فمه».

«قال بلهجة مبطنة بالتهديد: أظن أن من الأفضل لكِ أن تفعلي، وما كان مني سوى أن بدأتُ بالأكل. كانت عائلتي تنظر والرعب في وجوه أفرادها. كان يمكن أن أقتلع سناً، وأسوأ، أعضّ وأختنق. مع ذلك، ظللتُ أقول نعم».

«لا أعلم إذا كنت جرّبتِ الارتباط بالشخص غير المناسب، ولكن حين يحدث هذا، تشعرين أنكِ في قطار لنقل البضائع، ولا يمكنكِ أن تتوقفي. هناك جولات الحفلات في جادة بارك، والعشاءات الصغيرة في مورتايمرز وبيلبوكيت. نسوة بالكاد أعرفهنّ سمعن بالخاتم، وتوصلن رؤيته. وأصرّ الجميع على القول: إنه شخص رائع».

«كنتُ أجيب: أجل، رائع. لكن، في داخلي، كنتُ أشعر بالحرقة. وأتى اليوم الذي يُفترض فيه أن أنتقل إلى شقّتنا الجديدة، المفروشة بشكل مثالي، والتي اشتريناها حديثاً، وتقع في الشارع الثاني والسبعين، في الشطر الشرقي من المدينة. حزمتُ صناديقي، وكان الحمّالون ينتظرون أسفل البناية حين اتصلتُ بدودلي.

«لا أستطيع أن أفعل هذا»، قلتُ.

«لا تستطيعين أن تفعلي ماذا؟» سأل.

أقفلتُ السماعة.

«عاد واتّصل بي. أتى إلى المنزل. غادر. أصدقاؤه اتصلوا به. خرجتُ، وأمضيتُ وقتاً صاخباً. الأصدقاء في الشطر الشرقي العلوي شحذوا سكاكينهم. وبدأوا يخترعون القصص: قالوا إنني شوهدتُ في بيت أحدهم في الرابعة صباحاً، أرتدي جزمة كاوبوي فقط، وإنني مارست الجنس مع أحدهم في ناد، وإنني أحاول رهن خاتم الخطوبة، وإنني أنقّب عن الذهب، وإنني اصطحبتُ دودلي في نزهة بالسيارة».

«ولم تكن هناك طريقة جيدة لإنهاء هذه الأشياء. انتقلتُ إلى استديو صغير في حيّ قذر على جادة يورك أستطيع تحمّل نفقاتها، وبدأتُ أعمل على حياتي المهنية. ساءت الأمور كثيراً لدى دودلي. أصيب سوق العقارات بالانهيار، ولم يستطع أن يبيع الشقة. كلّ هذا كان غلطتي. غادر دودلي المدينة. انتقل إلى لندن. أيضاً، غلطتي. رغم أنني بقيتُ أسمع عن الوقت العظيم الذي كان يُمضيه في لندن. كان على علاقة غرامية مع ابنة دوق قبيحة».

«الجميع ينسى أن السنوات الثلاث التي تلت هذا كانت مريرة جداً بالنسبة إليّ. جهنّم خالصة. ورغم أنه لم يكن لديّ النقود، وكان يجب أن آكل الهوت دوغ في الشارع، وعلى وشك الإقدام على الانتحار في معظم الأوقات - اتصلتُ في الحقيقة مرة بالخطّ الساخن للمنتحرين، لكن ظهر أحدهم ليدعوني إلى حفلة - وأقسمتُ إنني لن أعود إلى تلك الحالة أبداً، أن لا آخذ فلساً واحداً من أي رجل. من الفظاعة أن يتعرّض شخص للأذى بتلك الطريقة».

«ولكن هل تعتقدين حقاً أن السبب يكمن في الطريقة التي يظهر بها؟» سألت كيري.

«فكّرتُ بهذا طويلاً. الشيء الوحيد الذي نسيتُ أن أذكره هو أنه في كلّ مرة كنتُ أصعد معه إلى السيارة، كنتُ أخلد للنوم. لم أكن قادرة، حرفياً، على فتح عينيّ. الحقيقة هي أنه كان مضجراً إلى حدّ كبير».

ربما بدأت الشامبانيا تفعل فعلها، لكن بوني ضحكت كأنها غير متأكدة.
«أليس هذا مرعباً؟» قالت.

ذهبت كيري إلى آسبن على متن طائرة «ليرـ». كانت ترتدي معطف فرو أبيض، وثوباً قصيراً، وجزمةً من الجلد الأبيض. بدا لها أن تلك هي الملابس المناسبة التي يجب أن ترتديها على متن طائرة «ليرـ»، لكنّ الأمر لم يكن كذلك. الذين سافرت معهم، وأولئك الذين يملكون الطائرة، كانوا يرتدون ملابس الجينز، وكنزات مزخرفة جميلة، وأحذية خاصة ضد الثلج. شعرت كيري بالدوار. وحين توقفت الطائرة للتزوّد بالوقود في لينكولن، نبراسكا، أتى الطيّار ليساعدها على هبوط السلّم. كان الجو دافئاً قليلاً، وتجوّلت ذهاباً وإياباً، مرتديةً معطفها الأبيض، ونظّارتها الشمسية، تدخّن السجائر، وتنظر باتجاه الحقول الصفراء المنبسطة، التي لا حدود لها.

كان السيد بيغ ينتظر في المطار، في آسبن. يجلس في الخارج، مرتدياً معطفاً بنّياً أنيقاً، وقبّعة بنية أنيقة، ويدخّن سيجاراً. حين مشى عبر ممرّ الهبوط، كان أول شيء يقوله هو، «تأخّرت الطائرة. وأنا أتجمّد من البرد».

«لماذا لم تنتظر في الداخل؟» سألت كيري. ركبا السيارة عبر المدينة الصغيرة، التي تشبه دميةً وضعها أحد الأطفال، بمحبة، عند قاعدة شجرة عيد الميلاد. ضغطت كيري بأصابعها على عينيها وتنهّدت. «سوف أسترخي، أعتني بصحّتي»، قالت. «أطبخ».

وصل ستانفورد بلاتش أيضاً على متن طائرة خاصة. كان يمكث مع صديقة طفولته سوزانا مارتن. بعد حفلة ريفر وايلد، كان قد أخبر سوزانا، «أريد أن أقلب صفحة جديدة. إننا صديقان حميمان، ويجب أن نفكّر، حقاً، بالزواج. بهذه الطريقة سوف أسترجع حقوقي بالميراث، وبأموالك وأموالي مجتمعةً، ويمكن أن نعيش بالطريقة التي لطالما رغبنا بها».

سوزانا امرأة في الأربعين من عمرها، نحّاتة تضع ماكياجاً فاقعاً، وترتدي قطعاً ضخمة من المجوهرات. لم تكن قد تصوّرت نفسها داخل مؤسسة الزوجية، على أية حال. «غرفتا نوم منفصلتان؟» سألت.

«طبيعي». قال ستانفورد.

سكيبر جونسون سافر على متن طائرة تجارية، رافعاً سوية بطاقته إلى الدرجة الأولى، معتمداً على المسافة بالأميال. كان يقضي العطلة مع أهله، وشقيقتيه الصغيرتين. كان يقول في نفسه، يجب أن أجد عشيقة. هذا ضرب من الشخف. وتخيّل أن تكون المرأة المحظوظة، أكبر سناً، بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، ذكية، جميلة، ومسلّية إلى أبعد حدّ. امرأة

تستطيع أن تبقيه مهتماً. في السنة الأخيرة، كان قد أدرك أن الفتيات اللواتي من فئته العمرية، مضجرات. ينظرن إليه كثيراً كمثل أعلى، وهذا مدعاةٌ للخوف.

علّم السيد بيغ كيري كيف تتزلّج. أحضر لها بذلة تزلج جديدة، مع قفازين، وقبعة، وملابس داخلية طويلة. وأحضر لها أيضاً ميزان حرارة صغيراً، معقوداً إلى القفازين - وهو الشيء الوحيد الذي توسلت إليه كي يشتريه لها. ظل يرفض ذلك حتى خضعت، ثم وافق على شرائه لها مقابل ليلة حمراء يقضيها معها، رغم أنه لم يكن يُكلّف أكثر من أربعة دولارات. في المنزل الذي استأجراه أنزل سخاب بذلتها للتزلج، ورفعت يديها عالياً، وارتدى قفازيها. أمسك بميزان الحرارة المصغّر، فقالت، «سوف تكون سعيداً لأننا اشتريناه. الطقس بارد جداً في الخارج». ضحك، وتبادلا القبل.

كان السيد بيغ يدخن السيجار على السكّة، ويتحدّث على جهازه الخلوي. ثم ينهض ويلحق بكيري، متزلجاً خلفها على المنحدرات، مراقباً المسار للتأكد أن لا أحد سوف يصطدم بها. «يمكنك فعل ذلك»، كان يقول لها، وهي تنهي الدورة وراء الأخرى، سائرة بشكل مائل أسفل الجبل. كانت تقف أسفل المنحدر، مستخدمةً يدها لتحمي عينيها، وهي تراقب السيد بيغ يتزلج باتجاهها، على المضمار.

في المساء، كانا يتلقيان الرسائل، ثم يذهبان إلى الحوض الدافئ. في الليل، حين يكونان مستلقيين معاً على السرير، كان السيد بيغ يقول، «إننا قريبان الآن، أليس كذلك؟».

«نعم»، قالت كيري.

«أتذكرين كيف كنت تقولين إننا يجب أن نقترب أكثر؟ لم تعودي تقولين هذا الآن».

فكرت كيري في نفسها، لا يمكن للأمور أن تكون أفضل من هذا أبداً.

«أبحث عن طائرة»

كان ستانفورد بلاتش يتجوّل فوق قمة جبل آسبن، منتعلاً جزمةً خاصة بالتزلّج، وحول عنقه منظار، وكان ذاهباً في طريقه للقاء سوزانا، في مسكنهما، لتناول الغداء معها حين سمع صوتاً مألوفاً يصرخ «ستانفورد!» متبوعاً بكلمة، «انتبه!» التفت ورأى أن سكيبر جونسون كان على وشك أن يدهسه، ما جعله يقفز بمهارة إلى ضفة ثلجية، ويتجنب الاصطدام. «عزيزي، عزيزي سكيبر»، قال.

«ألا تحب الاصطدام بأصدقائك حين تكون في عطلة؟» سأل سكيبر.

كان يرتدي بذلة تزلج تشبه ما يرتديه الصبي سكوت أثناء الطقس البارد: سترة فضفاضة صفراء اللّون، وقبعة ذات غطاءين نافرين للأذنين.

«هذا يتوقف على الأصدقاء، وكيف يصطدم المرء بهم»، قال ستانفورد.

«لم أكن أعلم أنك مراقب عصافير»، قال سكيبر.

«أنا لا أبحث عن العصافير، بل أبحث عن طائرة»، قال ستانفورد. «أتحرى الطائرات الخاصة لأعرف أي الأنواع سوف أشتري».

«سوف تشتري طائرة؟» سأل سكيبر.

«قريباً»، قال ستانفورد. «أفكر بالزواج، وأريد أن أكون متأكداً من أن زوجتي تنتقل براحة تامة».

«زوجتك؟».

«نعم، يا سكيبر»، قال ستانفورد بصبر. «وحقيقة الأمر أني الآن في طريقي لتناول الغداء معها. هل تحب أن تلتقي بها؟».

«لا أستطيع أن أصدق ذلك»، قال سكيبر. «حسناً»، قال، نافضاً غضويه، «أنا للتو مرتبط بثلاث فتيات مختلفات. فلماذا لا تكون أنت مرتبطاً أيضاً؟».

رمقه ستانفورد بنظرة مشفقة. «عزيزي، يا عزيزي سكيبر»، قال. «إلى متى سوف تتظاهر بأنك لست مثلياً؟».

كيري والسيد بيغ ذهبا لتناول عشاء رومنسي في مطعم باين كريك كوكهاوس. قادا السيارة عبر طرقات الجبل، ثم ركبا زلاجة يجرها حصان باتجاه المطعم. كان الليل دامساً والسماء صافية، وتحدث السيد بيغ عن جميع النجوم، وكيف كان فقيراً في صغره، وترك المدرسة في الثالثة عشرة، ووجد عملاً، قبل أن يلتحق بسلاح الجو.

جليا كاميرا من طراز بولارويد والتقطا صوراً لبعضهما داخل المطعم. شربا النبيذ، وأمسك كلٌ منهما بيدي الآخر، وتملت كيري قليلاً. «اسمع. أريد أن اسألك شيئاً».

«بالتأكيد، هيا»، قال السيد بيغ.

«هل تعلم في بداية الصيف، حين لم يكن قد مضى على علاقتنا أكثر من شهرين وقلت إنك تريد أن ترتبط بنساء أخريات؟».

«نعم»، قال السيد بيغ بحذر.

«ثم ارتبطت بعارضة أزياء لمدة أسبوع؟ وحين رأيتك، بدوت مرعباً، وصرخت في وجهك، وحدث ذاك الشجار العنيف أمام حانة بويري؟».

«لكم خشيت عندئذ أنك لن تتحدثي إلي ثانيةً أبداً».

«أريد فقط أن أعرف»، قالت كيري،« لو كنت مكاني، ماذا كنت فعلت؟».

«أظن أنني لن أتحدث إليك ثانيةً أبداً».

«هل هذا ما كنت تريده؟» سألت كيري. «هل كنت تريديني أن أتركك؟».

«كلا»، قال السيد بيغ. «كنت أريدك أن تظلّي قريبة مني. كنت مرتبكاً ومشوشاً».

«لكن، لو كنت مكاني، لغادرت».

«لم أكن أريدك أن تغادري. يعني، لم أكن أعلم. كان بمثابة امتحان»، قال.

«امتحان؟».

«لأرى إن كنت حقاً تحبينني. كان يكفي أن تظلّي قريبة مني».

«لكنك تجرح مشاعري حقاً»، قالت كيري. «كيف يمكنك أن تجرحني بهذه الطريقة؟ لن أنسى هذا ما حييت - تعرف ذلك؟».

«أعرف، حبيبتي، أنا آسف»، قال.

حين عادا إلى منزلهما، وجدا رسالة على آلة التسجيل من صديقهما روك جيبرالتر، الممثل التلفزيوني. «أنا هنا»، قال. «مقيم مع تايلور كيد. شاب، سوف تحبانه».

«هل هو تايلور كيد، الممثل؟» سأل السيد بيغ.

«يبدو أنه كذلك»، قالت كيري، مدركة أنها تحاول أن تبدو غير مكترثة البتة.

بروميثيوس طليقاً

«كان هذا رائعاً تماماً»، قال ستانفورد. كان هو وسوزانا يجلسان على الكنبة، أمام المدفأة. كانت سوزانا تدخن سيجارتها. أصابعها نحيلة وأنيقة، في نهاياتها أظافر حمراء، مشذبة بعناية فائقة. كانت تلف جسدها برداء داكن من الحرير الصيني. «شكراً لك، عزيزي»، قالت.

«أنت حقاً الزوجة المثالية، أتعلمين ذلك؟» قال ستانفورد. «لا أستطيع أن أتخيل أنك لست متزوجة منذ زمن».

«الرجال الأسوياء يسببون لي الملل»، قالت سوزانا، «بشكلٍ أو بآخر. غالباً ما تكون بداياتهم جيدة، لكنهم سرعان ما يصبحون كثيري المطالب.

وقبل أن تدرك ذلك، تبدأ تفعل كل ما يطلبونه، وتضيع حياتك هباءً منثوراً».

«لن نكون نحن كذلك»، قال ستانفورد. «هذا مثالي».

نهضت سوزانا على قدميها. «أنا ذاهبة إلى السرير»، قالت. «أريد أن أستيقظ باكراً وأذهب إلى التزلج. هل أنت متأكد أنك لا تريد أن تنضم إلي؟».

«على المنحدرات؟ أبداً»، قال ستانفورد. «ولكن يجب أن تعديني بشيء واحد. أن نمضي مساء آخر، ليلة غد، يشبه هذا بالضبط».

«بالتأكيد».

«أنتِ طباخة ماهرة حقاً. أين تعلّمت فن الطبخ؟».

«باريس».

نهض ستانفورد. «طابت ليلتك، يا عزيزتي».

«طابت ليلتك»، قالت. انحنى ستانفورد وطبع قبلة برينة على خدها. «حتى الغد»، قال ملوّحاً لها بيده، وهي تدخل غرفتها.

بعد بضع دقائق، عاد ستانفورد إلى غرفته. لكنه لم يخلد إلى النوم. عوضاً عن ذلك، أدار جهاز الكومبيوتر، وراح يعرض رسائله الإلكترونية. مثلما كان يأمل، كانت ثمة رسالة موجهة إليه. أمسك سماعة الهاتف وطلب سيارة أجرة. ثم انتظر خلف النافذة.

حين توقّفت السيارة، تسلّل من المنزل.

«نادي كاريبو»، قال للسائق.

ثم سارت الأمور كأنها في حلم رديء. أخذته التاكسي إلى شارع مرصوف بالحصى، وسط المدينة. سار ستانفورد في زقاق ضيق، تتوزع على جانبيه الحوانيت الصغيرة. ثم دخل باباً، وهبط على درج. امرأة شقراء، ربما في الأربعين من عمرها، لكنها، من خلال معجزات عمليات تجميل الوجه، وزراعة النهدين، تبدو أصغر بستوات خمس، كانت تقف خلف منضة خشبية.

«أنا على موعد مع شخص هنا»، قال ستانفورد، «لكنني لا أعرف ما اسمه».

نظرت إليه المرأة بريبة.

«انا ستانفورد بلاتش. كاتب المسرحيات التلفزيونية؟» قال.

«نعم؟» قالت.

ابتسم ستانفورد. «هل سبق لك أن رأيتِ فيلم (ضحايا الموضة)؟».

«أوه!» قالت المرأة. «أحببتُ ذاك الفيلم. هل أنت من كتبه؟».

«أجل، أنا».

«ما الذي تعمل عليه الآن؟» سألت.

«أفكر بكتابة فيلم عن أولئك الذين يجرون عمليات تجميل كثيرة»، قال.

«آه، يا إلهي!» قالت، «أعز أصدقائي...».

«أظن أنني رأيت أصدقائي الآن»، قال ستانفورد.

في أحد أركان النادي، رجلان وامرأة يشربون ويضحكون. اقترب ستانفورد. الشخص الجالس في الوسط نظر إليه. في الأربعين من عمره تقريباً، أسمر اللون، وشعره مصبوغ. لم يكن صعباً على ستانفورد أن يرى أنه أجرى عمليات تجميل لأنفه وخديه، وربما كان يرتدي شعراً مستعاراً.

«هرقل؟» سأل ستانفورد.

«نعم»، قال الشخص.

«أنا بروميثيوس»، قال ستانفورد.

نقلت الفتاة بصرها من الشخص إلى ستانفورد وبالعكس. «هرقل؟ بروميثيوس؟» سألت. «صوتها بغيض، وتتكلم من أنفها، وترتدي بلوزة رخيصة، وردية اللون، مغطاة بالوبر. لا تصلح لتنظيف سقيفة جذتي»، قال ستانفورد في نفسه، وقرر أن يتجاهلها.

«لا تبدو لي كثير الشبه ببروميثيوس»، قال هرقل، متمعناً أكثر بشعر ستانفورد الطويل وملابسه الفاخرة.

«هل تريد أن تدعوني للجلوس واحتساء بعض النبيذ، أم تريد فقط أن توجه لي الإهانات؟» سأل ستانفورد.

«أظن أننا يجب أن نوجه لك الإهانات فحسب»، قال الشخص الآخر، «من أنت، على أية حال؟».

«فاشل آخر التقيت به في الإنترنت»، قال هرقل. وأخذ رشفةً من كأسه.

«الفاشل لا يعرفه سوى الفاشلين»، قال ستانفورد.

«يا رجل. لا أعرف حتى كيف أشغل الكمبيوتر»، قالت الفتاة.

«أوجه البحث عن كل شخص يأتي إلى آسبن. ثم أقوم بالاختيار»، قال هرقل. «وأنت لم تنجح ... يختم الصفقة».

«حسناً، على الأقل أعرف كيف أختار طبيب التجميل المناسب»، قال ستانفورد بهدوء. «من العار أن يتذكر الناس عملية تجميلك ولا يتذكرونك». ابتسم. «طاب مساؤكم، يا سادة».

كانت كيري والسيد بيغ يتناولان الغداء، في الخارج، في استراحة ليتل نيل، حين التقيا روك جيبرالتر. وكذلك تايلور كيد.

تايلور كيد هو الذي رآهما أولاً. لم تكن له وسامة السيد بيغ. لكنه جذاب. وجهه خشن، وشعره أشقر طويل، وجسده هزيل. وقعت عينه على كيري. «أوه، آه»، قالت في نفسها.

ثم قال السيد بيغ، «روكو. عزيزي». ووضع سيجاره في فمه، ورنت كتف روك، ولمس ذراعه.

«كنتُ أبحث عنكما»، قال روك. ثم أردف، «هل تعرفان تايلور كيد؟».

«كلاّ، يا رجل»، قال السيد بيغ. «لكنني أعرف أفلامك. متى ستحصل على الفتاة؟» ضحكوا جميعاً، وجلسوا حول الطاولة.

«سمع بيغ كلاماً من إحدى فتيات الجبل»، قالت كيري، «لأنه كان يدخن سيجاراً في الفوندول».

«أوه، يا رجل»، قال السيد بيغ. «أنا أدخن السيجار يومياً في الفوندول، والفتاة تظل تقول لي التدخين ممنوع. وأقول لها سيجاري مطفأ»، قال لتايلور.

«سيجار كوبي؟» سأل تايلور.

«نعم، يا رجل».

«شيء مشابه حدث لي مرة في غشتاد»، قال تايلور لكيري. قالت في نفسها، إنه الشخص المثالي الذي يناسب كثيراً سامانثا جونز.

«أنتِ، عزيزتي، هل يمكن أن تناوليني المملحة؟» قال السيد بيغ، لامساً ساقها.

انحنت إلى الأمام، وتبادلا قبلة خفيفة على الشفتين. «المعذرة»، قالت.

نهضت. توجهت إلى مرحاض السيدات. كانت تشعر ببعض التوتر. لو لم أكن مع السيد بيغ ... قالت في نفسها. ثم فكرت أنه ليس من المناسب أن تفكر بتلك الطريقة.

حين عادت إلى الطاولة، كان تايلور يدخن السيجار مع السيد بيغ.

«حبيبتي، احزري ماذا؟» قال السيد بيغ. «دعانا تايلور للعب على زحافات الثلج. بعد ذلك، سوف نذهب إلى منزله، ونخوض سباق الزحافات».

«زحافات الثلج؟» قالت كيري.

«لدي بحيرة متجمدة في مزرعتي».

«أليس هذا عظيماً؟» قال السيد بيغ.

«أجل»، قالت كيري، «عظيم».

في تلك الليلة، تناولت كيري والسيد بيغ العشاء مع ستانفورد وسوزانا. وخلال الأمسية كلها، كلّما قالت سوزانا شيئاً، كان ستانفورد يمدّ جذعه ويقول، «أليست رائعة؟» ثم يُمسك يدها وتقول له، «أوه ستانفورد. يا لك من مغفّل»، وتضحك، وتسحب يدها، لترفع كأس نبيذها.

«أنا سعيد جداً أنك انتقلتَ أخيراً إلى الضفة الأخرى»، قال السيد بيغ.

«من قال شيئاً من هذا القبيل؟» قالت سوزانا.

«سوف أظلّ دائماً الملكة، إن كان هذا ما تخشينه»، قال ستانفورد.

خرجت كيري لتدخّن سيجارة. اقتربت منها امرأة وقالت، «ألديك ولاعة؟» واتضح لكيري أنّ هذه ليست سوى بريجيد، المرأة البغيضة التي التقت بها في حفلة ما قبل الزفاف، خلال الصيف الماضي.

«كيري،؟» قالت. «أهذا أنت؟».

«بريجيد!» قالت كيري. «ما الذي تفعلينه هنا؟».

«أتزلج»، قالت بريجيد، ثم نظرت حولها كأنها تخشى أن يسمعها أحد، وأردفت، «مع زوجي. لم نصطحب أطفالنا. تركناهم في منزل أمي».

«ألم تكوني حاملاً؟» سألت كيري.

«إجهاض»، قالت بريجيد. ثم نظرت حولها ثانيةً. «قولي، هل لديك سيجارة إضافية، مع أعواد التقاب، تلك؟».

«بالتأكيد»، قالت كيري.

«لم أدخّن منذ سنوات. سنوات. لكنني أحتاج لهذا». وأخذت نفساً عميقاً وطويلاً. «حين كنتُ مدخنة، لم أكن أدخّن سوى مارلبورو أحمر».

صوّبت كيري نحوها ابتسامة شريرة. «بالطبع كنت تفعلين». رمتْ سيجارتها على الرصيف، وسحقتها بجزمتها.

«هل تحفظين سرّاً؟» سألت بريجيد.

«أجل، ...»، قالت كيري.

«حسناً». أخذت بريجيد نفثة عميقة أخرى، وأخرجت الدخان من أنفها. «لم أذهب إلى المنزل في تلك الليلة».

«أوه»، قالت كيري، وهي تفكّر في سرها، «لماذا تخبرينني هذا؟».

«كلاّ، أعني، أنني لم أذهب إلى المنزل».

«أوه»، قالت كيري.

«هذا صحيح. لم أقضِ الليل مع زوجي. بقيت في الخارج طوال اللّيل. بل نمتُ، وأمضيت اللّيل، في الحقيقة، في ستوماس».

«فهمت»، قالت كيري، هازة برأسها. «هل كنتِ تتعاطين... أقصد... المخدرات؟».

«كلا»، قالت بريجيد. «كنتُ مع شخص آخر. ليس زوجي».

«تقصدين أنكِ...».

«نعم، نمتُ مع رجلٍ آخر».

«هذا مذهل»، قالت كيري. أشعلت سيجارة أخرى.

«لم أنم مع رجلٍ آخر منذ خمسة عشر عاماً. حسناً، ربما منذ سبع سنوات»، قالت بريجيد. «لكنني أفكر بترك زوجي، ولدي معلّم التزلج العظيم هذا، وقررتُ، ما الذي أفعله بحياتي الآن؟ قلتُ لزوجي إنّي خارجة، وذهبت للقاء الرجل، واسمه جاستن، معلّم التزلّج، في هذه الحانة المسفاة سنوماس، ثم ذهبتُ إلى شقّته، ومارسنا الجنس طوال اللّيل».

«هل يعرف زوجكِ بهذا؟» سألت كيري.

«أخبرته هذا الصباح حين وصلت. ولكن ماذا بإمكانه أن يفعل؟ لقد فعلتها وانتهينا».

«يا إلهي»، قالت كيري.

«إنه داخل المطعم الآن»، قالت بريجيد. «يتجسس هنا وهناك. قلت لجاستن إنني سأراه لاحقاً». أخذت بريجيد نفثةً عميقة أخيرة من سيجارتها. «هل تعلمين، كنتُ أعرف أنكِ الشخص الوحيد الذي يفهم»، قالت. «أريد أن أتصل بكِ. حين نعود، ينبغي أن نخرج معاً، ونُمضي ليلة حديثٍ بين فتاتين».

«عظيم»، قالت كيري. وفكّرت أن هذا بالضبط ما أحتاج إليه.

قدماي باردتان

ذهبا للعب على زحافات الثلج، مع تايلور وروك. قاد بيغ وتايلور السيارة بسرعة فائقة، وبعض الناس صرخوا احتجاجاً. بعدئذ، جعل السيد بيغ كيري تجلس في مؤخرة زحافته، وظلت تصرخ، طالبةً منه النزول، لأنها كانت خائفة من أن تنقلب الزحافة.

بعد مضي بضعة أيام، ذهبا إلى منزل تايلور. كان بمثابة قلعة في الغابة، وكان يملكه سابقاً أحد نجوم البورنو. داخل المنزل توجد سجادات صغيرة من جلود الدببة، ورؤوس حيوانات معلّقة على الجدران. شربوا الخمر، ومارسوا رمي السهام والنبال. ركبوا زحافات السباق، وفازت كيري بجميع السباقات. ثم خرجوا في نزهة إلى الغابة.

«أريد أن أذهب إلى الداخل. قدماي باردتان»، قال السيد بيغ.

«لماذا لا ترتدي حذاءً عازلاً؟» قالت كيري. وقفت على حافة الساقية، تدفع طبقات الثلج برأس حذائها. «لا تفعلي هذا»، قال السيد بيغ. «قد تقعين في الساقية؟».

«كلاّ، لن أقع»، قالت كيري. ركلت المزيد من الثلج باتجاه الساقية، وراحت تتفزج عليه كيف يذوب ويتلاشى. «لطالما اعتدتُ أن أفعل ذلك وأنا صغيرة».

كان تايلور يقف خلفهما. «دائماً تدفعين نفسك إلى الحد الأقصى»، قال. استدارت كيري، وحدق كلاهما بالآخر لجزء من الثانية.

خلال ليلتهما الأخيرة، ذهبوا جميعاً إلى حفلة في منزل بوب ميلو، وهو نجم سينمائي هوليوودي مشهور. يقع بيته على الجانب الآخر من الجبل، وللوصول إلى هناك، كان عليهم أن يركنوا سياراتهم، ويستخدموا زحافات الثلج. البيت مزيّن بقناديل يابانية، رغم أنه شهر شباط، والطقس ثلجي. داخل المنزل، يوجد ما يشبه الكهف، يضم حوضاً للسباحة، وجسراً عليك عبوره، لتصل إلى غرفة الجلوس.

كان بوب ميلو يجلس قبالة المدفأة. عشيقته، وزوجته التي سوف تصبح قريباً مطلّقته، تجلسان هناك أيضاً، وتبدوان مثل توأمين، باستثناء أن الزوجة تكبر العشيقة بسنواتٍ خمس. كان بوب ميلو يرتدي كنزة، وجزءاً سفلياً من ملابسه الداخلية الطويلة. طوله خمسة أقدام، ويرتدي شبشباً ناعماً، بأصابع مستدقّة، ما جعله يبدو مثل جني.

«أعمل ستّ ساعاتٍ في اليوم»، كان يقول حين قاطعه ستانفورد. «عفواً»، قال، «ولكن من صمم الديكور الداخلي لطائرتك؟».

حدّق ميلو به مذهولاً.

«كلاّ، أنا أعني ما أقول»، قال ستانفورد. «إني أفكّر بشراء طائرة خاصة، وأريد أن أكون متأكداً من اختيار فنان الديكور المناسب».

كانت كيري تجلس خلف الطاولة، تلتهم الفريدس والقواقع البحرية. كانت تتحدث إلى روك، وكلاهما كانا مثل قطتين صغيرتين مشاغبتين، يتهامسان نكاتاً حول الحفلة ويضحكان، وخبثهما يتصاعد شيئاً فشيئاً. كان السيد بيغ يجلس بالقرب من كيري، ويتحدث إلى تايلور، المحاط بامرأتين تحنوان فوقه. نظرت كيري إلى تايلور وفكّرت في نفسها، لكم أنا سعيدة بأنني لم أتوزط مع رجل كهذا.

عادت إلى وجبتها من الفريدس. فجأة تصاعدت جلبةٌ ما، مع وصول فتاة شقراء، تلوّح بذراعيها، وتتحدث بلكنة أجنبية، وقالت كيري في سرّها،

أوه، لقد سبق أن سمعتُ هذا الصوت، لكنها قررت تجاهلها.

قدمت الفتاة، وجلست، عملياً، في حضن السيد بيغ. كان كلاهما يضحكان حول أمرٍ ما. لم تلتفت كيري إليهما. ثم قال أحدهم للسيد بيغ، «منذ متى تعرفان بعضكما، أنتما الاثنين؟».

«لا أعلم. منذ متى؟» قالت الفتاة.

«ربما منذ عامين»، قال السيد بيغ.

«التقينا في فندق لا بلايس. في باريس»، قالت الفتاة.

استدارت كيري. ابتسمت. «مرحباً، يا راي»، قالت. «ماذا فعلتما؟ انفردتِ به في إحدى الزوايا، ومنحتِه إحدى قبلاتك الشهيرة؟».

سادت لحظة من الصمت الملدوغ، ثم بدأ الجميع يضحكون بشكل هستيري، ما عدا راي نفسها. «ما هذا الذي تتحدثين عنه؟ ماذا تقصدين؟» تابعت تقول، بلهجتها الغبية.

«هذه مزحة»، قالت كيري. «لم تفهمي؟».

«إذا كانت تلك فكرتك عن المزاح، فهذا ليس مضحكاً، حبيبتي».

«حقاً»، قالت كيري. «أنا آسفة. يبدو أن الجميع اعتبره مضحكاً للغاية. الآن، من فضلك، إذا لم تتركي حضن عشيقي، فسوف أعود إلى حديقتي».

«ما كان يجب أن تقولي هذا»، قال السيد بيغ. ونهض، وغادر الطاولة.

«اللعنة»، قالت كيري. مضت لتجده، لكنها، بدلاً من ذلك، دخلت في معمعة أخرى. كان ستانفورد يقف وسط الغرفة، وهو يصرخ. رجل أشقر يقف هناك، وخلفه يقف العظم.

«أيها القحب، العاهر، الرخيص»، كان ستانفورد يقول للعظم. «هل سبق أن أخبرك أحد بأنك مجزد داعر؟ كيف يمكنك أن ترضى بهذه الحثالة؟».

«مهلاً»، قال العظم. «قابلتُ هذا الشخص للتو. دعاني إلى الحفلة. إنه مجزد صديق».

«أوه، من فضلك»، قال ستانفورد. «من فضلك. هل يأتي لي أحد بكأس كي أرميها في وجهك؟».

عبرت راي، يرافقها سكيبر جونسون. «كنتُ دائماً أحلم ببرنامجي التلفزيوني»، تقول. «بالمناسبة، هل أخبرتك أني أنجبت طفلاً؟ أستطيع أن آخذك بين ساقي وأفعل لك ما لم تقدر عليه أية امرأة أخرى من قبل».

بعد ذلك، أقنعت كيري الجميع بالدخول إلى الحمام، وتدخين الماريجوانا، ثم خرجوا، ورقصت كيري رقصةً جامحة مع السيد بيغ، وظل الناس يأتون إليهما ويقولون، «أنتما أفضل راقصين في الحفلة».

غادرا الحفلة الساعة الواحدة، وعاد معهما إلى المنزل مجموعة من الناس. ظلّت كيري تشرب وتدخن المخدّر، حتى باتت، بالكاد، قادرة على المشي، ثم دخلت الحمام، وأفرغت كلّ شيء، وانطرحت أرضاً. تقيأت من جديد، وجاء السيد بيغ وأمسك برأسها، وقالت، «لا تلمسني»، وساعدها للوصول إلى سريرها، لكنها نهضت، وعادت إلى الحمام، وتقيأت من جديد. ولم يكن أمامها سوى أن تعود زاحفةً إلى السرير. استلقت على الأرض، قرب السرير، لبعض الوقت، وحين امتلكت بعض القوة لترفع رأسها، صعدت إلى السرير، وغطت في نوم عميق، مدركةً أن نثرات من القيء ما تزال عالقةً على شعرها، لكنها لم تكن لتأبه بذلك.

كان ليلاً صافياً، وبارداً. راح ستانفورد بلاتش يتجوّل، جيئة وذهاباً، بين صفوف الطائرات الخاصة في مطار آسبن. مرّ بالقرب من طائرات «ليرز»، و«وغلف ستريم»، و«سايتيشن» و«تشالنجر». وكلّما مرّ بالقرب من واحدة، كان يلمس أرقام الذيل، باحثاً عن رقم يعرفه، بل عن طائرة تقلّه إلى البيت في طريق عودته.

بدأت تبكي

«أنا لست غبياً، تعرفين ذلك»، قال السيد بيغ. كانا يجلسان في الدرجة الأولى، عائدين إلى المنزل.

«أعرف»، قالت كيري.

أخذ السيد بيغ رشفةً من نبيذه. أخرج كتابه، بغلافه الورقي. «أتعلمين، أنا حقاً رجل يمتلك وعياً».

«أوه، آه»، قالت كيري. «كيف حال الكتاب؟».

«لم يطرق بابي الكثير من الناس».

«بالطبع لن يفعلوا»، قالت كيري. «هذا هو السبب الذي يجعلك تكسب الكثير من المال».

«أنا مدرك لكل ما يجري تحت السطح»، قال السيد بيغ. «وأعرف أنك معجبة بذاك الشخص».

أخذت كيري رشفة من كأسها. «أووووم»، قالت. «أي شخص؟».

«تعرفين تماماً من أقصد. تايلور».

«أظن أنه لطيف. وأنت تعرف. لا بأس. ولكن ماذا يعني هذا؟».

«أنت معجبة به»، قال السيد بيغ، بكل تلقائية. وفتح كتابه.

تظاهرت كيري بأنها تقرأ. «أحبه كصديق».

«كنتُ هناك. رأيتُ كل شيء. من الأفضل أن لا تكذبي»، قال.

«أوكي»، قالت كيري. «أشعر بالانجذاب نحوه. قليلاً فقط»، وما إن نطقت بهذه الكلمات، حتى أدركت أنها ارتكبت غلطة، إذ إنها لم تكن منجذبة نحوه على الإطلاق.

«أنا شخص ناضج»، قال السيد بيغ. وضع كتابه جانبه، ووضع رجلاً على رجل. انتشل مجلّة من السلّة أمامه. «أستطيع تحمّل ذلك. لن يجرحني الأمر. عودي. عودي إليه، وعيشي معه، في قلعته. يمكنك أن تعيشي في قلعة، وترمي السهام والنبال طوال اليوم».

«ولكن لا أريد ان أعيش في قلعة»، قالت كيري. وبدأت تبكي. بكت، وهي تدير رأسها باتجاه النافذة. «لماذا تفعل هذا؟» سألت. «إنك تحاول التخلّص مني. إنك تتخيل كل هذه الأشياء في رأسك من أجل أن تتخلّص مني».

«قلتِ بعظمة لسانك إنكِ منجذبة إليه».

«قليلاً فقط». قالت كيري بصوت مبحوح. «وفقط لأنك جعلتني أقول هذا. كنتُ أعرف أن هذا سيحدث. كنتُ أعرف». وراحت تشهق وتبكي. «ما إن رأيناه، أدركتُ أنك ستفكّر بأنني أحبه، ولم يكن الأمر ليخطر على بالي البتة، لو لم تفكّر أنت بأنني حقاً أحبه. وكان عليّ أن أمضي الوقت كلّه، متظاهرةً بأنني لا أحبه، كي لا أسبب لك ازعاجاً، والسخيف في الأمر هو أنني لا أحبه حقاً. على الإطلاق».

«لا أصدقك»، قال السيد بيغ.

«إنها الحقيقة. أوه، يا يسوع»، قالت كيري. استدارت وبكت أكثر قليلاً، ثم مالت نحوه وهمست عالياً في أذنه، «أنا متيمة بك تماماً، وأظنك تعرف ذلك. لا أريد أبداً أن أكون مع أي رجل آخر. هذا ليس عدلاً. ليس من العدل أن تتصرف بهذه الطريقة». فتحت كتابها.

رنت السيد بيغ يدها. «لا تقلقي بشأن ذلك»، قال.

«الآن أنا متيمة»، قالت.

لم يكن مضى على بقائهما في نيويورك يومان عندما تلقّت كيري مكالمة من سامانثا جونز. «إذاً»، قالت.

«إذاً، ماذا؟» قالت كيري.

«هل من شيء كبير حدث في آسبن؟» سألت بصوتها الخبيث الهادل.

«مثل ماذا؟» سألت كيري.

«كنتُ متأكدة أنكِ ستعودين من هناك مخطوبة».

«كلا»، قالت كيري. أسندت ظهرها إلى مسند الكرسي ووضعت ساقيها فوق المقعد. «لماذا، بحق السماء، تفكرين بذلك؟».

«أنت، هناك! هل تذهبين إلى حفلة؟» إنها سامانثا جونز. كانت تتصل بكيري من معرض فلي في سوهو. «لم أرك منذ قرون».

«لا أعرف»، قالت كيري. «قلتُ للسيد بيغ إنني يمكن أن أعد له العشاء. إنه في الخارج الآن، في حفلة كوكتيل...».

«هو في الخارج، وأنت في المنزل تنتظرينه؟ أوه، هيا بنا»، قالت سامانثا. «إنه ولد كبير، ويستيطع أن يجهز عشاءه بنفسه».

«هناك النباتات أيضاً».

«نباتات!».

«نباتات منزلية، في الحقيقة»، قالت كيري. «طوّرتُ هذا الهوس الغريب في الآونة الأخيرة. بعض النباتات تُزرع من أجل أوراقها وتستخدم للزينة، لكنني لا أهتم بالأوراق الخضراء بل بالزهور فقط».

«الزهور؟» قالت سامانثا. «شيء جميل». وأطلقت ضحكتها الضافية التي تُشبه رنين الجرس. «خذي تاكسي. ينبغي أن تصلي خلال نصف ساعة، أو خمس وأربعين دقيقة في أبعد تقدير».

حين وصلت كيري إلى الحفلة، قالت سامانثا، «إنك تبدين جميلة. مثل مذيعات الأخبار».

«شكراً لك»، قالت كيري. «هذه هيئتي الجديدة. مثل إحدى زوجات ستيبفورد الأوائل». كانت ترتدي سترة رسمية زرقاء، ناعمة، مع تنورة تصل إلى ركبتيها، وخفين من الساتان، يعود طرازهما إلى خمسينيات القرن الماضي.

«شامبانيا؟» سألت سامانثا حين مز النادل حاملاً صينيته.

«كلا، شكراً. أحاول أن لا أشرب»، قالت كيري.

«جيد. سوف آخذ كأسك إذاً». أخذت سامانثا كأسين عن الصينية. أومأت برأسها لامرأة طويلة رشيقة، وسط الغرفة، ذات شعر أشقر طويل. «أترين تلك الفتاة؟» سألت. «إنها واحدة من تلك النسوة اللواتي يتمتعن بحياة مثالية. تزوجت في الخامسة والعشرين، من روجر، الشخص الجالس قربها. كاتب السيناريوهات. الأفلام الثلاثة الأخيرة التي كتبها حققت نجاحاً منقطع النظير. إنها مجرد فتاة، مثلنا، وليست عارضة أزياء، لكنها جميلة. التقت روجر، وهو، كما أظن، رجل محب ومجتهد، ومهذب، وجذاب، وخفيف الظل حقاً، وليس عليها أن تعمل أبداً، وزرقت بطفلين،

ولديها مربية، وشقة كبيرة في المدينة، وبيت مثالي في مقاطعة هامبتون، وليس لها أن تشغل بالها بأي شيء».

«وماذا يعني هذا؟».

«يعني أنني أكرهها»، قالت سامانثا. «غير أنها، بالطبع، لطيفة جداً».

«ماذا يعني أن لا تكوني لطيفة؟».

راحتا تنظران إلى الفتاة، وإلى الطريقة التي تتحزك بها في أرجاء الغرفة، وأطراف الأحاديث التي تتبادلها هنا أو هناك، وانحناءتها وهي تهمس، ضاحكةً، في أذن هذا أو ذاك. ملابسها مناسبة، وماكياجها مناسب، وشعرها مناسب، وثمة انسيابية تكتنفها، متأتية من شعور بمكانة رفيعة لا يمكن أن يزاحمها عليها أحد. نظرت إلى الأعلى، ورأت سامانثا، ولوحت لها بيدها.

«كيف حالكِ؟» سألت سامانثا بحماسة واضحة، وهي تقترب من طاولتها. «لم أركِ منذ... الحفلة الأخيرة».

«زوجكِ الآن هو حديث الساعة، أليس كذلك؟» قالت سامانثا.

«أوه، نعم»، قالت. «الليلة الماضية تناولنا العشاء مع...»، قالت، وذكرت اسم أحد مخرجي هوليود المشهورين. «أعلم أنه ينبغي أن لا تؤثر النجومية في السلوك، لكنها حالة مثيرة حقاً»، قالت، ناظرةً إلى كيري.

«وماذا عنكِ أنتِ؟» سألت سامانثا. «كيف حال طفليكِ؟».

«عظيمة. حصلت توأ على تمويل لإنجاز فيلمي الوثائقي الأول».

«حقاً»، قالت سامانثا. ووضعت حقيبتها على كتفها. «عمَ يتحدث؟».

«عن السياسيات المرشحات لهذا العام. أخذت موافقة بعض ممثلات هوليوود لقراءة النص. سوف نأخذه إلى إحدى المحطات التلفزيونية. ويجب أن أمضي وقتاً طويلاً في واشنطن، وقد أخبرتُ روجر والأطفال أن عليهم أن يعتادوا العيش بدوني خلال هذه الفترة».

«كيف سيتدبرون أمورهم؟» سألت سامانثا.

«حسناً، سامانثا، هذا ما أسأله دائماً عنكِ أنتِ»، قالت الفتاة. «أعني، لا يمكنني، مع مشروع كهذا، أن أنجزه لو لم أكن متزوجة. لقد منحني روجر الكثير من الثقة بالنفس. حين لا تسير الأمور على ما يُرام، أهرع إلى مكتبه، طالبةً النجدة. ليس بإمكاني القيام بالمشروع، لولا وجوده بقربي. لولاه أنهار، وأفشل في خوض أية مغامرة. لا أعلم كيف تتدبرن أموركن، أنتن اللواتي مضت عليكن سنوات وسنوات وأنتن عازبات».

«هذا يجعلني أمرض»، قالت سامانثا، حين مضت الفتاة وغادرت. «لماذا تحصل على تمويل لإنجاز فيلم وثائقي؟ لم تفعل شيئاً مهماً في

حياتها البئة».

«الجميع أضحوا نجوماً لامعين»، قالت كيري.

«أظن أن روجر سوف يحتاج لبعض الصحبة أثناء غيابها». قالت سامانثا، «أنا مستعدة، بالتأكيد، لأن أتزوج رجلاً من هذا النوع».

«تتزوجين رجلاً من هذا النوع»، قالت كيري وهي تُشعل سيجارتها. «تتزوجين رجلاً متزوجاً؟».

«أنتِ مدمنة على التنظير اللّعين»، قالت سامانثا.

«هل ستخرجين، في ما بعد، بعد أن ننتهي؟» سألت كيري.

«سوف أتناول عشاءً مع...»، قالت سامانثا، وسمت فناناً معروفاً جداً.

«هل ستعودين إلى المنزل؟».

«قلتُ لبيغ إنني سوف أجهز له عشاءً».

«هذا أمرٌ حسن. أن تجهزي العشاء»، قالت سامانثا.

«أجل، بالتأكيد»، قالت كيري. سحقت سيجارتها في المنفضة، وخرجت، عبر باب دوّار، باتجاه الشارع.

علاقة؟ يا للسخف

سامانثا تُمضي أسبوعاً هائلاً. «هل سبق لكِ أن أمضيتِ واحداً من تلك الأسابيع، حين تدخلين إلى غرفة، ويكون، لا أعلم كيف أشرح هذا، كلّ رجل في الداخل يريد أن يكون معكِ؟» سألت كيري.

ذهبت سامانثا إلى حفلة التقت خلالها رجلاً لم تكن قد رأته منذ سبع سنوات. إنه واحد من رجال الشطر الشرقي العلوي من المدينة، ممن كانت كل امرأة، قبل سبع سنوات، تشتهي أن تكون معه. إنه شاب وسيم، ينحدر من عائلة ثرية، متماسكة، ويبرم مواعيد غرامية مع عارضات الأزياء. الآن، كما يقول، هو يبحث عن علاقة.

في الحفلة، سمحت له سامانثا بأن يحشرها في زاوية. كان قد احتسى بضع كؤوس. «كنتُ دائماً أراكِ جميلة»، قال. «لكنني كنتُ أخاف منكِ».

«تخاف؟ مني؟» ضحكت سامانثا.

«أنتِ ذكية وصلبة. كنتُ أظن أنكِ سوف تمزقينني إرباً».

«أنتَ تقول إنك كنتَ تحسبني عاهرة».

«ليس عاهرة. فقط كنتُ أظن أنني لا أستطيع أن أجاريكِ».

«والآن؟».

«لا أعرف».

«أحب الأمر حين يفكر الرجال بأني أكثر ذكاءً منهم»، قالت سامانثا. «لأن هذا في الغالب صحيح».

ذهبا معاً إلى العشاء. المزيد من النبيذ. «يا الله، سامانثا»، قال. «لا أصدق أنني معكِ».

«ولم لا»، قالت سامانثا، رافعةً كأسها عالياً في الهواء.

«تابرتُ على القراءة عنكِ في الصحف. ولطالما رغبتُ بأن أتصل بكِ. لكنني كنتُ أقول، ولكنها مشهورة الآن».

«أنا لستُ مشهورة» قالت سامانثا. «لا أريد حتى أن أكون مشهورة». ثم راحا يُقبلان بعضهما.

لمست سامانثا ذاك الذي لا يُذكر اسمه، وكان كبيراً. «ثمة شيء يتعلّق بهذه الأعضاء الكبيرة»، قالت لاحقاً لكيري. «تجعلك ترغبين بممارسة الجنس».

«وهل فعلتِ هذا؟» سألت كيري.

«كلا»، قالت سامانثا. «قال إنه يريد أن يعود إلى المنزل. ثم اتصل في اليوم التالي. إنه يريد علاقة. هل تصدقين؟ يبدو الأمر سخيفاً جداً».

الببغاء الناطق

ذهبت كيري والسيد بيغ إلى منزل أهل كيري، لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. في منزلها، كان الجميع يطيخون. وكان السيد بيغ يبذل قصارى جهده لكي يتأقلم. «سوف أصنع المرق»، قال.

«لا تفسدها»، همست كيري وهي تمز بالقرب منه.

«ما العيب في المرق الذي أعده. أستطيع أن أعد مرقاً عظيماً»، قال السيد بيغ.

«في المرة الأخيرة التي أعددته فيها، وضعت فيه الويسكي أو شيئاً شبيهاً، وكان سيئاً للغاية».

«كان هذا أنا»، قال والدها.

«أوه، آسفة جداً»، قالت كيري بلؤم. «نسيتُ».

لم يتبس السيد بيغ ببنت شفة. في اليوم التالي عادا أدراجهما إلى المدينة، وتناولا العشاء مع بعض أصدقائه. جميعهم من الأزواج الذين مضى على زواجهم العديد من السنوات. البعض بدأ يتحدث عن الببغاوات. كيف كانوا يمتلكون ببغاء يجيد الكلام.

«ذهبتُ إلى محالّ وولورث مرةً واشتريت ببغاء بمبلغ عشرة دولارات، وعلّمته كيف يتكلّم»، قال السيد بيغ.

«لا تستطيع الببغاوات أن تتكلم»، قالت كيري.

«لكنه بدأ يتكلّم»، قال السيد بيغ. «قال: مرحباً سنيبي، وهذا هو اسم كلبي».

في السيارة، في طريق عودتهما إلى المنزل، قالت كيري، «لا يمكن أن يكون ببغاء، لا بد أنه طائر الميناه».

«إذا قلتُ إنه ببغاء، فهذا يعني أنه ببغاء».

«هذا ضربٌ من الغباء. الجميع يعلم أن الببغاء لا يستطيع أن يتكلّم»، قالت كيري بلهجة ازدراء.

«لكنه تكلّم»، قال السيد بيغ. ثمّ أشعل سيجاره. ولم ينطقا بكلمة طوال المسافة الباقية، في طريقهما المنزل.

لا تذهب إلى هناك

ذهبت كيري والسيد بيغ إلى مناطق هامبتون لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. لم يكن قد حلّ الربيع بعد، وكان الجوّ كئيباً. أشعلا المدفأة. قرأ كتبهما. استأجرا الأفلام. لا يشاهد السيد بيغ سوى أفلام الأكشن. اعتادت كيري أن تشاهدها معه، لكنها الآن لا تريد أن تشاهدها أبداً. «إنها مضيعة للوقت بالنسبة إليّ»، قالت.

«إذاً افتحي كتاباً»، قال السيد بيغ.

«مللتُ من القراءة. أريد أن أتمشى قليلاً».

«سأتمشى معك»، قال السيد بيغ. «حالما ينتهي هذا الفيلم».

جلست بالقرب منه، وبدأت تشاهد الفيلم، عابسة الوجه. ذهبا إلى مطعم «بالم» لتناول العشاء. قالت شيئاً، فقال، «أوه، هذا غباء».

«حقاً؟ أمرٌ ممتع، أن تصفني بالغباء، وأنا أتفوق عليك ذكاءً»، قالت كيري.

ضحك السيد بيغ. «إن كنتِ تظنين ذلك، فأنتِ حقاً غبية».

«لا تعبث معي»، قالت كيري. أمالت جذعها نحو الطاولة، يعتريها غضب عارم، وخاصة أنها لم تعد تعرف من تكون. «إذا قررتَ أن تعبث معي، فسيكون شغلي الشاغل إلحاق الدمار بك. ولا تفكّر، لحظةً واحدةً، أنني لن أستمتع، وأنا أفعل ذلك».

«لم تستيقظي في وقت أبكر، بما يكفي، لكي تتمكني من العبث معي»، قال السيد بيغ.

«لا أحتاج إلى ذلك. ألم تفهم هذا بعد؟» مسحت زاوية فمها بمنديلها الورقي. لا تذهب إلى هناك، فكّرت في سرّها. فقط لا تذهب إلى هناك. ثم قالت بصوت عالٍ، «أنا آسفة. أنا غاضبة بعض الشيء».

في الصباح التالي، حين عادا إلى المدينة، قال السيد بيغ، «حسناً، سوف أتحدث إليك لاحقاً».

«تتحدث؟» قالت كيري. «تقصد أننا لن نرى بعضنا هذا المساء؟».

«لا أعرف»، قال السيد بيغ. «ربما يجب أن نأخذ استراحة، وننفصل لبعض الوقت، حتى تتغلّبي على هذا المزاج».

«لكنني تغلّبتُ عليه»، قالت كيري.

اتصلت به إلى مكان عمله. قال، «لا أعرف أي شيء»، فضحكت وقالت، «أوه، هيا، أيها الأحمق. أليس مسموحاً أن يسيطر على المرء مزاجٌ سيئ؟ إنها ليست نهاية العالم. العلاقات تكون هكذا أحياناً. لقد قلتَ إني آسفة».

«لا أريد أية مضايقات».

«أعدك بأن أكون مسالمة. ألستُ مسالمة الآن؟ انظر! لا أثر للمزاج السيئ».

«أظنّ ذلك»، قال.

أثناء غياب بيغ

مرّ الوقت. سافر السيد بيغ في رحلة عمل لبضعة أسابيع. مكثت كيري في شقة السيد بيغ. كان ستانفورد بلاتش يزورها بين الفينة والأخرى، وكانت كيري تتظاهر بأنهما تلميذان في مدرسة ثانوية، غادر أبواهما خارج المدينة: راحا يدخنان، ويحتسيان الويسكي، ويمرحان، ويشاهدان أفلاماً غبية. كانا يتركان خلفهما فوضى عارمة، وتأتي الخادمة، في الصباح، وتنظّف المكان، راكعةً على يديها وركبتيها، لإزالة بقع العصير عن السجادة البيضاء.

اتصلت سامانثا جونز عدة مرات. وبدأت تحدثها عن جميع هؤلاء الرجال المشهورين الممتعين، الذين تقابلهم، وجميع هذه الحفلات العظيمة، والعشاءات التي تشارك فيها.

«ماذا تفعلين؟» كانت تسألها، وكانت كيري تجيب، «أعمل، فقط أعمل».

«ينبغي أن نخرج. أثناء غياب بيغ...»، قالت سامانثا. لكنها لم تكن تضع خططاً ملموسة، وبعد عدة مرات، لم تعد كيري تشعر بأنها راغبة في الحديث إليها. وشعرت كيري ببعض الندم، فاتصلت بها، وذهبتا معاً لتناول الغداء. في البدء سار الغداء على نحو جيد. ثم بدأت سامانثا تتحدث عن جميع مشاريعها التلفزيونية، وعن جميع هؤلاء الناس الكبار الذين تعرفهم، والذين سوف تشتغل معهم. كان لكيري مشروعها الذي انطلق، وقالت سامانثا، «هذا حلو. فكرة حلوة، تعلمين».

«ما الحلو في الموضوع؟» سألت كيري.

«إنه حلو. خفيف. تعرفين. ليس تولستوي».

«أنا لا أحاول أن أكون تولستوي»، قالت كيري. لكنها، بالطبع، كانت تحاول أن تكون.

«أرأيت؟» قالت سامانثا. «مهلاً، لقد عرفتكِ، طوال حياتكِ. يجب أن أقول لكِ ما يخطر ببالي، من دون أن تتضايقي. هذا لا علاقة له بكِ».

«حقاً؟» قالت كيري. «إني أتساءل».

«أضيفي إلى ذلك»، قالت سامانثا، «قد تتزوجين السيد بيغ، وتُنجبين أطفالاً. هيا. هذا هو ما تريده كلّ منا».

«ألستُ محظوظة؟» قالت، ومدت يدها إلى فاتورة الحساب.

أريد الحقيقة

عاد السيد بيغ من رحلته، وذهب، هو وكيري، إلى سانت بارتز في عطلة نهاية أسبوع طويلة.

في الليلة الأولى، رأت حلماً بأن السيد بيغ على علاقة مع فتاة ذات شعر داكن. ذهبت كيري إلى المطعم، وظلّ السيد بيغ مع الفتاة، وكانت هذه الفتاة تجلس على كرسي كيري، وكانت، هي والسيد بيغ، يتبادلان القبل.

«ما الذي يجري؟» طالبت كيري.

«لا شيء»، قال السيد بيغ.

«أريد الحقيقة».

«أنا أحبها. نريد أن نكون معاً». قال السيد بيغ.

انتابت كيري تلك المشاعر القديمة، المألوفة، من الألم والذهول.

«أوكي»، قالت.

غادرت المنزل، وذهبت إلى حقل واسع. رأت خيولاً عملاقة، بسروج ذهبية، تهبط من السماء، فوق قمة الجبل. حين رأت الخيول، أدركت أن السيد بيغ ومشاعره نحوها لا أهمية لها.

استيقظت.

«هل رأيت حلماً مزعجاً؟» سأل السيد بيغ. «تعالي إلى هنا».

مذ يده نحوها. «لا تلمسني»، قالت. «أشعر بأني مريضة».

ظلّ الحلم ماثلاً أمام عينيها لعدة أيام، في ما بعد.

«ماذا يمكنني أن أفعل؟» قال السيد بيغ. «لا أستطيع أن أتنافس مع حلم». كانا يجلسان على حافة الحوض المائي، وسيقانهما تتدلّى في الماء. ضوء الشمس يميل إلى البياض.

«هل تظن أننا تحدثنا بما يكفي؟» سألت كيري.

«كلاّ»، قال السيد بيغ. «كلاّ، ربما لم نفعل».

تجوّلا في سيارتهما، ثم توجّها إلى الشاطئ، وتناولا الغداء، وتحدثا كم كان الغداء جميلاً، وكم هما مرتاحان. وعبرا عن دهشتهما لمرأى دجاجة تجتاز الطريق، وخلفها صوصان صغيران، وعن سحلية علقت في تيار الحوض، وعن الفئران الميتة المطروحة على جوانب الطرق.

«هل نحن صديقان؟» سألت كيري.

«مضى وقتٌ كنا فيه أصدقاء حقاً. حين كنتُ أشعر بأنك حقاً تفهمين روحي»، قال السيد بيغ.

كانت سيارتهما تنهب طرقاً ضيقة، ومائلة.

«يمكن للمرء أن يبذل قصارى جهده، حتى يشعر بالتعب أو يفقد الرغبة»، قالت كيري.

ظلا صامتين لبعض الوقت، ثم قالت كيري: «كيف يحدث أنك لا تقول لي أحبك؟».

«ذلك لأنني خائف»، قال السيد بيغ. «أنا خائف إذا قلتُ لكِ أحبكِ أن تظني أننا مقدمان على الزواج». خفف السيد بيغ من سرعة السيارة. قطعا مسافةً لابأس بها، ثم مرّا بمقبرة تكتظ بزهور اصطناعية زاهية الألوان. كان ثمة شبان، عراة الصدور، يقفون على قارعة الطريق، ويدخنون. «لا أعرف»، قال السيد بيغ. «ما الخطأ في أن تسير الأمور على هذا النحو، الآن».

لاحقاً، حين كانا يحزمان أمتعتهما استعداداً للعودة، قال السيد بيغ، «هل رأيت حذائي؟ هلاّ توضبين زجاجة الشامبو الخاصة بي؟».

«كلاّ، بالطبع، يا عزيزي»، قالت كيري بنبرة خفيفة. دخلت إلى الحمام. في المرآة، بدت في أحسن صورة. رشيقة، وشقراء، وملفوحة بالشمس. بدأت تحزم أدوات التجميل الخاصة بها. فرشاة الأسنان. كريم الوجه. كانت زجاجة الشامبو الخاصة به ما تزال في حوض الاستحمام، وقررت كيري أن تتجاهلها. «ماذا لو أصبحت حاملاً؟» فكّرت في سرّها. لن تخبره، وسفجري عملية إجهاض في السرّ، ولن تتحدث إليه ثانيةً أبداً. أو ربما تُنجب الطفل، وتربّيه، وحدها، ولكن قد يكون هذا محفوفاً بالمخاطر. ماذا لو أنها كرهته كرهاً شديداً، وأدى بها هذا إلى أن تكره الطفل أيضاً؟

دخلت إلى غرفة النوم، وانتعلت حذاءها ذا الكعب العالي، وقبعتها القش. هذا زيّ مفصل خصيصاً وقد كلّفها خمسمئة دولار. «أوه، يا عزيزي، ...» قالت.

«نعم؟» سأل. كان يدير لها ظهره، ويضع بعض الأشياء داخل الحقيبة.

أرادت أن تقول، «هذا، هو. انتهى الأمر. لقد أمضينا وقتاً رائعاً معاً. لكنني دائماً أشعر بأن من الأفضل أن تنتهي الأشياء في ذروتها. تفهم هذا، أليس كذلك...؟».

رفع السيد بيغ رأسه. «ماذا؟» قال. «هل كنتِ تريدين شيئاً، حبيبتي؟».

«أوه، لا شيء»، قالت كيري. «فقط نسيتُ زجاجة الشامبو الخاصة بك، وهذا كلّ ما في الأمر».

إنه مجرد أبله

احتست كيري خمس كؤوس نبيذ حمراء، على متن الطائرة، وتشاجرا طوال طريق العودة إلى المنزل. في المطار. داخل سيارة الليموزين. ولم تُطبق كيري فمها حتى قال، «هل تريدينني أن أنزلك في شقتك؟ أهذا ما تريدينه؟» حين وصلت إلى شقته، اتصلت بأهلها. «تشاجرنا شجاراً قوياً»، قالت. «إنه مجرد أبله. مثل كلّ الرجال».

«هل أنتِ بخير؟» سأل والدها.

«أوه، أنا في أحسن حال»، قالت كيري.

ثم أصبح السيد بيغ أكثر ليناً في معاملته. جعلها ترتدي البيجاما، وجلس قربها على الأريكة. «حين قابلتك أول مرة، استلطفتك»، قال. «ثم استلطفتك كثيراً. الآن، أنا ... بدأتُ أحبك».

«لا تجعلني أتقيأ».

«لماذا أنا، يا حبيبتي؟» سأل. «من بين جميع الرجال الذين خرجت معهم، لماذا تريدين الارتباط بي؟».

«من قال إني أريد ذلك؟».

«ما هذا؟ لماذا يتكرر هذا الموقف؟» قال السيد بيغ. «الآن، بعدما أصبحتُ أكثر انخراطاً، تريدين أن تفزي، أن تهربي. حسناً، لا أستطيع أن أفعل شيئاً حيال ذلك».

«نعم، تستطيع»، قالت كيري. «هذا هو لبّ الأمر».

«لا أفهم تماماً»، قال السيد بيغ، «كيف ترين علاقتك مختلفة عن جميع العلاقات التي مررتِ بها في الماضي؟».

«إنها ليست مختلفة. هي ذاتها»، قالت كيري. «وتبدو، حتى الآن، كافية».

في الصباح التالي، بدا السيد بيغ في مزاجه المرح المألوف، وكان هذا سبباً للإزعاج. «ساعديني كي أختار ربطة عنق، حبيبتي»، قال، بالطريقة نفسها التي يقولها دائماً. أحضر خمس ربطات عنقٍ إلى حيث كيري كانت ما تزال تحاول أن تنام، وأضاء النور، وناولها نظارتها. رفع ربطات العنق قريباً من بذلته.

ألقت كيري نظرة مقتضبة. «تلك»، قالت. خلعت نظارتها، واتكأت على الوسادة، وأغمضت عينيها.

«لكنكِ بالكاد نظرتِ إليها»، قال السيد بيغ.

«هذا هو قراري النهائي»، قالت. «أضف إلى ذلك، أليست جميع ربطات العنق متشابهة؟».

«أوه. أنت ما تزالين غاضبة»، قال السيد بيغ. «لا أفهم. يجب أن تكوني سعيدة. بعد الليلة الماضية، أظن أن الأمور أفضل بكثير».

ما أحلاك يا بيت

«الطفل يتضوّر جوعاً، والمربية تركت المنزل، وأنا مفلسة»، قالت أماليتا على الهاتف. «أحضري معكِ بعض البيتزا، من فضلك، حبيبتي، وتكفي شطيرتان أو ثلاث، مع الفلفل، وسوف أدفع لكِ لاحقاً».

كانت أماليتا تُقيم في شقّة إحدى صديقات صديقتها على الجانب الشرقي الأعلى من المدينة. وكان ذلك في أحد الشوارع الجانبية التي تعرفها كيري جيداً: بنايات آجرية متسخة جداً، مع مداخل ضيقة، تغطيها قوائم وجبات الأكل السريع للمطاعم الصينية، وأناس مشخون يمشون

في الشوارع، يجزون خلفهم كلابهم المشسخة، وفي الصيف، نسوة بدينات يجلسن، في الخارج، على كراسيهن. وعلى مدى سنوات، ظلّت كيري تعتقد بأنها لن تخرج أبداً من هذا المكان. اشترت البيتزا من المحل نفسه، الذي لطالما اشترت منه البيتزا، بالقرب من الشقّة التي عاشت فيها لمدة أربع سنوات، حين كانت تعاني الإفلاس. إنه الرجل نفسه، بأصابعه القذرة، يعدّ شطائر البيتزا، وبجانبه زوجته، القصيرة القامة، التي لم تكن تتكلّم أبداً، وتعمل محاسبة صندوق.

تقع شقّة أماليثا على سطح درج مترنّح، في الطبقة الزابعة، في الخلف. إنها واحد من تلك الأمكنة، التي يحاول المرء القيام فيها بأفضل ما لديه، خلف تلك الجدران الزمادية المكشوفة، لكنه يفشل دائماً فشلاً ذريعاً. «حسناً»، قالت أماليثا. «هذا سكنٌ مؤقت. الإيجار رخيص. خمسمئة في الشهر».

ابنتها فتاةٌ صغيرة جميلة، شعرها داكن، وعيناها زرقاوان، واسعتان، تجلس خلف كومة من الجرائد والمجلات القديمة، تقلّب صفحاتها.

«حسناً!» قالت أماليثا. «انقطعت أخبار رايتي نهائياً. بعد أن أرادني أن أذهب معه في جولة، وبعد أن أرسلتُ لك كتاباً أرادني أن أرسله له. هؤلاء الرجال لا يحبون، جنسياً، المرأة العظيمة، ولا حتى الجيدة. يريدون المرأة الرديئة».

«أعرف»، قالت كيري.

«انظري، ماما!» قالت الفتاة بفخر. وأشارت إلى صورة لأماليثا في معرض أسكوت، ترتدي قبعة للتصوير، مع رجل يعمل لدى أزياء لورد.

«رجل أعمال ياباني أراد الإيقاع بي في شقّة»، قالت أماليثا. «هل تعلمين، إني أمقت هذا النوع من السلوك، لكنّ الحقيقة هي أنني مفلسة الآن. السبب الوحيد الذي يجعلني أفكّر بممارسة هذا الشيء هو ابنتي الصغيرة. أحاول أن أضعها في روضة أطفال، وأحتاج للمال لتسديد أقساطها. ما جعلني أقول نعم. مرّ أسبوعان، ولم أسمع منه خبراً. ولا حتى اتصال. هذا يُظهر حقيقة ما يحدث».

كانت أماليثا تجلس على الأريكة، مرتدية بنطلونها الضيق، وتنهمك بتقطيع شرائح البيتزا. كيري تجلس على كرسي خشبي ضيق، وترتدي الجينز، وقميص تي شيرت، تظهر عليه بقع صفراء تحت الإبطين. كلتاهما تعاني من الشعر الدهني. «حين أعيد النظر في الأمر»، قالت أماليثا، «أقول في نفسي إنه يجب أن لا أنام مع هذا الرجل، وكان يجب أن لا أنام معه أبداً. ربما كان يجب أن أتصرّف بطريقة مختلفة».

توقفت قليلاً. «أعلم أنكِ تفكرين بترك السيد بيغ. لا تفعلي. تمسكي به. بالطبع أنتِ جميلة، وستجدين مئات الرجال ممن يحاولون الاتصال بك، ويريدون أن يكونوا معكِ. ولكن أنتِ وأنا نعرف الحقيقة. نعرف شيئاً عن الحياة الحقيقية، أليس كذلك؟».

«ماما؟» قالت الفتاة الصغيرة. رفعت المجلّة مشيرةً إلى صورة أخرى لأماليثا ترتدي فيها بذلة تزلّج بيضاء اللون، من ماركة شانيل، فوق منحدرات سانت موريتز، وأخرى تخرج فيها من سيارة ليموزين خلال حفلة لفرقة رولينغ ستون، ثم أخرى تبتسم فيها باحتشام، مرتديةً طقماً أسود اللّون، ومجوهرات، بالقرب من عضو في مجلس الشيوخ.

«كارينغتون! ليس الآن»، قالت أماليثا، بسخرية قاسية. نظرت الفتاة الصغيرة إليها وضحكت ببراءة. ثم رمت المجلّة في الهواء.

كان نهاراً مشمساً. الشمس تتسلّل عبر النوافذ القذرة. «تعالي إلى هنا، حبيبتي»، قالت أماليثا. «تعالي إلى هنا، وخذي قطعة بيتزا».

*

«هاللو، ها أنا عدت»، قال السيد بيغ.

«هاللو»، قالت كيري. ثم اتجهت إلى الباب وقبلته. «كيف كانت حفلة الكوكتيل؟».

«على أحسن ما يرام. على أحسن ما يرام».

«أنا أعدّ عشاءً».

«جيد. أنا سعيد جداً أننا لن نخرج اليوم».

«وأنا أيضاً».

«ترغبين بكأس؟» سأل.

«كلاّ، شكراً»، قالت. «ربما فقط كأس من النبيذ مع العشاء».

أضاءت الشموع، وجلسا في غرفة الطعام. جلست كيري، بظهرٍ مستقيم، على كرسيها. تحدّث السيد بيغ، وأطال في الحديث، عن صفقة ينهمك بتوقيعها، بينما ظلت كيري تحدّق به، وتومئ برأسها، وتُحدث نقرات مشجعة. لكنها لم تكن حقاً تركّز انتباهها.

حين انتهى من حديثه، قالت، «أنا سعيدة جداً. النرجسة رمت براعمها أخيراً. أطلقت أربع ورود».

«أربع ورود»، قال السيد بيغ. ثم أردف: «أنا سعيد جداً أنكِ وجدت المتعة في النباتات».

«نعم. أليس هذا جميلاً؟» قالت كيري. «مذهلة الطريقة التي تنمو بها، فقط لو أننا نوليها قليلاً من الانتباه».

«هل في حياتك شخص آخر؟».

«هذه مسألة لا تتعلّق بأحد آخر. بل بنا نحن».

«هذا لا يجيب عن السؤال».

«هذا يتعلّق بنا نحن».

«أجيبي بنعم أو لا، هل... ثمة... شخص... آخر؟».

«لا».

«كاذبة. لقد دزبك أحدهم، أليس كذلك؟».

«ما الذي تتحدث عنه؟».

«دزبك أحدهم على ما يجب أن تقولي».

«هذا أمر يتعلّق بنا نحن، لا بأي أحد آخر».

«أترين؟ عدتِ إلى النغمة القديمة».

«لماذا تريد أن تجعل الأمر أكثر صعوبة؟».

«أنا لا أجعله أكثر صعوبة. يجب أن أحضر سيجارة».

«يجب أن أذهب إلى النوم. لماذا لا تدعني أنام؟».

«لا تستحقين النوم».

«لم أفعل شيئاً خطأ».

«ولم تفعلي شيئاً صحيحاً أيضاً».

*

«شكراً لك لأنك جعلت من السيد بيغ شخصاً أكثر لطفاً».

هذه العبارة قيلت لكيري في ختام حفل عشاء أقيم احتفالاً بضم شركة لتصنيع ملابس الفولف، تصل قيمتها إلى ثمانين مليون دولار. وقد أقيم العشاء في مطعم فخم. وقرأ الكلمة كيمي تايلون، وهو مستثمر مصرفي غير أميركي، يعمل لمصلحة غولدمان، وشركة زاكس. رفع كأس نبيذه الأبيض، وأطلق هذه الجملة تحيةً لكيري. كان تملاً. أما السيد بيغ فلم يكن كذلك. لم يسبق للسيد بيغ أن كان «تملاً». كان يقول إنه لا يريد «أن يفقد السيطرة على نفسه». بعد قراءة هذه الكلمات، أمسك السيد بيغ يد كيري لمدة عشرين ثانية. ثم انتقل الحديث إلى جولة أخرى من المزاح.

حدث هذا في حزيران، وكانت تلك الكلمات، عندئذ، بلا معنى، إلى درجة أنها سببت إحراجاً لكلا الطرفين.

في تلك الآونة، كان قد انتهى كل شيء بينهما.

في تلك الآونة، كانت الكراهية، والقرف، والنفور الذاتي، قد ضربت أطنابها في النفوس.

في تلك الآونة، كانت لاعبة الفولف تنادي، ولم يكن السيد بيغ قد قال بعد، «أريد أن أكون مع امرأة عادية. أريد أن يكون لي حياة عادية».

لأنه، عند تلك النقطة، ظاهرياً على الأقل، بدا كلّ شيء ساكناً، وراكداً. كلّ شيء، ماعدا الطقس.

محالّ تيفز وبيتشز

لم تكن نيكو بارون تسعى، على الأرجح، لأن تصبح ممثلة في الدراما، لكنها برزت، على نحو غير متوقع، وأضحت كذلك. كان هذا في شهر حزيران، ربما، أم هو في شهر أيار؟ أم نيسان؟ لا بد أنه في شهر أيار، لأنه خلال شهر نيسان جرت تلك المكالمة الهاتفية الطويلة، في سانت بارتز. والموضوع: نيكو بارون. كانت نيكو قد تقدمت للعمل مذيعة ربط، في برنامج إخباري، يُبث بعد الظهر. كان المتصل صحافياً يريد من كيري معلومات عن «الخلفية الاجتماعية» لنيكو، والخلفية الحقيقية هي أن المراسل كان قد التقى نيكو، ويأمل أن ينام معها، بحجة إنجاز قصة.

«حسناً. ولكنني لم ألتقِ نيكو منذ سنوات»، قالت كيري. كان يمكن أن تُنهي المحادثة هنا، لكن السيد بيغ كان يجلس بالقرب من الحوض، يتحدث على هاتفه الخلوي، وبدلاً من ذلك راحت توضح أدق التفاصيل، من مثل أن نيكو من سان فرانسيسكو، تكساس. «معظم سكان سان أنطونيو هم مكسيكيون من الجيل الثالث أو الرابع»، قالت. «نيكو أجنبية. وحقيقة أنها ترعرت وشبت هناك ليست سوى ضربة حظ».

دخل السيد بيغ إلى الفيلا. «اتركي الهاتف جانباً»، قال. «أريد أن أذهب إلى المدينة». لم تكن بالضرورة تريد الذهاب إلى المدينة، لكنها لم تكن تحبذ البقاء في الفيلا أيضاً. لم تكن ترغب أن تكون هناك، في الأصل، أو لنقل إنها كانت ترغب بأن تكون هناك، ولكن ليس معه.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تجد نفسها في هذا الوضع. حدث هذا مع عشاقٍ سابقين: ذات مرة في فندق دو كاب، جنوب فرنسا، ومرة أخرى في سيدني أوستراليا، ومنذ ثلاث سنوات، في سانت بارتز. في

المساء الأخير من تلك الرحلة، وبينما كان «العشيق» نائماً، استهلكت الكوكايين المحلّي الرديء (الآتي في قش)، وفي الصباح التالي، وضعت في المسجل أغنية «يمكن أن تمضي وشأنك»، التي يغنيها فليتوود ماك، واستمعت إليها، مراراً وتكراراً، إلى أن حان وقت التوجه إلى الطائرة.

كان ذلك في شهر نيسان أيضاً.

واستمرّت تلك العلاقة، حتى عيد الذكرى، في الثلاثين من أيار. كان يستعدّ لقضاء عطلة نهاية أسبوع كبيرة. «هل ستأتين أم لا؟» كان قد سألها. الجميع نصحها بأن لا تذهب، انطلاقاً من مسألة مبدأ. في اللّحظة الأخيرة، قرّرت عدم الذّهاب. مرت بضعة أيام لم يتّصل بها بعد انقضاء العطلة، لكنه أخيراً أجرى المكالمة. واكتشفت أنه كان قد عاد بصحبة إحداهن، وهي فتاة التقى بها منذ أسبوع، على متن الطائرة. هذه العلاقة الجديدة لم تستمرّ سوى أشهر قليلة، بعد ذلك، ووصل إلى حال مزرية - وتلك بمثابة حبكة فرعية تقليدية، في الدراما الرئيسية. تبع ذلك، محاولة إقامة صداقة مع كيري: اتصالان هاتفيان أسبوعياً، جميعها تتحدّث عن بؤسه (كيف فشل في جعل علاقته تنجح)، وعن المرأة الجديدة (كيف فشلت في تحسين وضعه)، وكم سيكون سعيداً لو أنه يضع حداً لكلّ هذا. خطرت لها الفكرة حين كانت في طريق عودتها، من أسبوع أمضته، في سانت بارتز، حين أقرّت بأن علاقتها بالسيد بيغ يمكن أن تصل نهايتها، قبل انقضاء فصل الصيف.

لا تطرحي أسئلة.

لا تضيعي وقتك.

افعلي ما هو مناسب لك.

تجاوزي الأمر.

تغلّبي على المأزق.

في الفترة الواقعة بين نيسان وتموز لم يحدث شيء. ولكن بضع حوادث برزت على السطح: انفجار طائرة (T.W.A)، الرحلة رقم 800. الإعصار. الشجارات.

سبب الشجارات أنها كانت تريد أن تتكلّم، وهو لا يريد. كانت تطالب بالمزيد من الانتباه، ولم يكن مستعداً لبذل هذا الجهد. «الآن تتصرّفين مثلما كانت تفعل جميع زوجاتي السابقات»، كان يقول. «دائماً تطالبين بشيء ما. لا تطلبي شيئاً، لعلّك تحصلين عليه. لا تقولي لي ماذا ينبغي عليّ أن أفعل».

لماذا كانت تعتقد بأنها سوف تحظى بانتباه أكبر لو أنهما كانا متزوجين؟ لماذا لم تفهم أنها لو كانت تزوجته، لأصبحت، شيئاً فشيئاً، أشبه بالديكور أو الزينة؟ كان ذلك هو النمط المكرس.

ومن التحذيرات (ترميها كيري، جزافاً، كلما أشار كلّ منهما إلى المستقبل): «حسناً، بعد فصل الصيف، ربما لن أكون حاضرة».

«ما الذي تقولينه؟».

«لا أعرف».

هذا أيضاً نمط يتكرر.

ذات يوم، في أوائل تموز، خلال يوم عكر آخر، في منزل شرق هامبتون، حين مكثت كيري لمدة أسبوع، زارها بعض الأصدقاء.

«سوف أنفصل عنه غداً إذا استطعت. إني أتوق للخروج من هذا المأزق»، قالت، وهي تغلق أبواب الخزانة. كانت قد انتهت للتو، من محادثة أخرى بعيدة على الهاتف، حول قضايا لوجستية بحتة.

لماذا لم تُنهي العلاقة عندئذ؟

لم يكن ذلك بالمناسب تماماً.

بدلاً من ذلك، راحت تضع ثيابها في الغسالة، (لماذا؟ إن لديهما خادمة) وتخزّن كلّ أنواع الأطعمة في المطبخ، (أشياء لن يأكلاها أبداً، مثل رزم الأرز الأصفر)، وتسقي النباتات في الحديقة. كانت العلاقة، في الواقع، قد وصلت إلى نهايتها قبل أن يصبح لديهما نباتات خضراء، لكنّ الحديقة مفيدة، لأن لكيري ما تتحدث به حين تتكلّم إليه وإلى أصدقائه. كلّ شيء كان ينمو، ولكن لا شيء ينضج. لا توجد شمس.

في المساءات، خلال عطل نهاية الأسبوع، في هامبتون، كانا يتناولان العشاء، أو يذهبان معاً إلى حفلات العشاء. الكلّ كان يسكر، سريعاً وباكراً، ويذهب إلى الفراش، في الحادية عشرة.

كانت كيري تجد نفسها تتذمر كيف أن ذاك الشخص في مطعم (سوق الحصان الأحمر) لا يقطع أبداً السمك المدخن إلى شطائر صغيرة. وكان السيد بيغ، عندئذ، يروي كيف أنه رفض شراء قطعة من الزبدة لا يتجاوز سعرها ستة دولارات من محال (ثيفز و بيتشز).

مرحلياً، كانت قد توقفت عن مناداته «بابا». كما في جملة، «نعم، بابا، سوف آخذ الزبالة إلى الخارج. نعم، بابا، سوف أقود السيارة بحذر».

كان ثمة قضة قيد التداول، حول كيف أن نيكو بارون خرجت ذات مزة لتناول الفطور في كاندي كيتشن، مرتديةً بيجاما وخفاً مطاطياً، وهذا ما لم تقله كيري للمراسل. ولماذا عليها أن تخبره؟

لن يستطيع المراسل فهم هذا. لن يستطيع مساعدة نفسه: سيجد نفسه مضطراً للإشارة بإصبعه. لأن فتاةً ترتدي بيجاما، وتذهب إلى كاندي كيتشن، لن تكون الفتاة التي ستذهب معه لتناول الفطور. سوف يأخذ ثأره عن طريق مقالة مطبوعة.

وبالتالي لم يكن الأمر غريباً حين اتصلت نيكو بارون بكيري في وقت ما من أوائل أيار. كانت تطلب النصيحة حول ما يترتب عليها فعله، مع المراسل.

«سوف أتدبر الأمر»، قالت كيري.

اتصلت بالمراسل. «القضة لم يحن أوانها»، قالت. «في الوقت الراهن، لا توجد قضة».

ولم يكن غريباً أنه بعد فترة وجيزة من هذا بدأت كيري ونيكو تتحدثان على الهاتف ثانيةً. رغم أنهما لم تكونا على اتصال في ما بينهما منذ ثماني سنوات. مع أن كلتيهما كانتا تعيشان في نيويورك، طوال الوقت.

ثمة مغزىً ما أنه في كلّ واقعة، يكتنفها القال والقيل، تجد نيكو بارون حاضرة فيها.

لا بد أن الوقت كان في أوائل حزيران، في مانهاتن. وحسب الروتين الصباحي الاعتيادي، فإن كيري والسيد بيغ كانا يناقشان ما ينويان فعله خلال المساء.

«ثمة شيء في داخلي. لا أعرف ما هو»، قال.

«أوكي»، قالت كيري. في هذه المرحلة، كانت قد تلقت ضربات عديدة، جعلتها تتعلّم كيف تكون حذرة، حين لا يكون راغباً بالإفضاء بمعلومات. رغم أنه يحتفظ ببرنامجه اليومي دائماً بين يديه- تطبعه له سكرتيرته كلّ مساء، وتفضل فيه نشاطاته، في اليوم التالي، حتى وهو في خضم عقد صفقة للغولف.

لا تطرحي أسئلة.

شكراً لك لأنك جعلت من السيد بيغ شخصاً أكثر لطفاً.

«ما الذي تفعلينه؟» سأل.

«سأرى نيكو».

«أوكي»، قال. «في كلنا الحالتين، سوف نعود ونلتقي هنا حوالى الحادية عشرة».

في تلك الظهيرة، حين تكلّما، قال إنه سوف يتناول العشاء مع كيمي تايلون، المصرفي من شركة غولدمان.

في الساعة الثامنة، دخلت كيري مطعم «لا غول»، ورأت كيمي تايلون، يتناول العشاء مع صديقته. كانت نيكي بارون تجلس في الخارج. كان معها رجل، يمسك يدها. إنه ابن سفير أميركي، وسيم الطلعة، ومدمن سابق للمخدرات، يعمل الآن محامياً لدى أحد عمالقة شركات الاتصال.

«أعرف من أنتِ»، قال لكيري.

«كان يريد اللقاء بكِ»، قالت نيكو.

«أعرف من أنتِ»، ثم وضع مرفقه على حافة الطاولة. «إني أقرأ ما تكتبين».

«هذا عظيم»، قالت كيري.

«ربما ذكرت شيئاً عني أمامكِ»، قال، مشيراً إلى نيكو.

«كلا»، قالت كيري. «ولا كلمة واحدة».

«ظننتُ أنك تريد أن تُبقي علاقتنا سرّاً»، قالت نيكو.

وحسب ما يقوله، فإن عملاق الاتصالات نفسه واقع في غرام نيكو، ويشعر بالغيرة. وحسب ما يقوله أيضاً، فإن عملاق الاتصالات ربما يتعقّب أو لا يتعقّب أثرها.

من وجهة نظر نيكو، فإن كليهما مجنون.

مرت لحظة إحراج حين أتى كيمي تايلون إلى الطاولة ليلقي التحية بعد أن غادر ابن السفير الأميركي، المدمن سابقاً للمخدرات. وقف بالقرب من الطاولة، ووضع حذاءه على طرف الكرسي. «أردتُ فقط أن أقول لكِ»، قال. «تذكّرتُ توّاً. السيد بيغ يتناول العشاء وسط المدينة، مع بعض الأشخاص من شركة الفولف».

«شكراً لك». قالت كيري.

«هذا لا يهمّ. هذا ليس مهماً. إنه فخ»، قالت نيكو حين غادر تايلون.

لاحقاً، حين وصلت كيري إلى شقة السيد بيغ، وجدت رسالة صوتية على آلة التسجيل. ضغطت زرّ التشغيل، واستمعت إليها، رغم أنها لم تكن قد استمعت إلى رسائله، منذ زمن طويل، لأنها حين فعلت ذلك، في آخر مرة، استشاط غضباً. «أوكي، أوكي»، قالت له في حينها. «لن أستمع إلى رسائلك اللعينة. ولن أردّ على الهاتف، حين لا تكون هنا».

«يمكنكِ أن تردّي على الهاتف، لكنّ بعض الناس أخبروني أنهم تركوا لي رسائل وأنا لم أحصل عليها».

واكتفت بتصويب نظرة باتجاهه.

كانت الرسالة الصوتية، مثلما توقّعت تماماً، من كيمي إلى السيد بيغ. عاجل: «أردتُ فقط أن أخبرك بأن كيري رأتني هذه الليلة...» وخزّنتها. حين وصل السيد بيغ في الساعة الثانية عشرة وثلاث وأربعين دقيقة، ضغطت على زرّ التشغيل، وأسمعته إياها. «أوه، هذا لا شيء»، قال. كان مزاجه صافياً جداً. «كيمي لا يعرف ما يجري».

لم تذكره كيري بحديثهما خلال تلك الظهيرة. بعد مرور يومين، التقت برجل ادّعى أنه كان في المطعم حيث كان السيد بيغ يتناول العشاء، وزعم أنه لم يكن سوى عشاء عمل، رغم وجود فتاة هناك، لكنها، على ما يبدو، كانت جزءاً من العمل أيضاً.

خلال تلك الفترة، لم تكن كيري تركّز انتباهها. ولم تكن تهتمّ. خلال تلك الفترة كانت قد بدأت تفصل نفسها، وتنتقل رويداً، رويداً، إلى فضائها الخاص.

ما زالت لا تتذكّر اسم الشخص الذي زعم أنه كان في المطعم.

خلال عطلة عيد الاستقلال، واظب السيد بيغ على الاختفاء مع السيد مارفيلوس، في سيارة هذا الأخير، من طراز هامر. كانا يزعمان أنهما يذهبان إلى المتجر. زعما أنهما ذهبا إلى المتجر، ستّ مرات، في غضون يومين. وكانا يعودان أدراجهما، يحملان خضروات مخلّلة. ثم زعما أنهما خرجا للتزحلق على الزلاّجات المدولبة. وكيري لم تكن تهتمّ أو تولي انتباهاً.

وحالما كان السيد بيغ يغادر الشقّة، كانت تُدير جهاز الستيريو إلى أعلى صوت، وترقص في أرجاء المنزل، على إيقاع موسيقى «كي سي»، وفرقة «شروق الشمس».

«لقد فقدتِ السيطرة».

«ما الذي ستفعلينه بحياتك؟» كان يسأل.

«سوف أسعى لأن أصبح مشهورة».

«هذا محزن جداً. لن تحبّي ذلك حين تصلين إليه».

«أتوارى عن كوكبنا».

وكان يمضي ليدخّن سيجاراً، ويقطّب حاجبيه، أو يذهب مع مارفيلوس ثانيةً.

في منتصف تموز:

«هل هناك شخص آخر في حياتك؟».

«هذا لا يتعلّق بشخص آخر. هذا يتعلّق بنا».

«ما تقولينه لا يجيبُ عن سؤالي».

«هذا متعلّق بنا نحن».

«إنه سؤال نعم أو لا. هل ثمة شخص آخر؟».

«لا».

«كاذبة».

«ثمة من دزيك، أليس كذلك؟».

«ما هذا الذي تقوله؟».

«أحدهم كان يدزيك على ما يجب أن تقوليه».

«المسألة متعلّقة بنا. ولا علاقة لها بأي أحد آخر».

«أترين؟ ها أنت تعيدين الكرّة من جديد».

«لماذا تريد أن تجعل الأمر أكثر صعوبة؟».

«أنا لا أجعل الأمر أكثر صعوبة. يجب أن أحضر سيجارة».

«يجب أن أذهب إلى النوم. لماذا لا تدعني أنام».

«لا تستحقين أن تنامي».

«لم أرتكب خطأ».

«ولم تفعلي شيئاً صحيحاً أيضاً. ينبغي أن أتوصل إلى لبّ هذا التدريب».

«ما هذا الذي تقوله؟».

«لا بدّ أن أحداً ما كان يعطيك التعليمات حول ما يجب أن تقوليه. لا بدّ أن ثمة مكيدة قديمة. حين تكونين في مأزق صعب، تكرّرين العبارة نفسها، مرة تلو مرة. بتلك الطريقة، وتقطعين الطريق على كلّ حديث».

بعد مرور ساعةٍ أخرى:

«ما الذي تفعلينه؟ ما الذي تريننه؟ في أية ساعة تعودين إلى المنزل؟».

«باكراً. أعود إلى المنزل باكراً».

«لقد فقدت السيطرة».

«كلا لم أفقد السيطرة. أعود إلى المنزل في الحادية عشرة».

«لا تكذبي عليّ».

«لا تكذب عليّ».

«بإمكاني أن أضع أناساً يقتفون أثرك. كيف تعرفين أنني لا أضع أناساً يقتفون أثرك؟ أنا ترى ويمكنني أن أراقبك حيث تذهبين».

جرى هذا بعد أسابيع عديدة من توسل كيري لأن تُنقل إلى مشفى للأمراض العقلية.

في إحدى الظهيرات من شهر أيلول، خرجت كيري، تتسكّع هنا وهناك، وكان السير مزدحماً، فنزلت من سيارة الأجرة، ومشت وسط جادة ماديسون، مرتديةً طقماً فاخراً. دعينا نواجه الحقيقة، قالت في نفسها: إنك تملكين هذه المدينة.

«اسمعي، حبيبتي»، كان السيد بيغ قد قال لها، منذ بضعة أسابيع، «الناس لا يحبونك بالقدر الذي تتوهمين به أنهم يحبونك، ربما».

«نعم؟ وماذا يعني هذا؟» وأحضرت علبة بيرة من الثلاجة.

«يظنون أن لديك أجندة ما. لكنهم لا يعرفون ما هي».

«هل ينبغي أن تكون هذه مشكلتي أنا؟».

«هذا بالضبط ما أتحدث عنه».

«من هم هؤلاء الناس، على أية حال؟».

«أحاول هنا أن أقدم لك نصيحة ما»، كان قد قال. «أحاول أن أساعدك. إنك عدوانية كثيراً».

شعرت كيري نفسها تنزلق، من جديد، إلى ذاك المكان السيئ في رأسها. للمرة التاسعة عشرة خلال أشهر.

«إذا كنت تريد أن تساعدني، فلا تمطرني بالآراء الجاهلة، الضالّة، لأصدقائك الفاسدين، المغفلين، الذين لا يملكون حتى الجرأة لأن يكونوا عازبين»، صرخت بأعلى صوتها.

«الذين لم يكن عليهم أن يتناولوا «الهوت دوغ» لمدة شهر لأنهم لا يملكون نقوداً كافية لكي يشتروا الطعام اللّعين. أوكي؟ إذاً لا تخبرني بأنني عدوانية جداً».

«توقّفي عن الصراخ»، قال السيد بيغ.

أشارت كيري بسيجارتها نحوه. «توقّف عن الصراخ. توقّف عن التظاهر. توقّف عن التمسك ببرنامج ما. هل تظن أنني أعير أدنى اهتمام لهذا؟ لا أرى أصدقاءك يسددون أجرة البيت بالنيابة عني».

هذا صحيح. إنك تملكين هذه المدينة.

لم تكن تتوقع أن تنفصل عنه خلال عطلة نهاية الأسبوع تلك. توقّعت أن تظلّ الأمور ضمن سياق الانتظار. تكرهه، وتمقت نفسها. وتتجوّل ضمن الخطوط الروتينية لتلك العلاقة. خلال ذاك الأسبوع، مكثت في المنزل الكبير، في شرق هامبتون وحدها. كان يتصل بها، كلّ مساء، الساعة

الحادية عشرة. في إحدى الليالي اتصل بها وقال إن نجمة أوبرا، في الثلاثين من عمرها، كانت تغازله في إحدى المناسبات.

«هل تظن أن علي أن أشعر بالغيرة؟» قالت.

«أنا أحاول أن أخبرك فحسب»، قال.

«إنك تتحول إلى شخص مغرور، بشكلٍ لا يُطاق»، قالت. «ما الذي يجعلك تظن أنك تستطيع أن تكون مغروراً بتلك الطريقة؟».

«لا أريد أن نستمر في هذا الحديث».

«أنت لا تريد الاستمرار في أي حديث»، قالت.

أغلق السماعة في وجهها.

حين زارها يوم الجمعة، في وقت مبكر من المساء، كانت تستلقي في الفراش، تراقب تطور الإعصار على قناة الطقس. تشاهد صور الأقمار الاصطناعية مراراً وتكراراً. «ستكون الأحوال الجوية في حال مزرية»، قالت. «إنها دائماً مزرية».

«هل تذكرين السنة الماضية؟» قال.

إعصار آخر. وخراب أيضاً.

كانت تلك واحدة من أفضل عطل نهاية الأسبوع التي قضياها معاً، رغم أنها كانت على وشك أن تفرق. في يوم الأحد، بعد انتهاء ما يُسمى الإعصار، ذهبا إلى الشاطئ، وكانت الأمواج قد شقّت الشاطئ إلى نصفين. كان الجميع يسبحون في غمرة المد، وكان الجو دافئاً، ومغرياً على نحو مخادع، وقد دفعت موجة كيري إلى الخلف، ثم رمتها على الشاطئ، فريسةً للذعر، لكنها كانت تدرك، بفضل تلك اللامبالاة الغامضة التي تحدث أثناء لحظات الخطر، أن فمها مفتوح، وأنها كانت تصرخ.

لم يخطر في بالها أنها عندما تكون في حالة غرق، يكون فمها فاغراً، والماء يندفع إلى الداخل.

لفظها البحر إلى الشاطئ، وحين خرجت، كان السيد بيغ يقف هناك، وهو يضحك.

كانت تفرق حقاً، لكنه ظن أن الأمر مزحة.

لم يفهم الفرق.

لم يستطع أن يقرأ بين السطور، ويرى ظلال المعنى. لم يكن يحتاج إلى ذلك. ليس هذا ما يجعل أصحاب الأسهم يدفعون له. فالأمر محصور إما بالأبيض أو الأسود. إما ربح أو خسارة.

حين عادا إلى المنزل من سهرة العشاء، في الليلة التي ضرب فيها الإعصار وأخطأ هدفه، قال إنه لا يعرف ماذا يفعل. لم يستطع أن يتقدم إلى الأمام. كان يظن أن عليهما المضي قدماً. وبدأ يبكي. ليس على نفسه، بل من أجلها. كان قد أنقذها من حياتها التعيسة، والآن يجد نفسه يرميها، من جديد. وشعر بانحطاط كبير لأنه يفعل ذلك، ولأن الأمور تسير على هذا النحو، ولأنه فشل في منحها ما تريد. وآخر شيء يريده هو أن يتسبب لها بأي أذى.

جاء ردها مخالفاً لكل توقعاته: انفجرت بالضحك. «أوه! أرحني، وكفاك تمثيلاً»، قالت.

«أعرف أنكِ حقاً مغرمة بي»، قال.

«أتظن حقاً أنني مغرمة بك»، قالت.

«أعرف أنكِ كذلك».

«حقاً؟».

«نعم».

«حسناً»، قالت، «أنا لست كذلك».

«هذا أنا»، قال. «يجب أن لا تكذبي».

«أنا لا أكذب. كيف يمكن أن أحبك إذا لم تكن تُحبني؟ هذه إحدى القواعد. لا تكسر القواعد».

دخلت إلى الحمام ونزعت عدساتها اللاصقة. ستكون هذه هي المزة الأخيرة التي أمكث فيها في هذا المنزل، قالت في نفسها. حين خرجت، قال، «لم أكن أريد أن تنتهي الأمور بهذه الطريقة».

«بل كنت تريد»، قالت «لأنها كذلك».

«أريد أن أكون مع شخص طبيعي»، قال. «أريد فقط أن تكون لي حياة طبيعية».

«عفواً»، قالت.

«أنتِ مجنونة قليلاً»، قال. «لم تعودي صغيرة، ولا ينبغي أن تتصرفي بالطريقة التي تتصرفين بها. يجب أن تنضجي. ويجب أن تعتني بنفسك. أنا خائف عليكِ. لا يمكن أن تظني أن الآخرين سوف يعتنون بكِ طوال الوقت».

«وماذا يعني هذا؟» قالت.

«لا يمكن أن تتصرفي كأنك في الثانية عشرة من عمرك»، قال. «لا يمكنك أن تأتي إلى البيت في الرابعة صباحاً».

«معظم الفتيات اللواتي هن في سن الثانية عشرة لا يأتين إلى البيت في الرابعة صباحاً».

«تعرفين ما أقصد. لا يمكن أن أتحفل ذلك. لا يمكن لأي رجل طبيعي أن يتحفله. ما الذي تفعلينه دائماً حتى الرابعة صباحاً؟».

«أتحدث»، صرخت. «أتحدث مع أصدقائي. أتحدث إلى أناس لديهم شيء يتحدثون به».

صمت.

«لا تقلق»، قالت. «لا تقلب الأمور رأساً على عقب. كلانا كان يلبي غاية لدى الآخر، والآن انتهى كلّ شيء. هذه هي طبيعة العلاقات. فكر بها كتجربة لاستخلاص العبرة».

«لا أصدق هذا»، قال. «أنا أؤمن بالحب الحقيقي».

ثم فكرت في سرّها: ربما لم تكن تملك جميع المعلومات.

«أين كنت؟».

طفت نيكو بارون على سطح المشهد لسبب واضح: لقد طلّقت من زوجها. «وجدتُ الزواج مملاً، ويخنق فكرياً»، قالت. كانت في مكتبها، ترتدي قالباً مبيضاً للأسنان. وترى كوابيس: بوب وودورد يطاردها، داخل مرآب سفلي للسيارات. «لا أريد أن أذهب إلى هناك ثانيةً، أبداً»، قالت.

حدث هذا بعد بضعة أيام من عطلة نهاية الأسبوع، التي شهدت انفصال العلاقة. في منتصف الأسبوع، كان السيد بيغ قد اتصل وسأل كيري إن كانت تريد الذهاب إلى المنزل في شرق هامبتون. لم تكن العلاقة قد انتهت تماماً. «سوف أفكر بالأمر»، كانت قد قالت.

بدلاً من ذلك، ذهبت كيري ونيكو إلى مزرعة مارثا، حيث أمضت عطلة نهاية الأسبوع تخدر نفسها باحتساء الكحول. ليلة السبت، ذهبتا إلى حفلة والتقتا بشخص سقتاه «السيد بيغ لمزرعة مارثا».

«ما هو عملك بالضبط؟» سألته نيكو.

«أعمل في مجال تطوير واستكشاف الموارد الطبيعية في الاتحاد السوفياتي السابق»، قال.

«أوه، تنقّب عن النفط والذهب في روسيا»، قالت نيكو. ثم سدّدت ثمن شرابهما بورقة جديدة من فئة المئة دولار. كانت نيكو تحمل تحمل فئات

جديدة من المئة دولار.

«ينبغي أن نصبح ثريات»، قالت كيري. «هذه هي الطريقة الوحيدة».

«لا تجزعي، حبيبتي»، قالت نيكو. «سوف نحقق هذا يوماً».

حين عادت كيري صباح الاثنين، وجدت رسالة صوتية من السيد بيغ. «أين كنت؟ لم أسمع منك طوال عطلة نهاية الأسبوع».

كأنما.

عاد واتصل نهار الاثنين، في وقت الظهيرة. بدا صوته غريباً، حتى في تلك الظروف. «لا تسير الأمور على ما يُرام بالنسبة لي. لا أستطيع فعل ذلك. حفاظاً على عقلي... لا أستطيع الاستمرار بهذه الطريقة. هذا غير منتج أبداً... بالنسبة لي».

«شكراً لاتصالك»، قالت كيري. «أستطيع أن أرى أن الكثير من البؤس ينتظرك لاحقاً». أقفلت السماعة، واتصلت بنيكو بارون. «أنا حزة»، قالت.

«حقاً؟» قالت نيكو.

كان ثمة شيء يميز الطريقة التي قالت بها تلك المرأة كلمة «حقاً»، وهنا بدأت كيري تشك بأن ثمة شخصاً آخر، على الأرجح، لأن هذا هو الجزء الآخر من النمط المكرس.

أكل المحار

زوج نيكو السابق، قبل فترة وجيزة، هو ديريك وينتسون، الروائي، الشاحب الوجه، المغرور، الذي اعتبر، من حيث المبدأ، كاتباً مهماً، لمدة حوالى عشر دقائق، حين ظهر كتابه الأول، قبل ست سنوات. حين انتقل إلى نيويورك، قادماً من بوسطن، تبلته عائلة دايكز، المؤلفة من زوجين شابين، عقدا قرانهما حديثاً، وكلاهما صحافيان طموحان. كان هو، ووييني دايك، صديقين حين كان يدرس في هارفارد.

عندئذ، كان الزوجان يتناولان عشاءهما في منزل ديرك ونيكو، في ساغ هاربر. كانت ويني تجلس خلف الطاولة وتخز بشوكتها طعام «غوردون بلو» الذي أعدته نيكو. «حسناً، إنه يبدو في الحقيقة، لذيذاً»، كانت تقول. ثم تضع شوكتها جانباً، وتمسح زاوية فمها بمنديلها. «نيكو، لماذا ترغبين بالعمل في التلفزيون؟» كانت تسأل. «لا توجد صحافة حقيقية في التلفزيون. ينبغي أن تكوني معلّمة طبخ ماهرة».

«أحب التلفزيون»، كانت نيكو تقول.

بعد مرور أشهر، كانت نيكو وديرك يمشيان في مضمار غراند سنترال، حين تقدم شاب، أنيق الملبس من نيكو وقال «ألا تعملين في محطة إي. بي. سي. التلفزيونية؟» استدار ديرك وغادر المحطة مسرعاً. ذهبت نيكو إلى «حانة المحار» وطلبت نبيذاً أحمر، وست نقاط زرقاء. في الحادية عشرة والنصف صباحاً.

بوليس سري خاص

في نهاية شهر تموز، كانت كيري تجلس في استديو للتصوير، وسط المدينة، تأخذ صورة خاصة بالمجلة. كان خبير التجميل يضع كريم الأساس على بشرة وجهها، بواسطة فرشاة للرسم. وكان المصور يقول، «نريدك عارية. لا تمانعين أن تظهري عارية. لقد فعلت هذا من قبل، أليس كذلك؟» قالها بنبرة أوروبية، مجهولة الأصل.

«هل يمكنني أن أرتدي ملابسي الداخلية؟» سألت كيري. أريد أن أكون مع شخص طبيعي فحسب.

«هل يمكن أن نسمع بعض الموسيقى؟» سأل خبير التجميل.

هل تمانعين أن تكوني عارية؟

في الصباح، كانت قد تلقت اتصالاً من المرأة الأوسترالية. هي تحزية سزية خاضة، وصديقة لصديقتها. كانت كيري قد التقتها خلال حفل عشاء بعد عرض سينمائي افتتاحي. كانت تقف في الزاوية، وتأكل شريحة اللحم بأصابعها، من فوق منديل مشمخ.

«جميع هؤلاء الرجال متشابهون»، كانت قد قالت. «هذا هو السبب الذي لا يجعلني أتوزط».

في ذلك الصباح، كان لدى الأوسترالية أشياء تقولها لكيري. أشياء من قبيل أن السيد بيغ أجرى عشرات المكالمات الهاتفية إلى رقم في منطقة بالم سبرينغز. ومعظمها بعد الخامس عشر من تموز. وجميع المكالمات كانت لإحدى لاعبات الغولف المحترفات. عمرها ثمانية وعشرون. «ربما يحتاج لبعض المساعدة في طريقة ميلانه أثناء ضرب الكرة. مجاناً، كما تعلمين»، قالت الأوسترالية. لم تكن النتائج حاسمة. ولكن.

«بإمكانك أن تخلعي قميصك خلف الكرسي»، قال المصور.

القطار الخاطئ

كان اليوم الأسوأ، اليوم الذي ساهم في ميلان الكفة، إذا صح التعبير، قد حدث من قبل، في شهر حزيران، بعد وقت قصير من عشاء العمل الذي أقامه السيد بيغ على شرف شركة للغولف، وهي حفلة عشاء، حضرتها، كما قيل لكيري، فتاة غولف محترفة.

بدأ كلّ شيء أثناء حفل عشاء، في شقة، تقع على الضفة الشرقية العليا. إنهم أصدقاء نيكو. في منتصف العشاء، بدأت كيري تستمتع بوقتها. تركت رسالة للسيد بيغ تقول فيها إنها متعبة، وإنها ستذهب إلى منزلها في تلك اللّيلة.

كانت منهكة، ولكن بعد انقضاء العشاء، لم تشعر بأنها تريد العودة إلى المنزل. لم تشعر بأنها أخذت القرار الصحيح. شعرت بأنها تستقلّ القطار الخاطئ. ذهبت إلى وسط المدينة. إلى برافدا. رأت بعض الناس الذين تعرفهم. ذهبوا إلى مكان آخر، ومن ثم إلى مكانٍ آخر. إلخ.

في الثامنة صباحاً توجهت إلى شقة السيد بيغ.

«لن أطرح عليك حتى سؤالاً»، قال.

ذهبت إلى السرير وبدأت تدخل في حالة الهستيريا الطويلة واللّذيذة. ساعات مضت داخل رأسها، ولكن حين رفعت رأسها، ونظرت، كان السيد بيغ يجلس على الكرسي، في غرفة النوم، مرتدياً قميصاً ناصع اللّون، وجوارب سوداء، ويحدق في البعيد. لا يقول شيئاً. بل يكتفي بذاك التعبير على وجهه.

«أنا لستُ سعيدة»، قالت.

بعد أن غادر متوجهاً إلى عمله، بدأت تجهش بالبكاء. دخلت الخادمة وانتابها ذعرٌ شديد. في الحادية عشرة صباحاً، اتصلت كيري بمكتبه. «أريد أن أذهب إلى مشفى للأمراض العقلية».

أرادت أن تضع نفسها بين أيدي أناس آخرين. لم تكن تريد أن تتحمّل أية مسؤوليات. أرادت أن تستلقي في غرفة ناصعة البياض، وتشاهد التلفزيون، وربما تصنع حمّالات لأصص النباتات. لا يمكنك أن تتصرّفي كأنك في الثانية عشرة من عمرك.

«خذي حماماً»، قال السيد بيغ.

أكلُ المخلّل

في منتصف أيلول، تقريباً، ذهبت كيري إلى مطعم، ووجدت السيد بيغ هناك. أتى إليها، وجلس إلى الطاولة.

«لم أعرف أبداً ماذا يجول في رأسكِ»، قال. «لم تتكلّمي قطّ عن مشاعركِ. وفي كلّ مرة كنتُ أحاول أن أتحدث إليكِ، كنتِ تنكفئين إلى ذاك المكان في رأسك. إنكِ تشبهين السلحفاة أو شيئاً من هذا القبيل».

كانت يده على الطاولة. لمست كيري إصبعه.

دعنا نكن صريحين، فكّرت كيري، أنتَ أكلت المخلّل.

كسب فيلم ستانفورد بلاتش (ضحايا الموضة) أكثر من مئتي مليون دولار خلال عرضه في كل أرجاء العالم. وكان ستانفورد قد اشترى أخيراً طائرة صغيرة خاصة من طراز تشالنجر، وجعل ديكور الداخل شبيهاً بمخدع إليزابيث تايلور في فيلم (كليوباترا).

ريفر وايلد ما يزال يعمل على روايته. وفيها يشوي السيد بيغ طفلاً ويأكله. ستانفورد بلاتش يظهر في كلّ مكان، ولكن لا شيء طرأ عليه البتة.

سامانثا جونز قررت أن تتخلّى عن نيويورك. غادرت إلى لوس أنجلس من أجل جوائز الأوسكار، والتقت تايلور كيد خلال حفلة، حيث كان كلاهما عارياً في حوض السباحة. إنهما الآن يعيشان معاً، لكنه كان قد أقسم بأن لا يتزوّج منها، لأنه بعد أن فشل في الفوز بجائزة الأكاديمية، كأفضل ممثل، قالت له سامانثا، «حسناً، هذا لأن الفيلم لطيف فحسب». مع ذلك، سامانثا تنتج فيلمها التالي - عمل فني خفيف.

توضع ابنة أماليتا أمالفي في حضانة كيتفورد المرموقة في نيويورك. وأماليتا تُطلق شركتها الخاصة التي تُعنى بالاستشارات. لديها ثلاثة موظفين، إضافة إلى فريق عمل صغير: سائق، ومربية، وخادمة. اشترت أخيراً لابنتها أول طقم يحمل توقيع مصمم أزياء شهير.

ما يزال العظم يعمل عارض أزياء.

ماجدة، الروائية، ذهبت إلى حفلة، للاحتفاء بإصدار روزنامة تصوّر رجال الإطفاء، في مدينة نيويورك. التقى بها السيد سبتمبر، البالغ من العمر الثالثة والثلاثين، وظلاّ مرتبطين معاً منذ ذلك الحين.

باكارد وأماندا ديل رزقا بطفل آخر، بنت. وهما يربيان أطفالهما ليصبحوا عباقرة. في المرة الأخيرة التي تناولت فيها كيري العشاء في منزلهما، قال باكارد لتشستر، «هل تدرك أن حبات الفستق المحفصة بالعسل هي ظاهرة عصرنا؟» أومأ تشستر برأسه.

بريجيد تشالمرز تركت زوجها. وقد شوهدت آخر مرة، في حانة (النفق)، الساعة الرابعة صباحاً، ترقص بجموح مع باركلي.

جميع العازبين الأزليين، ما زالوا ينتظرون.

بيلي ونيوبرت ذهبا إلى حفلة، في الجادة الخامسة، احتفالاً بتلميذة مجتهدة. أصرّ نيوبرت على ارتداء قبعة مخططة الألوان، ومضحكة، وجعل الجميع يرفعون أنخابهم، بينما كان يرقص فوق خزانة الكتب. وانفجر

ستريو الصوت في اللحظة التي سقط فيها نيوبرت من نافذة الطبقة الخامسة - ولحسن حظه هبط على ظلّة النافذة. وظلّ نيوبرت لمدة شهرين يُجز جزاً في المنزل. أما بيلي فأصبحت رئيسة في المصرف الذي تعمل فيه. ولفا تحمل بطفل.

بعد قضائه الليلة مع راي، عاد سكيبر جونسون إلى نيويورك، واختفى. ثم عاد وظهر، إلى العلن، بعد شهرين، ليقول للجميع إنه «غارق في الحب».

السيد مارفيلوس شفي أباً لطفل خارج قيد الزوجية. لكنه جعل الأم تخضع لفحص (DNA)، ليتبين له أن الطفل ليس ابنه.

السيد بيغ متزوج وسعيد. وكيري عازبة وسعيدة.

حول الكتاب

نبذة عن الكتاب

ماذا يدور في عقول أربع نساء نيويوركيات، ناجحات مهنياً، جذابات، وما زلن عازبات؟

إنه عالم كامل: أحذية تكاد تنطق بماركاتها العالمية، حقائب من الجلد الطبيعي، فساتين مثيرة تكشف أكثر مما تستر... وكل المخططات الممكنة للحصول على رجل لا يخشى الاستقرار مع امرأة واحدة.

غير أن البحث عن حب يدوم، في مدينة ناطحات السحاب، يبدو أسهل من إيجاده فعلاً في ذلك البحر من الرجال المفوبين. أولئك الذين يفضلون القفز من علاقة عابرة إلى أخرى، على تعريض عزوبيتهم الحرة لخطر ما يعتبرونه إخلاصاً مملاً ونهاية مطاف.

كيف تواجه كل من ميراندا، سام، شارلوت، وكاري هذا التحدي؟ بأي تنورة قصيرة؟ ومتى يحين الوقت لسلاح «اللانجري» الفتاك؟

أيهن تحلم بالأمومة؟ ومن منهن تبذل العشاق كما صنادل الصيف؟

ستكتب كاري كل شيء في مقالاتها الصحافية المتخصصة بالحب والجنس...

قيل في الكتاب

«...هذا هو ربما أساس نجاح الكتاب ورواجه وقدرة السينما والتلفزيون على توليد حالات متفزعة عنه: فهو يحكي عن ظاهرة باتت عالمية، ظاهرة افتقاد النساء الشابات، اللامعات خصوصا، إلى الرجل الشريك». جريدة المستقبل

نبذة عن المؤلفة

كانديس بوشنل كاتبة أميركية تعيش في نيويورك. حظيت باعتراف نقدي واسع، وتصدرت كتبها قائمة الكتب الأكثر مبيعاً.